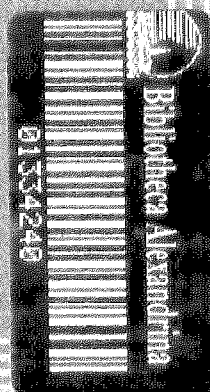
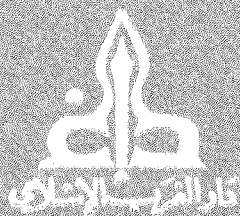
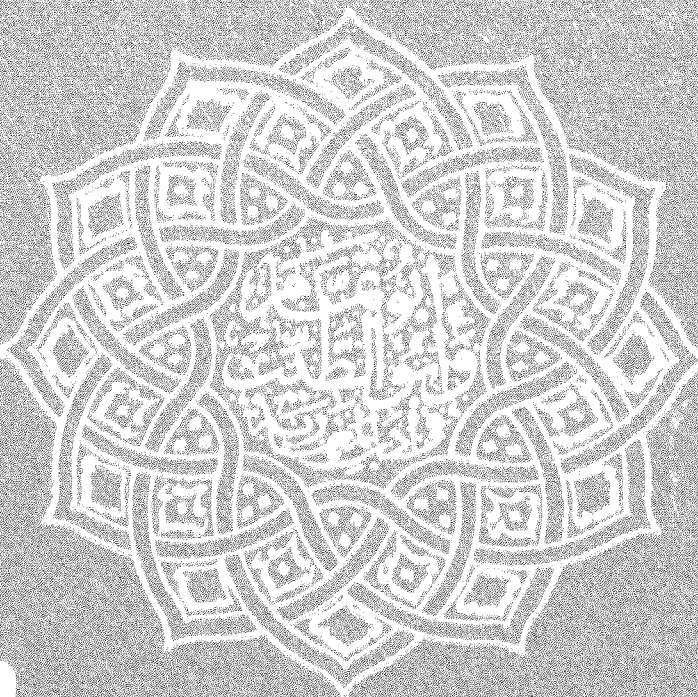


الدكتور محمد ابن شرفينة

أبو تمام وأبو الطيب في أدب المنسابة







أبو تمّام وأبو الطيّب

في أدب المغاربة

الدكتور محمد بن شريفة

-ر



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

1986



دار الفارابي

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

يقوم أساس هذا العمل على فقتين مستقلتين من مشروع كتاب حول تاريخ الصلات الثقافية بين مشرق الوطن العربي ومغربه عبر العصور، وهو مشروع قطعت فيه شوطاً لا بأس به، وأرجو أن أنجزه بعون الله في وقت قريب.

وقد رأيت أن أنشر منه قبل إخراجه هاتين الفقتين حول عناية المغاربة بشاعري العربية الكبيرين الطائي والمتنبي وتأثيرهما في الآداب العربية ببلدان المغرب.

وإنما جمعتهما في قرن بهذا الكتاب لأن أهل المغرب كانوا يطلقون تشية «الشعرين» على شعر أبي تمام وشعر أبي الطيب، ويقولون في ابن هانيء وابن دراج إنهما «نظيران لحبيب والمتنبي»، ولأن بعض الشراح والنقاد القدماء جمعوا بينهما كمؤلف «النظام، في شرح ديواني المتنبي وأبي تمام» ومؤلف «المآخذ الكندية، من المعاني الطائية» ومؤلف «نزهة الأديب، في سرقات المتنبي من حبيب» ومؤلفنا الأندلسي الذي يرد عليهما فيما يبدو في رسالته: «روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبيب».

ثم إن نشر هذه الرسالة الأخيرة في ذيل هذا الكتاب اقتضى الجمع بين الشاعرين والتعريف بمكائنتهما عند المغاربة.

وشفعت هذا النص. الذي عثرت عليه وحققته وعرفت بصاحبه. باختيارات من نسخة ديوان المتنبي السعدية المنصورية، وهي نسخة نفيسة

مقابلة على أصول أندلسية ومغربية عتيقة ذات طرر مأخوذة من «منصف» ابن وكيع في معظمها، وهذه الطرر مفيدة في ترميم «المنصف» وتتميم الناقص منه، وفي هذه النسخة المنصورية أيضاً زيادات على ما في دواوين المتنبي المطبوعة تنشر هنا لأول مرة.

تدور موضوعات هذه الدراسة حول الأسانيد والشروح والآثار النقدية والمعارضات وغيرها من الموضوعات المتعلقة بأبي تمام والمتنبي في الأندلس والمغرب.

وقد جمعت مادة هذه الموضوعات من مختلف المظان المطبوعة والمخطوطة واستعملت مخطوطات لم تكن معروفة من قبل كشرح الأعلام الشنتمري على شعر أبي تمام وشرحه أيضاً على الشعر الذي قاله المتنبي في صباه.

وكشفت عن صاحب «سرقات المتنبي» التي نشرها الشيخ الطاهر ابن عاشور منسوبة إلى ابن بسام، وهي لغيره.

وقد اكتفيت في هذه المحاولة الأولى بجمع المادة وتوثيقها وعرضها لأنني أرى أنه لا بد من الفراغ من هذه الأمور قبل الانتقال إلى ما سواها. وأرجو في الأخير أن يكون في هذا العمل فائدة للدارسين والله الموفق.

الفصل الأول

أبو تمام في أدب الأندلسيين والمغاربة

- ذكر أبو تمام الأندلس في شعره مرتين: إحداهما في قصيدته التي مدح بها خالد بن يزيد الشيباني ومطلعها:

يا موضِعَ الشَّدنيةِ الوجناء
ومصارعِ الأدلاجِ والإسراءِ

وذلك في هذه الأبيات التي يصف فيها تخلُّصَ ممدوحه من عشرته:

قد كان خطبُ عائرٍ فأقالهُ
رأى الخليفةَ كوكبَ الخلفاءِ
فخرجتَ منه كالشَّهابِ ولم تزلْ
مُدُّ كنتَ خراجاً من الغمِّاءِ
ما سرَّني بِخِداجِها من حجَّةِ
ما بينَ أندلسٍ إلى صنعاء⁽¹⁾

وذكرها مرة ثانية في قصيدته في مدح المعتصم:

(1) ديوان أبي تمام 1: 15- 16. تحقيق محمد عبده عزام. دار المعارف بمصر. ط. 3.

الحق أبلجُ والسيوف عوار
فحذار من أسد العرين حذارِ

وفي هذه القصيدة يشير أبو تمام إلى سعة رقعة الدولة العباسية
فيقول:

فالصينُ منظومٌ بأندلسٍ إلى
حيطانٍ روميةٍ فمُلكِ ذمارٍ⁽²⁾

وفي كلتا المرتين نراه يعدّها في تخوم الدولة العباسية.

أما الأندلس وأهلها فقد عرفوا أبا تمام ووصل إليهم شعره في حياته،
وفتنوا به، وشغلوا بفته وصنعتة، وأدرك لديهم من القبول والحظوة ما لم
يدركه إلاّ المتتبي بعد ظهوره.

ويبدو اهتمامهم به من خلال مظاهر مختلفة وفي مستويات متعدّدة:

فعلى مستوى الرواية نجد شعر أبي تمام ينتشر في الأندلس عبر عددٍ
من الطرق والروايات:

منها رواية الرحالة البغدادي أبي اليسر إبراهيم بن أحمد الرياضي
الذي جاب بلاد الإسلام شرقاً وغرباً وأدخل إلى أفريقية والأندلس أشعار
المحدثين وأخبارهم، ومنها شعر أبي تمام⁽³⁾ وقد ظلت روايته لشعر أبي
تمام موصولة السند حتى القرن السابع الهجري ونجد هذا السند عند
الحافظ ابن الأبار على النحو التالي:

(2) المصدر نفسه 2: 209.

(3) تكملة ابن الأبار: 174 (نشر عزت العطار) والترجمة رقم 2262 في ملحق التكملة، ونفح
الطيب 3: 134 - 135 تحقيق د. إحسان عباس.

أبو تمام
 ↓
 أبو اليسر الرياضي
 ↓
 عثمان بن الصيقل
 ↓
 غالب بن معمر
 ↓
 تمام بن غالب
 ↓
 حاتم بن محمد
 ↓
 أحمد الخولاني
 ↓
 محمد ابن زرقون
 ↓
 أبو الربيع الكلاعي
 ↓
 ابن الأبار⁽⁴⁾

ومنها رواية عثمان بن المثنى المؤدب والشاعر القرطبي (ت 273) قال ابن الفرضي في ترجمته: «وقرأ على حبيب بن أوس ديوان شعره وأدخله الأندلس رواية عنه»⁽⁵⁾ وقال الزبيدي في الطبقات: «رحل إلى المشرق فلقني

(4) ذكر ابن الأبار هذا السند في ترجمة أبي اليسر إبراهيم وأشار إليه في ترجمة عثمان بن الصيقل. التكملة: 174 ورقم 2262 (ملحق).

(5) تاريخ العلماء 1: 346 وبغية الوعاة 2: 136. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

حبيب بن أوس فقرأ عليه شعره وأدخله الأندلس»⁽⁶⁾ وقال ابن سعيد في المغرب: «وذكر أنه رحل ولقي أبا تمام الطائي وأخذ عنه شعره»⁽⁷⁾ وعندنا خبر طريف يفصل كيفية ألتقائه بالشاعر، وينص على تكرّر اللقاء، ونسوقه هنا لغرابته نقلاً عن ابن الأبار قال: «حكى أنّ عثمان بن المثنى جمعه مركباً في بحر القلزم (أي البحر الأحمر) مع حبيب بن أوس أبي تمام الطائي فأنشدّه شعره الذي يقول فيه:

الله أكبر، جاء أكبر من مشى
فتعثرت في كنهه الأوهام

وكان هذا البيت مبتدأ الشعر فقال له ابن المثنى: شعر حسن لولا أنّه لا ابتداء له، فوقدت في نفس حبيب وابتدأ الشعر بقوله:

دمن ألمّ بها فقال سلام
كم حلّ عقدة صبره الإمام

ثم أنشدّه في اليوم الثاني الشعر بهذا الابتداء إلى تمامه، فقال له ابن المثنى: أنت أشعر الناس، فعظم في نفس حبيب، ثم لقيه في انصرافه، وحبيب قد عظم قدره، وجلّ خطره، فكان يؤثره، ويعرف له فضله وكان أول من أدخل شعره، ويقال إن كثيراً من غزل حبيب له⁽⁸⁾ وهذا الخبر يصور الصلة بين الرجلين على أنها صلة شاعر بشاعر أو ناقد بشاعر، وهو خبر له أشباه ونظائر كخبر عباس بن ناصح مع أبي نواس وخبر يحيى الغزال مع أدباء بغداد، وخبر سعيد بن أحمد مع بعض أدباء مصر، وخبر القاضي محمد بن عيسى مع أحد أدباء المشرق⁽⁹⁾؛ وتشير هذه الأخبار إلى مواقف

(6) طبقات النحويين واللغويين: 288 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(7) المغرب 1: 112 تحقيق د. شوقي ضيف. ط. 1.

(8) تكلمة ابن الأبار: 10 - 11.

(9) انظر تفصيل الأخبار المذكورة في طبقات الزبيدي: 284 - 286 ونفح الطيب 2: 260 وتكملة =

بعض الأدباء الأندلسيين تجاه أضرابهم في المشرق وتذكر شيئاً من الحوار الأدبي الذي كان يجري بين الطرفين؛ ولهذا فإننا لا نستبعد ما ورد في الخبر المذكور، ولا نستكثر على ابن المثنى انتقاده أبا تمام، فقد كان أسنّ من الشاعر الطائي⁽¹⁰⁾ ويفهم من الخبر أن ابن المثنى لم يخرج من الأندلس إلا بعد أن تمكّن من أدوات الشعر والنقد وتزوّد بحظّ جيّد من الأدب، وتجدر الإشارة إلى أن البيت الذي انتقده ابن المثنى كمطلع انتقده فيما بعد أبو الطاهر السرقسطي⁽¹¹⁾ وصالح بن شريف الرندي⁽¹²⁾، أما الجزء الأخير من الخبر وهو المذكور بصيغة التمریض والمتعلّق بنسبة كثير من غزل أبي تمام إلى ابن المثنى فقد يكون محلّ نظر، ومع ذلك فإنّ النقاد الأقدمين - ومنهم ابن شرف وابن رشيق - ذكروا أن أبا تمام كان ضعيفاً في النسب ولم يكن حسن التغزّل «ولنّما يقع له من ذلك التافه اليسير في خلال القصائد»⁽¹³⁾.

وثمة راوية أندلسي آخر لشعر أبي تمام وهو الشاعر الفحل مؤمن بن سعيد الذي لقي أبا تمام ببغداد وأخذ عنه شعره وأدخله الأندلس وكانت له حلقة يقرئ فيها هذا الشعر، وروايته أتمّ من رواية ابن المثنى، إذ يبدو أنه أدرك أبا تمام في آخر حياته، وقد ذكر أنه لقيه في بغداد⁽¹⁴⁾.

وهناك مؤدّبون أندلسيون آخرون ظهروا بعد هؤلاء المذكورين الذين لقوا أبا تمام ورووا عنه شعره مباشرة، ومنهم أبو عبد الله محمد ابن

= ابن الأبار: 216 وجدوة المقتبس: 212 تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، والمقتبس 5: 46. نشر شالميتا ومعاونيه.

(10) وإ. أبو تمام سنة 192 هـ وتوفي ابن المثنى سنة 273 عن 99 سنة فهو إذن من مواليد سنة 174 هـ.

(11) المقامات اللزومية: مقامة الشعراء وهي المقامة الثلاثون.

(12) الوافي (مخطوط).

(13) العمدة 2: 119 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ورسالة الانتقاد لابن رشيق.

(14) المغرب 1: 132.

الأصفر القرشي الذي كان له «بصر بمعاني شعر حبيب»⁽¹⁵⁾ وأبو عبدالله الغابي الذي «كان يقرأ عليه شعر حبيب»⁽¹⁶⁾ وأبو العباس وليد الطبيخي شارح شعر أبي تَمَام⁽¹⁷⁾، وقد أخذه عن أبي عبدالله الغابي، ومنهم أيضاً جماعة الأدباء الذين كلفهم عبد الرحمن الناصر بانتساخ شعر حبيب ومنهم محمد بن أرقم وموسى بن محمد الحاجب ومحمد بن يحيى القلقاط وابن فرج البلساري، فهؤلاء الأعلام الذين عنوا بشعر أبي تَمَام لا بد أن لهم أسانيد في رواية شعره لم تذكرها كتب التراجم.

وقد بلغ الاهتمام المبكر بشعر أبي تَمَام غاية في عهد عبد الرحمن الناصر الذي كلف - كما أشرنا إلى ذلك آنفاً - لجنة من الأدباء بعمل نسخة من ديوانه، وفي طبقات الزبيدي خبر مفصل حول هذا الموضوع يحسن بنا أن نورده برمته، قال: «ولمّا أمر أمير المؤمنين عبد الرحمن رضي الله عنه بانتساخ شعر حبيب أحضره (يعني محمد بن أرقم) وأحضر جماعة من الأدباء منهم موسى بن محمد الحاجب ومحمد بن يحيى القلقاط وابن فرج المعروف بالبلساري، وكان ابن فرج من أهل العربية، وكان لا يناظر الحكيم والقلقاط من أهل الزمان غيره، فشاورهم أي القصائد يقدّم في صدر الكتاب، فقال ابن أرقم: إنّما يفضّل الشعر ويقدم لغرابته وحسن معناه، وشعره الذي فيه وصف القلم لم يتقدّمه عليه متقدّم ولا لحقه فيه متأخراً؛ فدفعوا جميعاً عليه، وقالوا: الوضيع يتعصّب للوضيع - يعنون ابن الزيات - فأحجلوه، فبينما هم كذلك إذ استؤذن لأبي عبدالله الغابي فأذن له، فلمّا استوى في المقعد سئل عما جرى من القول، فقال: أخبرني أبو الحسن المغنّي⁽¹⁸⁾ أن أهل بغداد لا يفضّلون على شعره اللامي الذي ذكر

(15) طبقات الزبيدي: 328.

(16) المصدر نفسه: 315.

(17) المصدر نفسه: 328.

(18) يبدو أن المقصود به علي بن نافع الملقب بزرياب، وعلى هذا الأساس يعتبر هو أيضاً من

فيه القلم شيئاً لغرابة معناه، ولم يكن الغابي يعلم شيئاً من اختلافهم في ذلك، وإنما سُئل عمّا يجب تقديمه، فاستطال ابن أرقم على أصحابه فقال: مثلي مع هؤلاء ما قاله حبيب:

كِلَابٌ أَغَارَتْ فِي فَرِيَسَةِ ضَيْغَمٍ
طَرَوْقاً وَهَامٌ أَطَعَمْتُ صَيْدَ أَجْدَلَا

وإنما يغمّني أن أكون في بلدٍ يتحكّم علي فيه من لا يعرف ما أقول». وهذه نسخة قديمة من شعر أبي تمام جمعت من المحفوظ والمكتوب الذي كان بين يدي أدباء الأندلس يومئذ من هذا الشعر، وقد نظر في ترتيبها إلى جودة القصائد ودرجاتها في الجودة، ولم ترتب على الحروف أو الأغراض.

وبعد قليل من التاريخ الذي جمعت فيه هذه النسخة دخل أبو علي القالي الأندلس، وأدخل معه - فيما أدخل - شعر أبي تمام في صورتين: إحداهما قراطيس ذكر أنها بخط يد أبي تمام، والأخرى ما قيده أبو علي من شعر أبي تمام في سفر الكاغد الذي قرأ فيه علي أبي محمّد عبدالله بن جعفر بن درستويه. وهكذا كان ما أدخله أبو علي أتمّ ما دخل من شعر أبي تمام إلى الأندلس، وقد غطت روايته على الروايات السابقة عليها واعتمدها رواة الأندلس والمغرب كما سنرى فيما بعد، ونسخة أبي علي غير مرتبة على الحروف كذلك، وقد نقل عن أصلها نسخ متعددة توجد مخطوطاتها في الأسكوريال بإسبانيا والخزانة الحسنية وغيرها⁽¹⁹⁾ بالمغرب، ولعل من

= نقله شعر أبي تمام إلى الأندلس؛ وانظر تراجم الأعلام المذكورين في الخبر في طبقات الزبيدي وتاريخ العلماء لابن الفرضي والمغرب لابن سعيد.

(19) تحدّث عن نسخة الأسكوريال محقق الديوان الأستاذ محمد عبده عزّام، وفي الخزانة الحسنية نسخ متعددة يبدو أنها فروع من نسخة الأسكوريال ومنها النسخة التي تحمل رقم 548م وقد فرغ من نسخها «في التاسع من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وتسعمائة» والنسخة رقم 5512 وتاريخ نسخها 1129 هـ. وفيها أيضاً نسخ متعددة برواية الصولي.

المفيد أن نثبت هاهنا نص الكلمة التي توجد في آخر نسخة الأسكوريال وبعض نسخ الخزانة الحسنية بالرباط، وهي هذه:

«وجد في الأصل المكتوب منه هذا ما نصه:

كتبه لنفسه بخط يده علي بن محمد بن عيسى القيسي⁽²⁰⁾ نفعه الله به، استنسخه من كتاب الشيخ الأجل الوزير الأستاذ أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء الزهري المعروف بابن الأفليلي المكتوب بخط يده المنقول من القراطيس التي اجتلبها أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي وذكر أنها بخط يد أبي تمام حبيب بن أوس الطائي. ووجدت أيضاً فيه ما نصّه:

«وألفت في آخر الأصل المذكور بخط الشيخ الأستاذ أبي القاسم المذكور رحمه الله؛ كمل في هذا السفر جميع ما تضمنته القراطيس التي اجتلبها أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي من شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وذكر أبو علي أنها بخط يد أبي تمام واستقرت عند صاحب الشرطة الكاتب أبي القاسم بن سيد⁽²¹⁾ وصارت إلي من جهته؛ وكذلك كمل فيه جميع ما قيده أبو علي من شعر أبي تمام في سفر الكاغد الذي قرأ فيه علي أبي محمّد عبدالله بن جعفر بن درستويه⁽²²⁾ وأقرأه ذلك رواية عن علي بن مهدي الكسروي⁽²³⁾ عن أبي تمام حبيب بن أوس، واستقرّ

(20) في الذيل والتكملة هذه الترجمة القصيرة (5) «علي بن محمد بن عيسى: بطليوسي أبلدي الأصل؛ روى عن أبي محمد بن عتاب». ويبدو من توافق الاسم ومن تاريخ نسخة الاسكوريال التي انتسخها المذكور لنفسه وهو سنة 556 هـ ومن روايته عن ابن عتاب المتوفى سنة 531 هـ أن هذا الناسخ هو صاحب الترجمة المذكورة.

(21) له ترجمة في جذوة المقتبس: 110، 381 ويغية الملتبس: 170، 538 والصلة 1: 14 ومعجم الأدباء 2: 203 وإنباه الرواة 1: 30 ويغية الرواة 1: 291.

(22) انظر في ابن درستويه دراسة الأستاذ عبدالله الجبوري.

(23) وقع تحريف في اسمه في فهرسة ابن خير، وله ترجمة في بغية الوعاة 2: 208 ومعجم الأدباء 15: 88.

السفر المذكور عند الحاجب جعفر بن عثمان⁽²⁴⁾ وصارَ من جهته إلى صاحب الشرطة الكاتب أبي حفص بن مضاء⁽²⁵⁾ واستعرتَه من ابنه، وأضفت إلى ذلك ما ألفيته زائداً في الكتب التي استقرت بخط أبي علي وروايته في خزانة المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر⁽²⁶⁾؛ وأخرج إلى الكتب المذكورة أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف^(26م)، رحم الله جميع المذكورين وعفا عنهم وأضفت إلى ما نقلته من الأصول المذكورة ما ألفيته زائداً في رواية محمد بن يحيى الصولي ممّا أشبه ما تقدّم في حسن الصناعة واختيار الألفاظ. والحمد لله على عونه وجميل تأييده كثيراً كما هو أهله وصلى الله على محمد وسلّم.

اللهم اجعله دعاءً نافعاً وسعيّاً مشكوراً.

نقلته كما ألفيته في الأصل المذكور حرفاً بحرف⁽²⁷⁾.

أثبتنا هذا النص بكامله لدلالاته المتعددة على عناية الأندلسيين بشعر أبي تمام وجهودهم في توثيقه وجمعه.

إن هذه النسخة التي أصّلها أبو علي القالي ووثّقها بعده بمدة ابن الأفليلي هي التي انتشرت في الأندلس والمغرب وتوجد منها مخطوطات متعددة إلى اليوم في المغرب، وعلى أساسها وضع الأعلام الشنتمري شرحه كما سنذكر ذلك فيما بعد.

(24) هو الوزير الحاجب المعروف بابن المصحفي، وترجمته وأخباره في المطمح والذخيرة والحلة السراء والمعجب والبيان المغرب ونفح الطيب.

(25) بيت بني مضاء مشهور في قرطبة، ولكن يبدو أن المقصود هنا هو أبو حفص عمر بن يوسف بن محمد بن مضاء الملقب بالحيطي، فهو الذي كان معنياً بشعر أبي تمام.

(26) كان المنصور من تلاميذ أبي علي القالي. انظر البيان المغرب 2: 357 والحلة السراء 1: 268.

(26م) ترجمة ابن العريف في تاريخ العلماء لابن القراضي 1: 134 - 135 وكان مؤدباً لأولاد المنصور ومقرباً منه.

(27) نقلت هذا النص من مخطوط الخزانة الحسينية رقم 584 وهو موجود أيضاً في نسخ أخرى بالخزانة المذكورة، وأصله في نسخة الاسكوريال.

2- وعلى مستوى الإقراء والتدريس تزوّدنا كتب الطبقات بأسماء جماعة من المؤدبين اشتغلوا بتدريس شعر أبي تمام وإقراءه في الأندلس، فمنهم أبو عبدالله الغابي، قال الزبيدي:
«كان يقرأ عليه شعر حبيب»⁽²⁸⁾.

ومنهم محمد بن عبدالله المعروف بابن الأصفر، وكان له فيما يقول الزبيدي: «بصر بمعاني شعر حبيب وغيره من أشعار المجدثين»⁽²⁹⁾.
ولعل أشهر حلقة قرئ فيها شعر أبي تمام في الأندلس قديماً هي حلقة مؤمن بن سعيد (ت 267هـ).

وقد وصلت إلينا بعض أصداء هذه الحلقة، ويبدو أنها لم تكن تخلو من طبيعة التنكيت وروح التندر الذي كان غالباً عليه.
قال ابن سعيد في المغرب: «وقرأ عليه يوماً أحد المتعلمين قول حبيب:

أرض خلعتُ اللهو خلعي خاتمي
فيها وطلقتُ السرور ثلاثا

فقال له: «من سرور هذه أصلحك الله؟ فقال هي امرأة حبيب؛ وقد رأيتها ببغداد»⁽³⁰⁾.

ومن الواضح أن مؤمن بن سعيد ضاق ذرعاً بسؤال تلميذه الذي لا يفرق بين الحقيقة والمجاز فاستغابه وتهكّم عليه بهذا الجواب، ولست أدري كيف لم ينتبه صديقنا الدكتور محمود مكي إلى مسحة المزح على كلام

(28) طبقات الزبيدي : 315 .

(29) المصدر نفسه : 328 .

(30) المغرب 1 : 132 .

الشاعر مؤمن فحملة محمل الجد وقال في رسالته الجامعية المنشورة بالإسبانية (ص 243):

«También el poeta cordobés Mu'min IBN sa'id estudiò Con Abu Tammàm su poeséa y, ademàs de introducirla en Espana, La explicaba y Comentaba a sus discipulos, aunque sus Comentarios no eran del todo exactos, a jazgar por alguno de ellos, conservado por Ibn Sa'id».

أي «وكذلك الشاعر القرطبي مؤمن بن سعيد درس على أبي تَمَّام شعره، وأدخله إلى الأندلس وكان يشرحه لطلابه، ولو أن شروحه لم تكن بكامل الدقة إذا حكمنا عليها من خلال بعضها كما جاءت عند ابن سعيد» والذي جاء عند ابن سعيد في المغرب هو النادرة المذكورة آنفاً.

وأمثال هذه النادرة أمرٌ معهود في حلقات الدروس ومجالس الإقراء والإملاء عند الأندلسيين، فقد حكى ابن سعيد أن الأستاذ النحوي الأديب هذيل الأشبيلي وصل إليه طالب متخلف ليقراً عليه، فكان أول ما قرأ عليه بيت كثير:

حيثك عزّة بعدَ الهجرِ وانصرفتُ
فحيي ويحك من حياك يا جملُ

فصحفه وقال: جئتكَ عرة، فقال الشيخ: وكذلك بالله ترجع يا ولدي ولو قرئت سنة فأضحك الحاضرين. وقال له يوماً: يا أستاذ، ما الكَمَوْج؟ فقال: وأين رأيت هذه اللفظة؟ قال: في قول امرئ القيس:

وليلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أرخى سُدولَهُ

فقال: نعم، الكموج: دويبة من دواب البر تحمل الكتب ولا تعلم ما فيها.

وكان يقرأ عليه طالب من البربر، جعد الشعر، قبيح الوجه، فوقف يوماً على: ﴿قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا...﴾ فقال: لأي شيء بالله، ألحسن وجهك وطيب شعرك؟ عيسى ابن مريم لم يعلم لأصحابه ذلك فكيف أنت⁽³¹⁾.

وقد سئل الأستاذ الدباج في حلقة شعر المتنبي سؤالاً شبيهاً بسؤال تلميذ الأستاذ مؤمن فأجاب عنه بجواب لطيف فيه لذع النادرة وإصابة المعنى، قال ابن سعيد أيضاً:

«كان أحد المتطلبين الأعيان كثيراً ما يلزم مجلسه (الدباج) لغرض كان له في بعض القوم فدخل على غفلة فرفع الأستاذ رأسه وقال: ارجع إنه ما جاء اليوم، فخجل وعاد علي ومنعه ذلك من مخالطة الصبي ومجالسته ثم لم تمر إلا أيام حتى قرىء بمجلس الأستاذ قول المتنبي:

وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الْحَيِّ مُرْتَدِيًا

بصاحبٍ غَيْرِ عِزْهَاءٍ وَلَا غَزَلٍ

فقال ذلك الخجل المتجنب: سيدي، ما ألعزهاة؟ فقال الأستاذ: العزهاة من ينفر عن محبوبه ولا يعود إليه. فقال: يا أستاذ ما أدري ما أعمل، إن أقمت عتبت، وإن تغيبت عيّرت، فضحك الأستاذ، وقال ما معناه: لولا هذه السرائر، ما حفظت النوادر⁽³²⁾.

هكذا كانت حلقات الإقراء لشعر أبي تمام والمتنبي في مساجد قرطبة وإشبيلية وغيرها ومن هذه الحلقات كان يتخرج الشعراء والكتّاب والأدباء والعلماء.

بعد مؤمن بن سعيد وفد على الأندلس أبو علي القالي، وكان ممّا جلبه من الدواوين ديوان أبي تمام، وقد أقرأه فيما أقرأ في حلقة الكبيرة في

(31) المغرب 1: 266 والغصون اليانعة: 69 - 70.

(32) اختصار القدح المعلى: 155 تحقيق الأبياري.

جامع مدينة الزهراء الملكية⁽³³⁾، وحمل هذه الرواية أبو القاسم أحمد بن أبان ثم تلقّفها أبو القاسم إبراهيم بن محمد المعروف بابن الإفليلي فنشر سنّها بواسطة تلاميذه، وكلّهم ظهروا في عصر الطوائف.

ولعل أشهر هؤلاء هو الأعلام الشتمري أكبر شارح أندلسي وصاحب أوسع حلقة أدبية في مملكة بني عبّاد، ويذكر بعض تلاميذه بخصوص تدريسه «الشعرين» أنه كان يستمرّ في إقراء شعر أبي تمام في رمضان ويتوقف فيه عن تدريس شعر أبي الطيب⁽³⁴⁾، ولم يكتف الأعلام بالتفسير الشفوي وإنما شفّعه بالشرح المدوّن لكلا الشعرين، واطلاق الشعرين هكذا كان عندهم ينصرف إلى شعر أبي تمام وشعر أبي الطيب⁽³⁴⁾.

ومثل الأعلام نظيره أبو مروان عبد الملك ابن سراج الذي قال فيه ابن بسام: «لم ير مثله قبله ولا يرى بعده»⁽³⁵⁾.

ولدينا فكرة مجملة عن حلقة القرطبية في «الشعرين»، فقد كان لا يقرىء من شعر أبي تمام في المجلس الواحد إلا ثلاثة أبيات، بينما كان يقرىء من شعر أبي الطيب خمسة أبيات في المجلس⁽³⁶⁾.

وإذا كان الأعلام الشتمري قد أدرك حظوة كبيرة عند بني عبّاد حتى غدا كما يقول ابن سام: «زعيم البلد، واستاذ ولد المعتمد» فإن ابن سراج كان متكثراً على عصبية قومه وأهل بلده، «وكان بين الأستاذين أبي الحجاج وأبي مروان بن سراج ما يكون بين فحلين في هجمة، وزعيمين من أمة، فاتفق أن كتب ابن سراج إلى المعتمد بشطرٍ بائي من بحر الوافر يمدحه

(33) فهرسة ابن خير: 325.

(34) انظر روضة الأديب لابن لبال الشريشي في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(34م) انظر فهرسة ابن خير: 402.

(35) انظر ذخيرة ابن بسّام ق 1 م 2: 811 وترجمته في قلائد العقيان ومطمح الأنفس وصلة ابن بشكوال والمغرب وإنباه الرواة وبغية الوعاة والمديح المذهب وخريدة القصر.

(36) روضة الأديب لابن لبال في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

فيه، وكأنه - زعموا - عرض بقرنه ومباريه، وأعلم بذلك الأعلام، فصمت عن جوابه وأحجم⁽³⁶⁾ ووقعت بين الرجلين أيضاً خصومة حول الرسالة الرشيدية، ولعل في هذا كله صورة لما كان يقع في حلقتيهما من خصومة حول شعر أبي تمام وغيره.

وثالث الفرسان من أصحاب ابن الأفلح هو أبو تميم العز بن محمد بن بقة⁽³⁷⁾، وهو عدوي مغربي استوطن قرطبة وأخذ عن ابن الأفلح كثيراً من كتب اللغة والآداب، وكان حافظاً لهما مقدماً في معرفتهما، وقد أخذ الناس عنه في حلقة بقرطبة، ومن جملة ما أخذوا عنه شعر أبي تمام.

ومن تلاميذ ابن الأفلح الذين رووا عنه شعر أبي تمام أبو بكر خازم ابن محمد بن خازم القرطبي، كان «وافر الأدب وهو كان الأغلب عليه، وله تصرف في اللغة وقول الشعر» وكان زميله أبو مروان ابن سراج المذكور آنفاً يتكلم فيه ويضعفه، ولكن هذا لم يمنع الناس من الرواية عنه والسماع منه⁽³⁸⁾. وممن روى عنه شعر أبي تمام أبو الحسن علي ابن حنين القرطبي مستوطن فاس الذي بنى بها مسجداً ودرّس فيه ستاً وستين سنة⁽³⁹⁾، وقد استمر سند روايته عن شيخه خازم عن ابن الأفلح مروياً حتى القرن الحادي عشر الهجري⁽⁴⁰⁾.

ومن حلقات شعر أبي تمام في غير قرطبة وإشبيلية على هذا العهد - عهد الطوائف - حلقة أبي الوليد ابن ضابط في بطليوس قال ابن الأبار:

(36) الذخيرة ق 2 م 1: 474 وانظر في المسألة الرشيدية أحكام صنعة الكلام: 68.
(37) ترجمته في الصلة: 429 والذيل والتكملة 5: 144 وقال فيه: العز بن أحمد بن هارون، وقال ابن خير: العز بن محمد بن أبي موسى بقة.
(38) ترجمته في الصلة: 178.
(39) الذيل والتكملة: 5: 150 - 153 والتكملة رقم 1885 وجدوة الاقتباس رقم 539 وصلة الصلة: 102 وسلوة الأنفاس 1: 349.
(40) برنامج المتوري وإجازة عبد القادر الفاسي وكلاهما مخطوط.

«ووقفت على الأخذ عنه لشعر حبيب»، وابن ضابط البطليوسي له «كتاب الآداب»، وقد تخرج من حلقاته في بطليوس الشاعر الأديب ابن عبدون، وكان من المؤدبين الذين يراعون المواهب الشعرية المبكرة، فمن ذلك أنه قال مرة يختبر تلميذه النجيب المذكور ويدعوه إلى الاجازة:

الشُّعْرُ خُطَّةٌ خَسْفِ

فأكمل قائلًا:

لِكُلِّ طَالِبٍ عُرْفٍ
لِلشَّيْخِ عَيْبَةٌ عَيْبٌ
وَلِلْفَتَى ظَرْفٌ ظَرْفٌ⁽⁴¹⁾

وفي بطليوس كان محمد بن رزق الله أحد شراح شعر أبي تمام الذين سنتحدث عنهم بعد قليل.

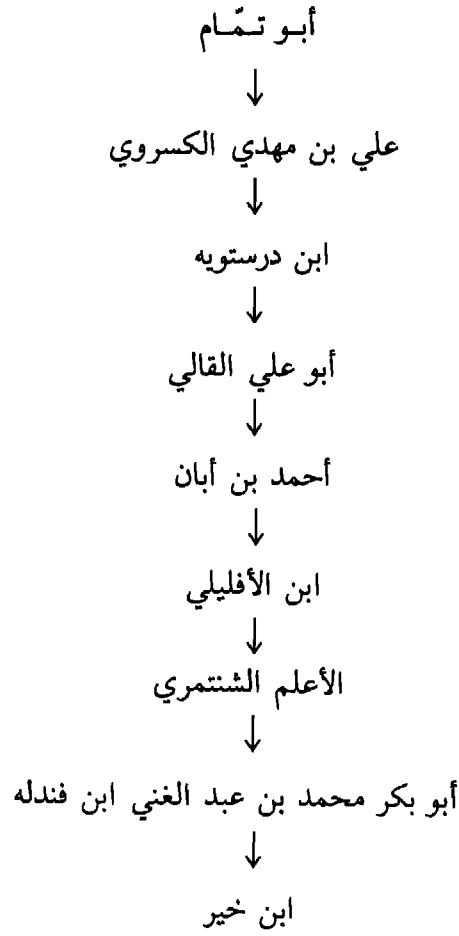
وكانت في المرية لهذا العصر حلقة يدرّس فيها الأديب أبو الأصبغ عبد العزيز الجهني شعر الطائي، قال ابن الأبار «أخذ عنه الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس، وسمع منه شعر حبيب، قرأت ذلك بخط أبي جعفر». والوزير المذكور هو صاحب الأخبار الغربية المذكورة في الذخيرة وغيرها⁽⁴²⁾.

وقد بلغت حلقات «الشعرين» ذروتها خلال القرنين السادس والسابع في قرطبة واشبيلية وبلنسية، فابن خير الفاسي الإشبيلي (ق 6) على سبيل المثال يروي شعر أبي تمام من طرقٍ ثلاثٍ أولها هكذا:

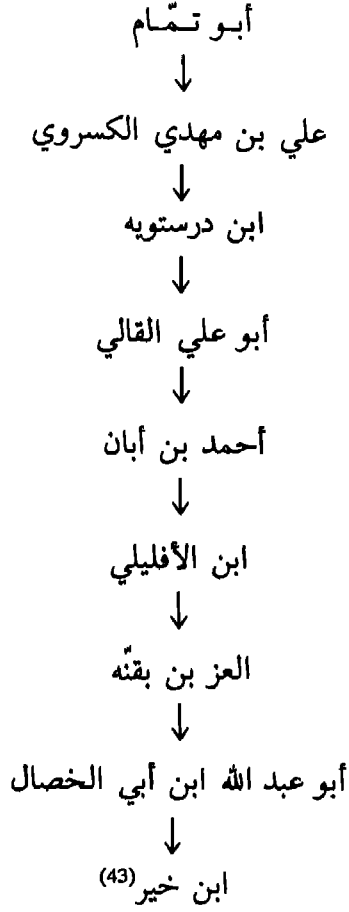
(41) تكلمة ابن الأبار: 407 ونفح الطيب 3: 397 - 398.

(42) ترجمة عبد العزيز الجهني في التكملة رقم 1737 وأخبار الوزير ابن عباس في الذخيرة والتبيان والإحاطة ونفح الطيب وغيرها.

أبو تمام
↓
علي بن مهدي الكسروي
↓
ابن درستويه
↓
أبو علي القالي
↓
أحمد بن أبان
↓
ابن الأفليلي
↓
عبد الملك بن سراج
↓
جعفر بن محمد بن مكّي
↓
ابن خير



وثالثها:



(43) فهرسة ابن خير: 402 - 403.

ومن الحلقات الإشبيلية في هذا القرن السادس الهجري حلقة الأديب
النحوي الشاعر أبي العباس أحمد بن علي الإشبيلي المنبوز باللص، لقبه
بذلك قرينه الأديب الشاعر أبو بكر الأبيض في صغره لإغثارته بزعمه على
الأشعار فغلب عليه، وهو يروي شعر أبي تمام حسب السند الآتي :



وقد ذكر ابن الأثير أنه «كان يقرأ عليه شعر أبي تمام حبيب بن أوس رحمه الله»⁽⁴⁴⁾ وممن رواه عنه أبو العباس الجراوي .

أما في القرن السابع فلعل أشهر حلقة «للشعرين» في قرطبة هي حلقة أبي جعفر الحميري الوردعي «آخر من انتهى إليه علم الآداب بالأندلس» حسب عبارة عبد الواحد المراكشي الذي درس عليه وقال فيه: «ما رأيت أروى لشعر قديم ولا حديث ولا أذكر لحكاية تتعلق بأدب أو مثل سائر أو بيت نادر أو سجعة مستحسنة منه»⁽⁴⁵⁾ .

وقد تخرج به كثير منهم ولده عصام وعبد الواحد المراكشي مؤلف المعجب وأبو عبدالله الحميري الاستجي الذي ستأتي الإشارة إليه في شرح المتنبي . ولم تكن طريقة هذا الشيخ تقتصر على ما يتعلق بشعر حبيب أو المتنبي وإنما كان يستمع في خلال ذلك إلى محاولات طلبته الشعرية مصلحاً تارة ومستحسناً تارة أخرى . كما يبدو من قصة ولده عصام وعبد الواحد المراكشي ، وقال تلميذه وقريبه الحميري: «وكان على شاخته رحمه الله ثابت الذهن مقبل الخاطر، حافظاً أليماً: -

يروع ركانةً ويذوب ظرفاً

فما تدري أشيخ أم غلام⁽⁴⁶⁾

نأتيه بمقاطيع الشعر فيصلحها لنا ويقف على ما نستحسنه منها فنجده أثبت منا» .

وفي هذا القرن السابع كانت حلقة أبي الربيع الكلاعي في بلنسية وقد درس في هذه الحلقة الأدبية شعر أبي تمام، وممن رواه على ذلكم

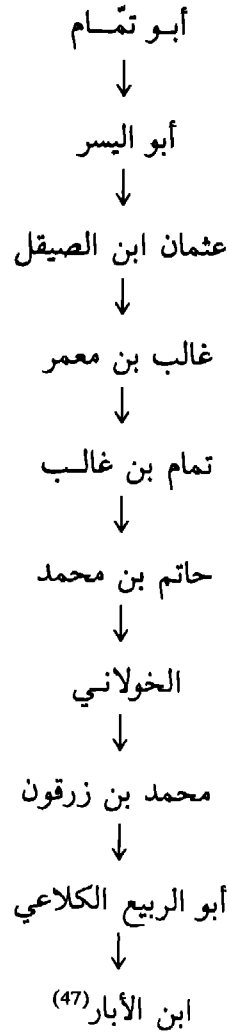
(44) ترجمته في التكملة: 80 والذيل والتكملة 1: وبغية الوعاة 1: 344: ونفح الطيب 4: 112:

و193 وما بعدها، وراجع كذلك المغرب والمغرب .

(45) المعجب: 300 - 304 ط. القاهرة 1949 م .

(46) الإحاطة 2: 315 والمعجب: 302 - 303 .

الشيخ المجاهد الشهيد أدباء كبار من طبقة ابن عميرة المخزومي وحازم
القرطاجني وابن الأبار، وفيما يلي سند هذا الأخير في شعر أبي تمام رواية
عن شيخه الكلاعي:

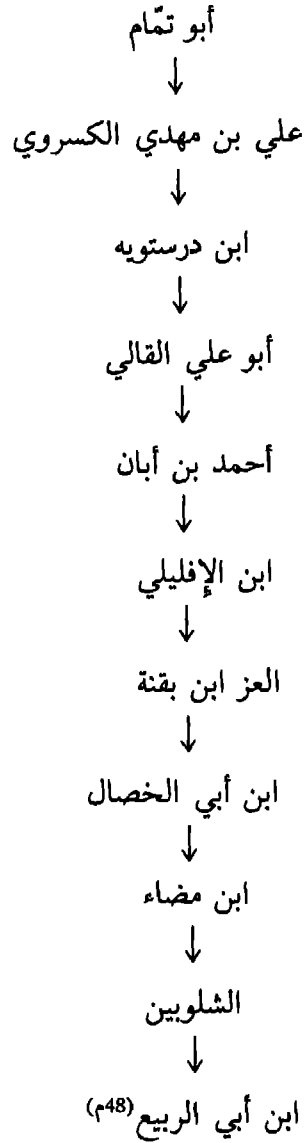


واشتهرت بإشبيلية في هذا القرن حلقات متعددة كان يدرس فيها شعر

(47) التكملة: 174 .

حبيب، منها حلقات الدبّاج وأبي علي الشلوين وأبي بكر محمد بن طلحة الأموي، فأما الدبّاج فقد مرت الإشارة إلى حلقاته، وأمّا الشلوين فكان معاصر الدباج ومنافسه، ولكنه فاقه شهرة، وكان - فيما يذكر - ابن سعيد - يدرس العربية وآدابها بلهجة أندلسية منحرفة عن أوضاع النحو كثير الضحك، وكان يحتد عند المناقشة فيخرج عن طوره قال ابن سعيد: «واتفق له مع ابن الصابوني الشاعر الحكاية المشهورة، وذلك أن الشاعر المذكور كان يلقب بالحمار ويغتاظ من ذلك، فبينما هو ذات يوم يقرأ عليه كتاب «الإيضاح» إذ مرت مسألة «السمن منوان بدرهم» وتشعبت المذاكرة إلى أن اغتاظ الأستاذ عليه. فزحف إليه من صدر مجلسه وقال له: يا حمار، يا حمارين، وجعل يصعد هكذا شيئاً فشيئاً إلى أن قال له: يا مائة ألف حمار! يا ملء الأرض حميراً؛ ثم جعل إصبعه في أذنيه ونهق وهو يزحف إليه، واجتمعت العامة على باب المسجد، وكانت حالة مضحكة» لقد كان هذا الأستاذ الشعبي ولد الخباز طويل اللسان ذا حكايات مضحكة ولكنه كان في تدريس دواوين الشعر كديوان أبي تمام وديوان أبي الطيب وأمّهات الأدب الكامل وغيره «كالعارض الصيب»، أما تلميذه المذكور فقد أصبح شاعر إشبيلية بل شاعر الأندلس الأول في عصره⁽⁴⁸⁾، ومن أشهر تلاميذ الشلوين - وهم كثير - ابن أبي الربيع الإشبيلي مستوطن سبتة، ويهمننا هنا أن نورد سنده في شعر أبي تمام رواية عن الشلوين:

(48) انظر فيما ذكرناه: اختصار القدر المعلى: 152 - 154 وكذلك ص 69 وما بعدها.



(٢٤٨) برنامج ابن أبي الربيع لابن الشاط. تحقيق د. عبد العزيز الأهواني. مجلة معهد المخطوطات العربية.

وأما أبو بكر محمد بن طلحة الأموي فقد درّس العربية والآداب بإشبيلية أزيد من خمسين سنة، ومما كان يدرّس في حلقاته «شعر حبيب» وممن رواه في هذه الحلقة أبو الحسن الرعيني صاحب البرنامج المعروف⁽⁴⁹⁾.

والواقع أن قاعدة رواية شعر أبي تمام ودراسته اتسعت في هذا القرن وما بعده، ويطول أمر تتبعها في مختلف فروعها في الأندلس والمغرب، فلنكتف بهذا القدر.

وقد تخرج بالشلوين والدباج وأبي الربيع الكلاعي عدد من أهل الأدب أشهرهم ابن سعيد العمّاري وابن عميرة وابن الأبار وحازم القرطاجني وأبو جعفر اللبلي، ومن طريق هؤلاء ومعهم انتقل السند الأندلسي إلى بجاية في المغرب الأوسط، وتونس في المغرب الأدنى، وقد نصّ ابن خلدون في المقدمة على أن سند أهل أفريقية الحفصية «متصل بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عند تغلب النصارى على شرق الأندلس واستقروا بتونس وعنهم أخذ ولدانهم»⁽⁴⁹⁾. وهكذا نجد الغبريني مؤلف عنوان الدراية (ق. 7) يقرأ في بجاية علي أبي عبدالله محمد بن الحسن القلعي «قصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبي»⁽⁵⁰⁾ ونراه يشير إلى مجلس أبي الحجاج يوسف بن يخلف الجزائري (ق 7) الذي كان «يعرب فيه شعر حبيب والمتنبي»⁽⁵¹⁾.

وتمثل ذلك في بيئة أدبية جيدة في كل من تونس وبجاية خلال القرن السابع، وهي بيئة تميزت باعتماد الأصول والتعلق بالفحول مثل أبي تمام والمتنبي، يقول الغبريني:

(49) برنامج الرعيني : 79 - 80 تحقيق إبراهيم شوح.

(49م) مقدمة ابن خلدون: 1361 تحقيق د. علي عبد الواحد وافي. ط. 2.

(50) عنوان الدراية: 40 المطبعة الثعالبية 1910.

(51) المصدر نفسه: 47.

«وكان (أبو عبدالله التميمي القلعي) يسلك في شعره على طريق حبيب بن أوس، وكان صاحبه أبو عبدالله الجزائري يسلك في شعره سلوك المتنبي، وكانا يتراسلان الأشعار، يجاوب كل واحدٍ منهما الآخر على طريقته، فكان الأستاذ (القلعي) رحمه الله ينحو نحو حبيب، والأديب أبو عبدالله الجزائري ينحو نحو المتنبي، ولولا الإطالة لأتيت من شعر كل واحدٍ منهما بما يستظرف معناه ويروق محياه»⁽⁵²⁾.

ولو وصل إلينا شعر هذين الرجلين لعرفنا مستوى تأثرهما بطريقتي شاعري العربية الكبيرين.

ونحن نلمح بالفعل شيئاً من تأثر القلعي ببناء القصيدة التّمامية من خلال النموذجين اللذين أوردهما الغبريني، ولا سيما قصيدته التي مطلعها:

الخَبْرُ أَصْدَقُ فِي الْمَرَأَى مِنَ الْخَبَرِ
فمَهَّد العذر، ليس العينُ كالأثر⁽⁵³⁾

فهي وإن كانت - على ما فهمت - معارضةً لقصيدة ابن عبدون المشهورة:

الدهرُ يفجعُ بعدَ العينِ بالأثرِ
فما البكاءُ على الأشباحِ والصّورِ

إلا أن المطلع من حيث طريقة بناء جملة الشعرية أوثق اتصالاً وأقرب احتذاءً إلى مطلع العمورية:

السيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ
في حده الحَدِّ بين الجدِّ واللّعبِ

(52) المصدر نفسه : 43 .

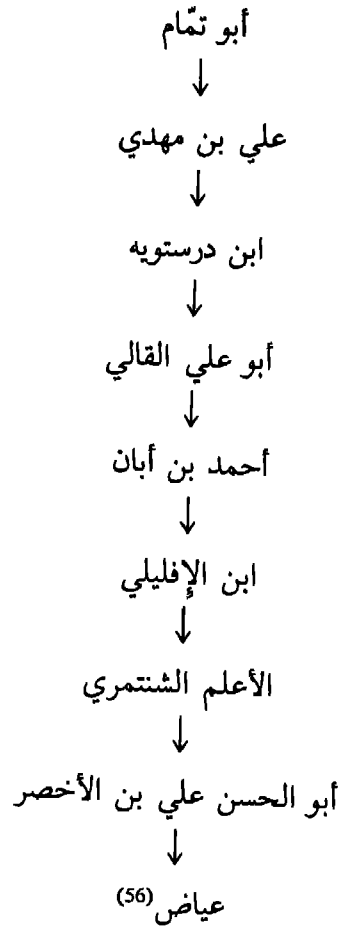
(53) المصدر نفسه : 42 .

ويقول الغبريني في القلعي المذكور: «وهو أكثر الناس شعراً، وقد شرع في تدوين شعره عام ثلاثين وستمائة، وهو في كل عام يقول منه ما يكتب في ديوان وعاش بعد شروعه في تدوينه ثلاثاً وأربعين سنة، ولو تم له تدوينه لكان في مجلدات كثيرة ولكن بأيدي الناس منه كثير، وتواشيحه حسنة جداً»⁽⁵⁴⁾. وهذا النص يؤكد الأثر المزدوج الذي كان للمشيخة الأندلسية في بجاية، وهذا السند الأندلسي الذي كان قوياً في تونس استمر موصولاً حتى القرن الثامن حيث نجد ابن خلدون يحفظ شعر حبيب وطائفة من شعر المتنبي بإشارة من شيخه أبي عبدالله محمد بن بحر إمام العربية والأدب بتونس⁽⁵⁵⁾.

وإذا كان سند أهل شرق الأندلس هو الغالب في إفريقية الحفصية فإن السند الذي روى بالمغرب الأقصى في «الشعرين» هو سند أهل إشبيلية وقد انتشر بواسطة القاضي عياض أولاً وهذه صورته:

(54) المصدر نفسه : 43 .

(55) التعريف بابن خلدون : 17 تحقيق المرحوم محمد بن تاويت الطنجي .



(56) الغنية: 178 تحقيق ماهر جرار.

ثم انتشر بعد ذلك بواسطة سند ابن أبي الربيع الإشبيلي مستوطن
إشبيلية وأضرابه، وقد مر ذكره.

وليس معنى هذه الأسانيد التي وقفنا عليها عند بعض المغاربة أن
شعر أبي تمام لم يعرف في بلاد المغرب إلا في عصر المرابطين وما بعده،
إذ إن الأخبار والاشارات تدلّ على أنه عرف قبل ذلك بكثير، فقد رحل
الشاعر بكر بن حماد التاهرتي إلى المشرق واجتمع في العراق بأبي تمام
وطبقته وسمّاه في أبيات يحرض فيها المعتصم على دعبل الخزاعي يقول فيها:

أيهجو أمير المؤمنين ورهطه
ويمشي على الأرض العريضة دعبل

إلى أن يقول:

وعاتبني فيه حبيب وقال لي
لسانك محذورٌ وسمك يقتل⁽⁵⁷⁾

ولا بدّ أن بكر بن حماد كان من أوائل من أشاعوا شعر أبي تمام في
البيئات الأدبية المغربية، كما عرفت القيروان وشعراؤها أبا تمام في وقت
مبكر بواسطة كل من أبي اليسر الرياضي وأبي علي القالي اللذين أقاما فترة
بالقيروان قبل أن ينتقلا إلى الأندلس⁽⁵⁸⁾، وقد ظهر أثر شعر أبي تمام في
شعر عددٍ من شعراء القيروان كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.

وكان شعر أبي تمام معروفاً في المغرب الأقصى منذ أواخر العهد
الإدريسي حتى في بيئات كانت تسود فيها اللغة الأمازيغية، وقد ورد
الاستشهاد به في رسالة لموسى بن أبي العافية وجّهها إلى عبد الرحمن
الناصر، وجاء فيها من وصف وقعة بين ابن أبي العافية والعبديين ما يلي:
«وجالت الخيل بيننا وبينهم جولة أخطأ فيها الحكيم حكمته وأضلّ فيها

(57) البيان المغرب 1: 154 تحقيق كولان وبروفنسكال والحلة السراء 1: 173، 183 تحقيق د.

حسين مؤسس. ورياض النفوس 2: 16-19 ومعالم الإيمان 2: 192.

(58) فهرسة ابن خير: 395.

العاقل سمته، كما قال حبيب بن أوس الطائي:

في ساعةٍ لو أنّ لُقمَاناً بها

وهو الحكيمُ لكانَ غيرَ حَكِيمٍ»⁽⁵⁹⁾

إن الأسانيد الإشبيلية وغيرها في شعر أبي تمام هي التي حملها أعلام الأدب في مملكة غرناطة حيث ظل الشفوف موقوفاً على أبي تمام والمنتبي برغم محاولة البعض اللحاق بغبارهما، يقول إبراهيم الساحلي الملقب بالطويجن في وصف قصيدة له:

وقف ابن أوسٍ دونها وتخصّبت

في نسج حلتها أكفُّ البحترى⁽⁶⁰⁾

ويقول ابن الخطيب السلماني:

ولو نشر الطائي يوم اجتلائها

لجلّله من أجل إشارها غم⁽⁶¹⁾

ويتواضع فيقول مورياً:

«متنبىء» أنا في حلى تلك العلى

لكن شعري فيك شعر «حبيب»

والطبّع فحلّ والقريحة حرة

فاقبله بين نجيبة. ونجيب⁽⁶²⁾

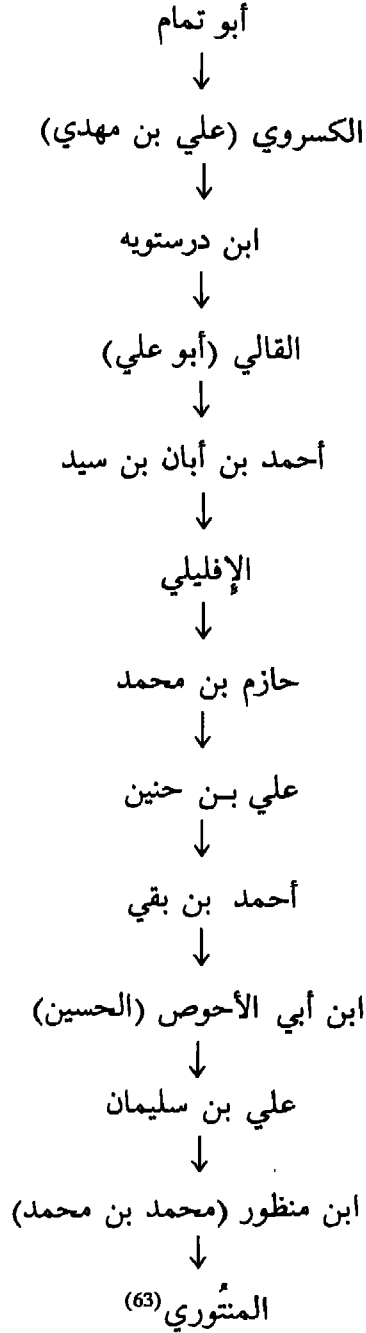
ومن الأسانيد التي وقفنا عليها في آخر هذا العصر سند أبي عبدالله محمد بن عبد الملك المنتوري آخر مسندي الأندلس في هذا الباب (ت 834هـ) وهذا رسم سنده:

(59) المقتبس 5: 372.

(60) انظر ترجمته وبعض أشعاره في الإحاطة والنفح والكتيبة الكاملة وغيرها.

(61) من ميمية له طويلة وردت في بغية الرواد 2 ص 300 وما بعدها.

(62) من مذهبه البائية الطويلة في نفح الطيب 6: 459.



(63) برنامج المتتوري . مخطوط الخزانة الحسينية بالرباط .

وقد عاش هذا السند في المغرب حتى أواخر القرن الحادي عشر حيث نجده عند عبد القادر الفاسي⁽⁶⁴⁾.

3- ومن الطبيعي أن تؤدي حركة رواية شعر أبي تمام وتدرسه إلى وضع شروح عليه، وهذا هو المستوى الثالث للعناية بأبي تمام في الأندلس، ولعل أقدم هذه الشروح هو شرح أبي العباس وليد الطبيخي (ت 352) الذي وصل إلينا شرحه لشعر مسلم بن الوليد، وقد ضاع مع الأسف شرحه لشعر أبي تمام، وهو شرح «أخذه عنه الناس» كما يقول ابن الفرضي⁽⁶⁵⁾، وإذا كان هذا الشرح مفقوداً فإن ما بقي من شرحه لشعر مسلم يعطينا فكرة عن طريقته في الشرح وهي طريقة تتميز ببسط المعنى وتقريبه إلى مختلف المستويات، وهذه كانت طريقته أيضاً في الإقراء والتدريس قال الزبيدي: «وكان بصيراً بمعاني الشعر حسن التلقين لمن تبلى فهمه عنها وكان يقربها ويضرب الأمثال فيها حتى عرف بذلك»⁽⁶⁶⁾ وهذا يدل على مهارة في الطريقة وتمكن في المادة، وحوالي التاريخ الذي ألف فيه الطبيخي شرحه في الأندلس ظهر في المشرق شرح معاصره الصولي، ونظن أن الشعر الذي شرحه الطبيخي هو الذي كان أمر بانتساخه عبد الرحمن الناصر.

وشرح شعر أبي تمام في القرن الخامس الهجري أبو الحجاج يوسف ابن سليمان الملقب بالأعلم الشنتمري، وهو معروف بشروحه المتعددة لعدد من المتون الشعرية والأدبية والنحوية، قال القفطي في إنباه الرواة: «وكان حافظاً للأشعار قائماً عليها، عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي وأبي

(64) فهرس عبد القادر الفاسي المعروف بالإجازة، وهي التي عرف بالرجال المذكورين فيها باللغة الفرنسية المرحوم محمد بن أبي شنب.

(65) تاريخ العلماء 2: 159.

(66) الطبقات: 329.

الطيب المتنبّي كثير العناية بهما خاصة^(66م) لقد ذكر الأعلام شرحه في شعر أبي تمام عند سرد مؤلفاته في مقدمة شرح حماسته⁽⁶⁷⁾، وروى القاضي عياض هذا الشرح عن أبي الحسن علي ابن الأخضر الإشبيلي تلميذ الأعلام وذكره من مروياته عنه في فهرسته المعروفة بالغنية⁽⁶⁸⁾، ولم نقف على أي ذكر له بعد ذلك في المظانّ التي رجعنا إليها.

ومن حسن الحظ أننا اهتدينا إلى نسخة من هذا الشرح في خزانة القرويين تحت رقم 1839 كانت منسوبة إلى غير مؤلفها وهي نسخة تقع في سفر كبير غير محبوك، وهي في وضعها المحفوظ في الخزانة مختلطة الأوراق مشوشة الترتيب وقد أخذت لي صورة منها على هذه الحال، والورقة الأخيرة توجد في الوسط رقم 171 ونقرأ فيها ما نصّه: «تم السفر بتمام جميع شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي شرح الأستاذ النحوي الأديب اللغوي أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى رحمه الله، وذلك يوم الخامس والعشرين من شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وتسعمائة» وقد اجتهدنا في ترتيب أوراقها المختلطة فتبين لنا أنها تامة تقريباً ولا ينقصها إلا ورقتان أو ثلاث من الأول، كما قُمنا بضبطها وتحقيقها، وسنقدمها للطبع قريباً بإذن الله رغم رداءتها وكثرة التحريف والتصحيف فيها.

ويبدو ممّا ذكرناه أن هذا الشرح لم يشتهر وينتشر، مثل بقية شروح الأعلام، ولذلك لم يذكر في تراجمه، ولم يرد في كشف الظنون وشبهه، ولعلّ الخطيب التبريزي وقف عليه ولم يسمّه، فهو يقول معدداً مصادره في شرح شعر أبي تمام ما نصّه: «وما وقع إلي ممّا رُوي عن أبي علي

(66م) إنباه الرواة 1: 183.

(67) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 101 ق.

(68) الغنية: 178 وبغية الوعاة 2: 174 نقلاً عن الغنية.

المعروف بالقالبي وغيره من شيوخ المغرب» (٢٦٨).

وتدلّ القراءة السريعة لهذا الشرح على أن الأعلام الشتمري قصد فيه على ما يبدو إلى تقريب شعر أبي تمام من عامة الطلاب ولهذا اقتصر على حلّ الأبيات بأوجز عبارة، والاختصار هو السمة الغالبة على هذا الشرح، فهو يخلو تماماً من الشواهد التي يلجأ إليها الشتمري في شروحه الأخرى، كما يخلو من ذكر الروايات وسرد الأقوال على نحو ما نجد في شرح ترتيب الحماسة وشرح شواهد الكتاب، ولعلّ الأعلام أشار في المقدمة أو الديباجة المتبورة إلى طريقته في هذا الشرح، وإذا كنا نجد يشير في شرح شعر الصبا من ديوان المتنبي إلى بعض الشراح الذين سبقوه فإنه في شرحه هذا لا يذكر أحداً من شراح أبي تمام قبله كالطبيخي أو الصولي مثلاً.

على أن للأعلام منهجاً عاماً في شروحه أشار إليه في مقدمات شروحه، ومنها مقدمة شرح الأشعار الستة قال: «ولم أطل في ذلك إطالةً تخلّ بالفائدة، وتملّ الطالب الملتمس للحقيقة، فإنني رأيتُ أكثر من ألف في شروح هذه الأشعار قد تشاغلوا عن كشف المعاني وتبيين الأغراض بجلب الروايات والتوقيف على الاختلافات والتقصي لجميع ما حوته اللفظة الغريبة من المعاني المختلفة حتى إنّ كتبهم خالية من أكثر المعاني المحتاج إليها ومشملة على الألفاظ والرواية المستغنى عنها» (٦٩) وهذا هو المنهج الذي أخذ به في شرح شعر أبي تمام أما الشعر الذي شرحه فهو ما اشتملت عليه النسخة الأندلسية التي رواها أبو علي القالي وأكملها ابن الإفليلي شيخ الأعلام، وقد سار في الشرح حسب ترتيب القصائد في هذه النسخة العتيقة.

(٦٨م) مقدمة شرح التبريزي: 2 وكشف الظنون.

(٦٩) مقدمة شرح الأشعار الستة.

ولعل من المفيد أن ندرج هنا شرحه لإحدى القصائد كمثال تام لطريقته في الشرح، ولتكن القصيدة الآتية:

«وقال يمدح يحيى بن ثابت ثم صيّرهما في محمد بن حسان:

1- قَدْكَ اتَّيَّبْتُ أُرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ
كَمْ تَعْدَلُونَ وَأَنْتُمْ سُجْرَائِي

معنى «قَدْكَ حَسْبُكَ»، ومعناها اكْفُفْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، ومعنى اتَّيَّبْتُ استحي، وهو من الإبة والتؤبة، وهو كلُّ ما يستحي منه، ومعنى «أُرْبَيْتَ» زدت، وأصله من الربا، و«الغُلُوءِ» التجاوز في الغلو، و«السُّجْرَاءِ» جمع سجير وهو الصديق المملوء محبة، وأصله من البحر المسجور.

يقول لعاذله على البكاء: اكفف عن عذلي واستحي مني فقد زدت في غلواء عذلك؛ ثم رجع من خطاب الواحد إلى خطاب الجماعة فقال: كم تعدلون وأنتم أصحابي وإخواني هلاً ساعدتموني كما يساعد السجير سجيّره ولم يقطعوني ملاماً.

2- لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي
صَبُّ قَدْ اسْتَعَذَبْتُ مَاءَ بُكَائِي

رجع إلى خطاب عاذله وحده، يقول: لا تلمني على البكاء فإنني لا أصغي إلى قولك ولا أقبل نصحك لأنني مستحل للبكاء مستعذب لمائه ولما ذكر ماء البكاء جعل للملام ماء استعارةً ومثلاً.

3- وَمَعْرَسٍ لِلغَيْثِ تَخْفِقُ بَيْنَهُ
رَايَاتُ كُلِّ دُجْنَةٍ وَطَفَاءِ

«المعرس» موضع نزول المسافر في آخر الليل ليستريح، فاستعاره للغيث لنزوله فيه، و«الرايات» البنود، و«الدجّة» السحابة المظلمة المطبقة للسماء و«الوظفاء» الدانية من الأرض التي تراها كان لها خملاً متصلاً بالأرض، والعين الوظفاء الكثيرة شعر الشفر.

يصف روضة لازمها الغيث فخفقت فيها راياته، وهذا مثل وحقيقته أنه أراد كثرة المطر، ويحتمل أن يريد بالرايات البروق.

3- نشرتُ حدائقه فصرنَ مآلفاً

لطرائف الأنواء والأنداء

يقول: نشرت هذه الدجّة حدائق ذلك المعرّس فصارت الحدائق مواضع تألفها طرائف الأمطار، وطرائفها: ما أنبتته في الحدائق من ضروب النبات وأصناف الزهر، ومعنى «نشرت حدائقه» أظهرت بهجة رياضه.

4- فسقاهُ مسكَ الطلِّ كافورُ الصِّبا

وانحل فيه خيطُ كلِّ سماءٍ

5- عنى الربيعُ بروضِهِ فكأنما

أهدى إليه الوشيَّ من صنعاءٍ

يقول: عنى الربيع بروض هذا المعرّس وأكمل نبتة ونوّره فكأنما أهدى إليه وشياً صنعانياً وهو من أفضل الوشي.

7- صبّحتُه بسُلافَةٍ صبّحتُها

بسُلافَةِ الخُطّاءِ والنّدماءِ

سلافة الخمر خالصها وما سال منها دون عصر. يقول: أتيتُ هذا

المعرّس صباحاً سلافة خمر صبّحتها للشرب سلافة من الخلطاء والندماء
أي ما خلص منهم والذين هم في الإخوان كالسلافة في الخمر.

8- بِمُدَامَةٍ تَغْدُو المُنَى لِكُوْسِهَا
خَوَلًا عَلَى السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ

المدامة: الخمر التي أديمت في ذنّها حتى عتقت، والخول: الأعدوان. يقول: صبحت المعرس بمدامة ساعف المنى كؤوسها فتعينها على الزيادة في السراء وعلى إذهاب الضراء.

9- رَاحٌ إِذَا مَا الرَّاحُ كَنَّ مَطِيهَا
كَانَتْ مَطَايَا الشُّوقِ فِي الأَحْشَاءِ

الراح الأولى الخمر والراح الثانية جمع راحة: الكفّ. يقول: إذا حملت هذه الرّاح التي هي الحمر على راح الأُكف إلى أقوام [مولعين] بالشراب حملت الشوق والهوى إلى أحشائهم، فأكفهم مطي للخمر والخمر مطية للشوق تحمله حتى يحل في الأحشاء.

10- عِنْبِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ سَبَكْتُ لَهَا
ذَهَبَ المَعَانِي صَاغَةَ الشُّعْرَاءِ

يقول: هي من أفضل الخمر لأنها عنبية الأصل ذهبية اللون فالشعراء تتسابق في وصفها فتسبك لها من المعاني ما هو شبيه بالذهب في حسنه.

11- صَعَبْتُ وَرَاضَ المَرْجُ سَيِّءٌ خُلِقَهَا
فَتَعَلَّمْتُ مِنْ حُسْنِ خُلُقِ المَاءِ

يقول: كانت هذه الخمر قوية شديدة صعبة فلما مُزجت بالماء راضها المزج ولين شدتها وأحسن خلقها حتى صارت آخذة من حسن خلق الماء ولينه.

12- خرقاء يلعبُ بالعقولِ حَبَابُهَا

كتلاعِبِ الأفعالِ بالأسماءِ

إنما جعل الخمر خرقاء لأنَّ شاربها يخرق فنسب ذلك إليها لأنها سبب الخرق، ثم قال: وهي مع خرقها تلعب بالعقول وتصرفها على حكمها كما تصرف الأفعال الأسماء من نصب إلى رفع ومن رفع إلى نصب؛ والحباب: طرائقها إذا مزجت بالماء، وجعل العقل للحباب لأن حبابها منها ففعله من فعلها.

13- وضعيفةٌ فإذا أصابتُ فُرْصَةً

قتلتُ كذلك قُدْرَةَ الضّعفاءِ

يقول: الخمر مع قوة جوهرها ضعيفة لا تبطش، فإذا أكثر منها وجدت بذلك فرصةً فبطشت بشاربها فصرعته سكراناً كالقتيل، وكذلك الضعيف أبداً إذا وجد فرصة انتهزها وبطش بصاحبه ولم يستبق شيئاً من جهده وطاقته لأنه قد علم أنه متى أبقي على صاحبه عطف عليه فلم يقاومه، وهذا كقول جرير:

يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حراكَ لَهُ

وهنَّ أضعفُ خلقِ الله إنساناً

14- جهميّةُ الوُصّافِ إلّا أنّهم

قد لُقّبوا جوهر الأشياءِ

مذهب جهم ألا تثبت صفة للباريء سبحانه من الصفات التي يقع فيها الاشتراك فيوصف بها المخلوقون كقولنا عالم وراحم تقول الجهمية: لا نقول الله عالم إنما نقول الله ليس بجاهل فننفي عنه ضد هذه الصفة التي تكون للمخلوق ولا نقول عالم لأن هذه الصفة تكون للمخلوق فكأن شَبَّهنا الله تعالى بغيره حيث وصفناه كما يوصف غيره وكذلك يفعلون في سائر الصفات.

يقول أبو تمام: هذه الخمر لا نظير لها فهي لا توصف بما يوصف به غيرها ولكن ينفي عنها أزداد الصفات كما فعل جهم في صفات الباريء جلّ وعز، ثم قال إلاّ أنهم يلقّبونها بلقب تنفرد به لا يشركها غيرها فيه وذلك اللقب أن يقال: هي جوهر الأشياء، فإذا كانت جوهر الأشياء والأشياء كلّها أعراض فقد أفردت بلقب لا يكون لغيرها لأن اسم الجوهر لا يقع على العرض كما أن قولنا: إله وخالق لا يقع لغير الله تعالى وهذا مما يثبت جهم فإذا سميت الخمر جوهرًا فسائر الأشياء أعراض، والجوهر أفضل من الأعراض، والخمر إذن أفضل الأشياء.

15- وكأنّ بهجتها وبهجة كأسها

نارٌ ونورٌ قيّداً بوعاءٍ

يقول: كأنّ شعاع هذه الخمر وبهجتها وشعاع كأسها وبهجته حين اجتماعاً فقيداً بوعاء واحد، فشبه الخمر بالنار لحمرتها وشبه الكأس بنور الشمس أو غيرها من النيران لبياضها.

16- أو درّة بيضاء بكر أطبقت

حبلاً على ياقوتة حمراء

شبه الكأس لبياضها بدرة بكر وهي التي لم تثقب وذلك أصفى لها وأشد لبياضها وجعل الخمر في جوف الكأس كياقوتة قد حملت بها هذه الكأس التي هي كالدرّة وأطبقت عليها كما تطبق على حملها، وقد ملّح ما شاء في قوله: بكر؛ ثم قال أطبقت حبلاً والبكر لا تحبل البتة ما دامت بكرًا.

17- ومسافةٍ كمسافةٍ الهجرِ التقت

في صدرٍ باقي الحزنِ والبرحاءِ

يقول: ربّ مسافةٍ قطعها وهي في الصعوبة والشدة على النفوس

والبعد بمنزلة مسافة الهجر عند العاشق المهجور.

18- بيدٍ لنسلِ الرِّيحِ في إمليدها
ما شئتَ من عدوٍ ومن عدوٍ

البيد جمع بيداء وهي القفر ونسل الريح: الإبل، ويقال إنها خلقت من الريح والعدو شدة السير، والعدواء: مشقته على النفس وعدوانه عليها، والعدواء أيضاً البعد والإمليد الأملس الذي لا شيء فيه؛ يقول: تلك المسافة في قفار للإبل في مستويها وأملسها ما شئت من شدة العدو وعدوانه.

19- مزَّقتُ ثوبَ عُكوبِها بركوبِها
والنَّارُ تنبع من حصي المَعزاءِ

يقول: قطعت هذه المسافة ومزقت ثوب غبارها الذي تثيره الإبل لشدة سيرها بركوب هذه المسافة وكان قطعي لها في الهاجرة وشدة الحر، والنار تنبع وتنبعث من حصي المعزاء لشدة حمى الشمس عليها، والمعزاء الأرض الصلبة ذات الحصى والعكوب: الغبار.

20- بأبي محمّد امتحنت قصائدي
ورفَعْتُ للمستنشدِين لِوائي
يحيى بن ثابت الذي سنّ الندى
وحوى المكارم من حياً وحياً

يقول: أول ما رضت نفسي وامتحنت شعري في هذا الرجل فهو أول من مدحته حتى عرفت بالشعر فلما عرفت به وشهرت كنت كمن رفع لواءه فشهري موضعه فقصدني الناس يستنشدوني فأشندتهم...

ولى ابن حسان اغتدت بي همّة
وقفت عليه خلّتي وإخائي

يا غاية الأدباء والظرفاء بَلْ
يا سيد الشعراء والخطباء
يقول: أفضت بي همة إلى ابن حسان فوقفتُ عليه صداقتي وأخوتي
فأنا لا آمل غيره ولا أعتد سواه.

عرفت بكل الآداب مجملَةً كَمَا
عُرِفْتُ قريشُ الله بالبَطْحَاءِ
يقول: الآداب مجملَةٌ لا يشدُّ منها شيء عنك، كما أن قريشاً
جميعهم في مكة وبطحائها لا يعمرّون من الأرض غيرها، وإنما أضاف
قريشاً إلى الله تعالى لأنهم كانوا خدمة البيت الحرام وجيرانه.

ساويتَهُمْ أدباً وجودكُ شاهدٌ
بَلْ حَالِفٌ أَنْ لستُمْ بِسَوَاءِ
يقول: ساويت الأدباء والظرفاء والشعراء والخطباء في الأدب وفضلتهم
بالجود والكرم وجودك شاهد بل حالف أنك أفضلهم.

بِخِلَاتِقِي اسكنتها خلد الندى
فجهدت منها جهد كلِّ بلاء
أي فضلتهم بخلائق من الجود والكرم اسكنتها نفس الثرى وإنما
يعني نفس الممدوح فجهدت من تلك الخلائق كل جهد وأسكنت نفسك
منها كل ندى.

لَمْ يبقَ ذو غدرٍ لريبٍ ملامّةٍ
إلا وقد أجمتَه بوفاء
يقول: كلما غدرت ملامت الزمان، وخان ريبها الإنسان شغلها
بالوفاء والمشاركة حتى لم يبق لها فم إلا وهو ملجم بوفائك ويكون أيضاً أن

الزمان كان غادراً فتعلم الوفاء من هذا الممدوح.

وإذا تشاجرت الخطوبُ قريتها
رأياً يفلُّ مضارب الأعداء

يقول: إذا اختلفت الأمور وأشكلت صيرت لها رأيك قرى أي قابلها
برأي نافذ يفلُّ حدَّ العدو ويرد كيده والمضارب جمع مضرب وهو حد
السيف.

رأي لو استسقيت ماء نصيحة
لجعلته أرياً من الأراءِ

الأري: العسل، والأراء جمع رأي؛ يقول: رأيه كالعسل في حلاوة
موقعه من النفس والتشافي به، فلو كانت النصيحة ماء يستقى لظننت رأي
هذا الرجل - إذا استسقيته إياه مستنصحاً - عسلاً من آراء.

لما رأيتك قد غذوت مودتي
بالبشرِ واستحسنْتَ وجهَ ثنائي
انبطتُ في قلبي لوأيك مشرعاً
ظلتُ تحومُ عليه طيرُ رجائي

جعل البشر غذاء للمودة لأنه يؤكدها ويحمل صاحب المودة على
الرغبة في المودود وإضعاف مودته له، ومعنى انبطت استخرجت، والمشرع:
المورد من الماء. يقول: لما قابلتني بالبشر واستحسنْتَ ثنائي عليك ووعدتني
بالجميل من الفعل جعلت في قلبي مورداً من أجل وأيك، والوأي: الوعد،
فظلت طيور رجائي تحوم على ذلك المورد، وهذا مثل وإنما يريد تمكن
الرجاء من قلبه.

فثويتُ جاراً للحضيضِ وهمتي
قد طوّقتُ بكواكبِ الجوزاء

الحضيض أسفل الجبل؛ يقول: قد بسطت رجائي ومكنته حتى
سمت همتي إلى السماء فطوّقت بكواكب الجوزاء أي صارت لها كالطوق
فأنا وإن كنت في الأرض فهمتي في السماء.

إِيهِ فَدَتِكَ مَغَارِسِي وَمَنَابِتِي
اطْرَحْ غَنَاءَكَ فِي بَحُورِ عَنَائِي
يَسِّرْ لِقَوْلِكَ مَهْرَ فِعْلِكَ إِنَّهُ
يُنَوِي اقْتِضَاضَ صَنِيعَةٍ عَذْرَاءَ

قوله: إيه أي زدنا من عداتك الكريمة ونعمك الجزيلة، فدتك
مغارسي أي أصولي من آبائي وأجدادي، ومنابتي أي فروعي وأبنائي واطرح
غناءك أي نفعك وما أرجوه من نيلك، في بحور عنائي أي في كثرة عنائي،
وضرب البحور مثلاً للكثرة ثم قال مقتضياً لعدته: يسّر لقولك مهر فعلك أي
تمم العدة بالانجاز والقول بالفعل كما يتم النكاح بالمهر فإن قولك ينوي
منك لي صنيعاً بكرة لم تسبق إلى مثلها يفتضها كما تفتض الجارية البكر،
وهذا كله مثل واستعارة.

ومن هذا المثال يتبين ما ذكرناه من اقتصار الأعلام على ما يقرب
المعنى، وإعراضه عن الروايات المختلفة، وتجنبه للإطالة إلا ما كان من
بسطه بعض الشيء شرح بيت الجهمية، كما أن الشاهد الذي أورده - وهو
بيت عمر بن أبي ربيعة - يعد من قبيل النادر الذي يقع له في هذا الشرح.

وبمقابلة شرحه لهذه القصيدة مع شرح التبريزي ندرك جملة من
الفروق، منها استقلال الأعلام واعتماده على نفسه، بينما التبريزي يرجع
إلى المعري والصولي والمرزوقي وغيرهم من شراح أبي تمام.

ولعلّ أبرز الفروق بين الشرحين يتمثل في اختلاف الرواية، وترتيب
القصائد والأبيات أحياناً، مع اختلاف الألفاظ أحياناً، وقد أشرنا آنفاً إلى أن
الأعلام وضع شرحه على النسخة التي شاعت في الأندلس والمغرب، وهي

برواية أبي علي القالي، وليس لها ترتيب معين، وإنما جمعت فيها قصائد أبي تمام منقولة من القراطيس التي كتبها الشاعر بخط يده، وأول هذه النسخة القصيدة التي مطلعها:

عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلّما
وإن تعبت الأيام فيهم فربّما
وآخرها شعره في هجاء عياش بن لهيعة بعد موته:
لا سقيت أطلالك الدائرة
ولا أنقضت عثرتك العائرة

وتوجد من رواية القالي هذه - كما أسلفنا - نسخ منخطوطة في الأسكوريال والخزانة الحسينية بالرباط وفي آخرها وثيقة ذكرنا نصها فيما سلف وثبت صورتها في آخر هذا الفصل.

وفي أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس قام الأديب البطليوسي محمّد بن رزق الله الأموي باختصار شرح الطبيخي، وقد تحدث عن هذا الاختصار ابن الأبار فقال: «وله في شرح شعر حبيب بن أوس للطبيخي اختصاراً أفاد به وأضاف إليه من غيره ما دلّ على مكانه من النباهة رحمه الله»^(69م) وقال ابن عبد الملك المراكشي: «واختصر شرح الطبيخي شعر حبيب اختصاراً حسناً، وأضاف إليه فوائد شهدت بنبه وسعة معرفته»⁽⁷⁰⁾ ويستفاد من هذا الكلام أن شرح الطبيخي كان مطوّلاً، وأن شرح ابن رزق الله جمع بين شرح الطبيخي وشروح غيره، وقد يكون المقصود بها شرح الصولي وشرح الأعلم وغيرها، وهذا الشرح مفقود اليوم، ولذلك فإننا لا نعرف نوع الفوائد التي أشار إليها ابن عبد الملك،

(69م) التكملة . 417 .

(70) الدليل والتكملة 6 : 199 .

لقد كان ابن رزق الله أديباً ماهراً وكان تلميذاً ملازماً للشارح الكبير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي معاصر الأعلام ونظيره في شرح النصوص الأدبية.

4- وعلى مستوى النقد الأدبي عرفت الأندلس وبلدان المغرب شيئاً من الحركة النقدية حول أبي تمام وانتهى إليها بعض ذلك الصراع الأدبي الذي ظهر في المشرق حول الطائيين، فكان لأبي تمام في الأندلس أنصاره، ونستطيع أن نعدّ منهم أولئك الذين عنوا بنشر شعره وشرحه من أمثال عثمان بن المثني ومؤمن بن سعيد وأبي عبدالله الغابي وأبي عبدالله ابن الأصغر وغيرهم، وكان للبحثري متعصبون له، ومنهم عمر بن يوسف الحيطي (ت 338هـ) قال الزبيدي: «كان من أهل العلم بمعاني الشعر، حسن التكلّم فيه، وكان يتعصب للبحثري»⁽⁷¹⁾ وهو شاعر مدح الناصر الأموي بجملة قصائد، ولا بدّ أن تعصّب للبحثري جعله ينهج نهجه في الاسترسال مع الطبع والابتعاد عن الصنعة وهذا ما يفيدته قول الزبيدي: «وكان شاعراً مطبوعاً مجوّداً»⁽⁷²⁾ ويبدو أن شعراء إشبيلية وغرب الأندلس كانوا في الجملة من أنصار البحثري وعلى مذهبه، قال ابن بسّام في الذخيرة «وطريقتهم في الشعر الطريقة المثلى التي هي طريقة البحثري في السلاسة والمتانة والعدوية والرصانة»⁽⁷³⁾ وقد ذكر الزبيدي جماعة من شعراء إشبيلية في مطلع القرن الرابع ووصفهم بأنهم كانوا شعراء مطبوعين⁽⁷⁴⁾.

(71) الطبقات: 330 وكان مع تعصبه للبحثري يُقرئ شعر أبي تمام قال ابن الأبار في ترجمته: «حدث عنه أبو تمام غالب بن معمر التيباني بشعر حبيب» التكملة رقم 2218 (ملحق) والحيطي وردت بالخاء في التكملة والذيل والتكملة وطبقات الزبيدي ويبدو أن صوابها بالخاء فقد لقبه شيخه الحكيم بذلك لتكرره عليه شتاءً وصيفاً في قميصين فهو إذن مثل الحيطي وهو في اصطلاح الأندلسيين والمغاربة عبارة عن الاستار التي تكون على الحيطان الداخلية للقبّة أو الغرفة. انظر قاموس دوزى: 1: 337: والمراجع التي أشار إليها.

(72) الطبقات: 330.

(73) الذخيرة ق. 2 م. 1: 12.

(74) الطبقات: 301، 316، 332، 333.

وقد عرف أبو تمام عند نقاد الأندلس والمغرب - كما عرف عند نقاد المشرق - بأنه شاعر الصنعة، وفسرها ابن حزم بأنها «التأليف الجانح للاستعارة في الأشياء والتحليق على المعاني والكناية عنها» قال: «ورب هذا الباب من المتقدمين زهير بن أبي سلمى ومن المحدثين حبيب بن أوس»؛ وتوسع ابن رشيق في شرح المطبوع والمصنوع من الشعر، وأشار إلى مؤسس المصنوع صاحب الحوليات، واعتبر أبا تمام زعيم الصنعة، ووازن بينه وبين البحرني فقال: «وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها، فأما حبيب فيذهب إلى حزونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنيع المحكم طوعاً وكرهاً، يأتي للأشياء من بعد ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوة، وأما البحرني فكان أملح صنعة، وأحسن مذهباً في الكلام، يسلك منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا تظهر عليه كلفة ولا مشقة» ويظهر من كلامه أنه يتوسع في مفهوم الصنعة ولا يخلي شعر البحرني من قدر محمود منها، ووازن أيضاً بين أبي تمام ومسلم فقال: «غير أننا لا نجد المبتدئ في طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر انتفاعاً منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم بن الوليد لما فيهما من الفضيلة لمبتغيها ولأنهما طرّقا إلى الصنعة ومعرفتها طريقاً سابلةً وأكثرها منها في أشعارهما تكثيراً سهلها عند الناس وجسّهم عليها على أن مسلماً أسهل شعراً من حبيب وأقلّ تكلفاً» إن اهتمام ابن رشيق بأبي تمام في العمدة لا يدانيه إلا اهتمامه بالمتنبي كما سنرى في الفصل القادم، فقد وقف طويلاً عند صنعته وتكلفه واحتفاله بالمعنى وعدم مبالاته باللفظ، واشاد بجهارة ابتدائه وفخامته وروعته وأبهته، وساق أمثلة من ابتدائه ومطالعه، وذكر إجادته في الرثاء، وضعفه في الغزل، وتبريزه في القصائد، وتقصيره في القطع، وانتقده حيناً ودافع عنه حيناً، ونبه على اعتماده طريقة التصدير في صناعة قصائده أي أنه كان ينصب القافية للبيت ليعلق الأعجاز بالصدور.

وأما ابن شرف القيرواني فيبدو من مقامته الانتقادية أنه كان يفضل البحرني على أبي تمام قال في البحرني: «وأما البحرني فلفظه ماء ثجاج،

ودرّ رجراج، ومعناه سراج وهاج، على أهدى منهاج، يسبقه شعره، إلى ما يجيش به صدره، يسرّ مراد، ولين قياد، إن شربته أرواك، وإن قدحته أوراك، طبع لا تكلف يعيه، ولا العناد يثنيه، لا يملّ كثيره، ولا يستكفّ غزيره لم يهف أيام الحلم، ولم يصف زمن الهرم» وقال في أبي تمام: «وأما الطائي حبيب، فمتكلف إلا أنه يصيب، ومتعب لكن له من الراحة نصيب، وشغله المطابقة والتجنيس، حبداً ذلك أو بيس، جزل المعاني مرصوص المباني، مدحه ورتاؤه، لا غزله وهجاؤه، طرفانقيض، وخطنا سماءٍ وحضيض، وفي شعره علم جم من النسب، وجملة وافرة من أيام العرب، وطارت له أمثال، وحفظت له أقوال، وديوانه مقروء، وشعره متلو»⁽⁷⁵⁾ وقد أورد البديعي هذين القولين وعقب عليهما بقوله: «والذي يشعر به كلام ابن شرف تقديم البحري»⁽⁷⁶⁾ وهذا استنتاج صحيح وواضح، أما ابن بسام فقد ذهب إلى أن ابن شرف كان منصفاً في حكمه على أبي تمام وقال «أما صفته هذه لأبي تمام فصفة لم يثن عطفها حمية ولا تعلقت بذيلها عصبية، حتى لو سمعها حبيب لاتخذها قبلة، واعتمدها ملّة، فما آلم من أدب وإن أوجع، ولا سب من صدق وإن أقذع»⁽⁷⁷⁾ وهذا كلام يناقض آخره أوّله ويكشف عن رأي ابن بسام في أبي تمام ويخرج كلام ابن شرف من مقام التلميح إلى مقام التصريح.

وقد نسج أبو الطاهر السرقسطي في القرن السادس على منوال ابن شرف فألف مقامة في الشعراء وهي الموفية ثلاثين من مقاماته اللزومية، وفي هذه المقامة نجد أيضاً محاكمة لأبي تمام والبحري جاءت كسابقتها لصالح البحري قال على لسان بطل مقاماته السائب بن تمام محاوراً صاحبه الشيخ أبا حبيب: «قلت فالطائي الأكبر؟ فقال: نعم ما صنع وحبّر، وبش

(75) الذخيرة ق 4 م 1: 206 - 207.

(76) الصبح المنبي: 104.

(77) الذخيرة ق 4 م 1: 207.

ما أفصح عن المعاني وعبر، حتى أذن في شعر وكبر، ومن التحسين والتنجيد، ما يزري بالمبرز المجيد، وقد أبى الناس إلا تقديمه، وإن مرقوا بالنقد أديمه، ومن ذا الذي يخلص على الانتقاد، أو يسلم من الضغائن والأحقاد، أبو تمام حبيب بن أوس، يعدو عدو الأوس، ويغدو بكل نائل جزلٍ وأوس، ويدوس أقطار الكلام أي دوس، ويسير من الفصاحة بين عامر ودوس، وإنه للعبد المَعين، والنجد المَعين، يهدي إلى القول هداية، وما مثله ظئراً ولا داية.

قلت فالطائي الأصغر؟ قال: شحافاه وفغر، وشاب في الاحسان وأثغر، أبو عبادة وليد، طريف من الإبداع وتليد، منح البهجة والإشراق، وغذي النعمة والإيراق، أبو عبادة وليد ما وليد، يشب لإحسانه الأشيب والوليد، غفل عن إحسانه غافل، ورفل في أثوابه رافل، فرقرق من جرياله، وأطال من أذياله، خلع عليه الزمان ملاءة ربيعه، وكرع من الإحسان في جدولهِ وربيعه»⁽⁷⁸⁾.

وكما وازنوا بين أبي تمام والبحتري وفضلوا أحدهما على الآخر ظهر بين نقادهم من فاضل بين أبي تمام والمنتبي، وقد أشار ابن رشيق في العمدة إلى مناظرة أو موازنة لعلها لبعض المغاربة، واقتطف منها ما يلي:

«وقال بعض من ناظر بين أبي تمام وأبي الطيب: إنما حبيب كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها ويعطي المعنى حقّه بعد طول النظر والبحث عن البينة أو كالفقيه الورع يتحرى في كلامه ويتحرّج خوفاً على دينه، وأبو الطيب كالملك الجبار يأخذ ما حوله قهراً وعنوة أو كالشجاع الجريء يهجم على ما يريد لا يبالي ما لقي ولا حيث وقع»⁽⁷⁹⁾ ومن أطرف موازنات الأندلسيين بين أبي تمام والمنتبي هذه الموازنة المركبة، فقد كانوا

(78) مقامة الشعراء في المقامات اللزومية وهي المقامة الثلاثون.

(79) العمدة 1: 133.

يقولون: «ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء، ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر إلى الانطباع والصناعة، فابن قزمان ملتفت إلى المعنى ومدغليس ملتفت إلى اللفظ»⁽⁸⁰⁾ وقد «تبلورت» موازناهم بين الشاعرين الكبيرين في رسالة أحمد بن لبال الشريشي التي سماها «روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبیب» ويجد القارئ في الفصل الثالث من هذه الدراسة تعريفاً بمؤلفها وتحليلاً لمضمونها مع تحقيق لنصها.

5- إن هذه العناية برواية شعر أبي تمام وحفظه وتدرسه وشرحه ونقده أدت في آخر الأمر إلى تأثيره في الحركة الأدبية والشعرية بالأندلس وبلدان المغرب ويتمثل هذا التأثير على الخصوص في مظهرين:

أ- أولهما يتجلى في المعارضة التي أصبحت ظاهرة عامة في شعر الأندلس والمغرب⁽⁸¹⁾، ويمكن القول بأنّ معارضة أبي تمام بدأت مع جيل ابن عبد ربّه، فقد حذا هو وشعراء عبد الرحمن الناصر حذو أبي تمام في بناء القصيدة ولا سيما قصيدة المدح التي يشتمل القسم الأخير منها على نعت القصيدة ومدحها، ويعتبر أبو تمام الشاعر المبرز في هذا المنحى كما يقول الشريشي في شرح المقامات^(81م)، وقد أعجب ابن عبد ربه بشعر أبي تمام في وصف القلم وعارضه بشعر له في الموضوع نفسه⁽⁸²⁾، وأورد مختارات من شعره في العقد الفريد وكان استشهاده به في مختلف أغراض كتابه وموضوعاته يدل على حفظه وتمثله كما يدل على أنه غدا مألوفاً في البيئة الأدبية الأندلسية يومئذ.

(80) نفع الطيب 3: 385.

(81) من أبرز الأمثلة على ظاهرة المعارضة في الشعر الأندلسي مثال الشاعر عبد الرحمن بن أبي الفهد الذي كان فيما يقول الناقد ابن شهيد «من أشعر من أنبته الأندلس أو وطىء ترابها بعد أبي المخشي أولاً وأحمد بن دراج آخراً» فهذا الشاعر «لم يكذب يبق شعرًا جاهلياً ولا إسلامياً إلاّ عارضه وناقضه» جذوة المقتبس: 258

(81م) شرح المقامات 3: 159 نشر د. عبد المنعم خفاجي.

(82) العقد 4: 193.

ومن قصائد أبي تمام التي عارضها الأندلسيون البائية المشهورة:

السيف أصدقُ إنباءً من الكُتُبِ
في حَدِّه الحدُّ بينَ الجدِّ واللَّعبِ

فقد كانت وما تزال من شعره المشهور المحفوظ، وبها مثل المعتمد ابن عَبَّاد عندما فخر بشعره فقال مضمناً مطلعها:

فهاكها قِطْعَةً تَطْوِي لَهَا حَسَدًا:

«السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ»⁽⁸³⁾

وكانت كتب الفتوح في الأندلس والمغرب تُصدَّرُ بقول أبي تمام في هذه القصيدة:

فَتَحُ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ
وتبرز الأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا القُشْبِ⁽⁸⁴⁾

ولعلَّ أشهر من عارضها من شعراء الأندلس والمغرب هو الشاعر المدعو بالأصم المرواني، وذلك بقصيدته في مدح عبد المؤمن وتهنئته بفتح جبل طارق، ومطلعها:

ما للعدى جُنَّةٌ أوقى من الهَرَبِ
أَيْنَ المَفْرُ وُخَيْلُ اللّهِ فِي الطَّلَبِ⁽⁸⁵⁾

وهي مثل العمورية جواً ومناسبة، ولا تقصر عنها حوكاً وجودة، وقد توارد فيها بحكم الموضوع والقافية مع أبي تمام في بعض القوافي؛ ومن المعروف أنه لا غنى للشاعر اللاحق عن أن يشترك فيها عند المعارضة مع

(83) الذخيرة ق 2 م 1: 68.

(84) انظر على سبيل المثال: المن بالإمامة: 277 والاستقصا 2: 112.

(85) المن بالإمامة: 160 - 164.

الشاعر السابق كما يقول أبو تمام:

أَمَّا الْمَعَانِي فَهِيَ أَبْكَارٌ إِذَا
نُصِّتَ وَلَكِنَّ الْقَوَافِي عُونٌ

ومعنى الشطر الأخير أن القوافي يشترك فيها الشعراء مثل قوله: «فحواك عين على نجواك يا مدل» تشترك قوافيها وقوافي قصيدة الأعشى التي أولها: «ودّع هريرة إن الركب مرتحل» ألا ترى إلى قوله: «وهل تطيق وداعاً أيها الرجل» وإلى قول الطائي: «من أن يذال بمن أو وممن الرجل»⁽⁸⁶⁾.

ومن أبيات قصيدة الأصبم التي نجد لها نظيراً في المعنى والقافية في البائية الأم قوله:

وَيُلْبَسُ الدِّينَ غَضًّا ثَوْبَ عِزَّتِهِ
كَأَنَّ أَيَّامَ بَدْرِ عَنْهُ لَمْ تَغِيبْ
تَدْبِيرُ مَنْ قَارَعَ الْأَيَّامَ وَاحْتَلَطَتْ
أَرَاؤُهُ فِي الْوَعْيِ بِالسُّمْرِ وَالْقَضْبِ
إِنَّ آبَ مَنْ غَزَوْهُ أَفْنَتْ أَعَادِيَهُ
كَأَنَّ الْإِيَابَ لِأُخْرَى أَعْظَمَ النَّسَبِ
سَمَا إِلَى الشَّرْفِ الْأَقْصَى بِهَيْمَتِهِ
دِينَ مَرِيحٍ وَعِزْمٍ دَائِمٍ التَّعَبِ

يقول أبو تمام في تصوير دعر العدو وفزعه وفراره:

وَلَى وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِيئَةَ مِنْطِقَهُ
بَسْكَتِهِ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ

(86) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي 3 330.

أَحْدَى قَرَابِينَهُ صَرَفَ الرَّدَى وَمَضَى
يَحْتَثُّ أَنْجِي مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ
مُوكَّلاً بِيَفَاعِ الْأَرْضِ يَشْرَفُهُ
مَنْ خِفَّةَ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرِبِ
إِنْ يَعُدُّ مَنْ حَرَّهَا عَدُوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ
أَوْسَعَتْ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الحَطَبِ

ويقول الأصم المرواني في المعنى نفسه:

مَا لِلْعِدَى جُنَّةٌ أَوْقَى مِنَ الْهَرَبِ
أَيْنَ الْمَفْرُوحِ وَخَيْلُ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ
لَوْ بَدَّلُوا قَدَمًا زَلَّتْ بِقَادِمَةٍ
لَأَصْبَحَ الكُلُّ طَيَّارًا مِنَ الرُّعْبِ
وَأَيْنَ يَذْهَبُ مَنْ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ
إِذَا رَمَتْهُ سَمَاءُ اللَّهِ بِالشُّهْبِ

ولو وازننا بين القولين لرأينا كيف سما الأصم إلى مستوى سابقه، وحاول اللحاق به، وإذا كان أبو تمام خَلَى بين الأعداء وبين الهَرَبِ فإن شاعرنا لم يقنع منهم بالفرار، على ما فيه من وصمة العار، بل سدَّ عليهم المنافذ، وأحكم من حولهم الحصار، ولم يبق لهم إلا فرصة واحدة هي مهانة الاستسلام ومذلة الاستسار:

أَلْقَتْ إِلَيْكَ بِأَيْدِي الذِّلِّ خَاضِعَةً
وَمَكَّنَتْكَ مِنَ الْمَسْلُوبِ وَالسَّلْبِ
سَارَ الْعُلُوجُ وَفِي أَعْنَاقِهِمْ مِئِنُّ
مَنْ عَفْوٍ مُقْتَدِرٍ لِلْغَزْوِ مُتْتَدِبِ

مَدُّو الْأَكْفَ لِلْمَسِ النَّجْمِ مِنْ فَرَحٍ
وَشَمَّرُوا لَوُثُوبِ الْبَحْرِ مِنْ طَرَبٍ

وقد وصل إلينا تخميسٌ لأشطارِ القصيدة العمورية من صنع الشاعر
المترسِّل أبي عبدالله ابن أبي الخصال⁽⁸⁷⁾، وهو يعكس الافتتان بهذه
القصيدة التي غدت نموذجاً «كلاسيكياً» يترسم ويحتذى.

وأوله:

الحمْدُ لله أَضْحَى الدينِ مَعْتَلِيَا
وَبَاتَ سَيْفُ الْهُدَى الظَّمَانِ قَدْ رَوِيَا
إِنْ كُنْتَ تَرْتَاخُ لِلْأَمْرِ الَّذِي قُضِيَا
فَسَلُّهُ نَشْرًا وَدَعْ عَنكَ الَّذِي طُوِيَا:
فَالسَيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ»

ومن أطرف المعارضات لهذه البائية المشهورة قول ابن الخطيب يهجو
خصمه النُّبَاهِي:

يَا كوكِبَ النَّحْسِ مِنْ قُرْبٍ عَلَى الْحَقْبِ
تَلَكُ الذُّنَابِي أَتَتْ بِالْحَرْبِ وَالْحَرْبِ
لَمَّا رَأَيْنَاكَ حَقَّقْنَا الَّذِي وَصَفُوا
لِلنَّاسِ مِنْ حَدَثَانٍ جَاءَ فِي الْكُتُبِ
إِذْ قَالَ شَاعِرٌ طِيٌّ فِي قَصِيدَتِهِ
وَهُوَ الْمُقَلِّدُ فِي عِلْمٍ وَفِي أَدَبٍ:
«وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ دَاهِيَةٍ
إِذَا بَدَا الْكوكِبُ الْغَرِيبِي ذُو الذَّنْبِ»^(87م)

(87) تاريخ الأدب الأندلسي للدكتور إحسان عباس 2: 247.

(87م) نثر فرائد الحمان: 252 تحقيق د. الداية.

وفي ديوان ابن زيدون مرثيتان رائيتان إحداهما في رثاء أبي الحزم ابن
جهور أولها:

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ ضَمَّنَهَا الْقَبْرُ» والثانية في رثاء أم أبي الوليد
ابن جهور، ومطلعها: «هُوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ»⁽⁸⁸⁾ ويبدو أنه
نسجها على منوال مرثية أبي تمام المشهورة:

كَذَا فليَجَلَّ الخَطْبُ وليَفْدَحِ الأمرُ
فليسَ لَعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُدْرُ

وتظهر محاكاة ابن زيدون في مثل قوله في الأولى:

وما الرُّزءُ في أن ودَعَ التُّرْبَ هالكُ
بل الرُّزءُ كلُّ الرُّزءِ في أن يَهْلِكَ الأجرُ

فهو يدعو إلى استحضار قول أبي تمام:

غدا غُدوةٌ والحمدُ نسجُ ردائه
فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ الأجرُ

وكذلك قوله في القصيدة الثانية:

هُوَ الضَّيْمُ لَوْ غَيْرُ القَضَاءِ يرومُه
شآه المَرامُ الصَّعْبُ والمَسْلُكُ الوَعْرُ

يذكرنا بقول أبي تمام:

وقد كان فوْتُ الموتِ سَهلاً فردهُ
إليه الحِفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ

ونلمس شيئاً من المعارضة لقصيدة أبي تمام:

(88) انظر ديوان ابن زيدون: 36 - 41، 152 تحقيق محمد سيد كيلاني.

الحقُّ أبلجُ والسُّيوفُ عوار
فحذارٍ مِنْ أسدِ العرينِ حذارٍ

في قصيدة الشاعر المغربي أبي العباس الجراوي التي مطلعها:

أَعْلَيْتَ دِينَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
بِالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا الْخَطَّارِ⁽⁸⁹⁾

وقد كانت مدائح أبي تمام مثلاً مفضلاً لدى شعراء المديح في عصر
الموحّدين كابن حبوس والجراوي ومما يدلّ على ذلك هذه الرؤيا التي تتصل
بمعقوب المنصور ويشير إليها الجراوي في آخر قصيدة له في مدحه إذ يقول

رُؤْيَا لِأَمْرِكُمْ الْعَلِيِّ بِعِزِّهِ
تَقْضِي وَطُولَ بَقَائِهِ مُتَجَدِّداً
أَضْحَى «حَبِيبٌ» كَاسِمَهُ لَمَّا غَدَا
لِي فِي الْمَنَامِ عَلَيَّ أَمْتَدَا حِكْ مُنْجِداً
أَوْصَى إِلَيَّ فَكُفْتُ غَيْرَ مُضَيِّعٍ
لِوَصَاتِهِ عَنْهُ وَعَنِّي مُنْشِداً

وقد ورد في التمهيد لهذه القصيدة أنّ لها خبراً عجبياً يذكر في
آخرها^(89م).

وعارض بعض شعراء الأندلس رائية أبي تمام في وصف الربيع:

رَقَّتْ حَوَاشِي الدَّهْرِ فَهِيَ تَمَرْمَرُ
وَعَدَا الثَّرَى فِي حَلِيهِ يَتَكَسَّرُ

(89) البيان المعرب: 46 - 47 (القسم الموحد) ط. تطوان.

(89م) حماسة البياسي (مخطوطة).

فقال ابن نصير الكاتب:

انظر نسيم الزهر رق فوجهه
لك عن أسرته السرية يسفر
خضيل بريعان الربيع وقد غدا
للعين وهو من النضارة منظر
وكأنما تلك الرياض عرائس
ملبوسهن معصفر ومزعفر
أو كالقياح لبسن موشي الحلي
فلهن من وشي اللباس تبختر⁽⁹⁰⁾

وقد نظر في البيت الثاني إلى قول أبي تمام:

دنيا معاش للورى حتى إذا
حل الربيع فإنما هي منظر
كما أن التشبيه في البيت الثاني يذكر بتشبيه أبي تمام:
مصفرة حمرة فكانها
عصب تيمن في الوغى وتمضر

وإذا كان أبو تمام قد انتزع صورته من تراث العرب. وأيامها وراياتها
المضرية الحمراء واليمينية الصفراء لقرب العهد بذلك وسهولة تهدي الناس
يومئذ إليه فإن الشاعر الأندلسي استعمل التشبيه نفسه ولكنه قربه إلى أهل
عصره وعامة قرائه وأخذه من لونين مألوفين هما لون العصفرة الأصفر ولون
الزعفران الأحمر؛ وحذا ابن قليبيل البجاني حذو أبي تمام أيضاً في هذه
القصيدة فقال من أبيات:

(90) جذوة المقتبس: 369 - 370، 383.

ضحك الربيع برؤضةٍ وسميةٍ
 وافتر عن روضٍ أنيقٍ يزهر
 فكأنه زهر النجوم إذا بدا
 وكأنها في الترب وشي أخضر
 وكان عرف نسيمها عند الصبا
 عرف العبير يفوح فيه العنبر⁽⁹¹⁾

وقد علق د. إحسان عباس على تأثر الأندلسيين بأبي تمام في مجال وصف الطبيعة قائلاً: «ومن أغرب الأمور أن يكون شعر أبي تمام محرّكاً في وصف الطبيعة وأنموذجاً للأندلسيين في هذا المقام»⁽⁹²⁾ ولكن الدكتور البهيتي يرى أن وصف الطبيعة هو «من أهم ما سار فيه الشعر قدماً على يد أبي تمام»⁽⁹³⁾ ويقول الدكتور شوقي ضيف: «ولعل من الطريف أنه وقف بعض مقدماته على وصف الطبيعة»⁽⁹⁴⁾.

أما سينية أبي تمام المشهورة في مدح المعتصم: «ما في وقوفك ساعة من باس» فقد كانت من محفوظ شعره المشهور، وقد ساقها من حفظه المحلّث ابن دحية في كتابه النبراس⁽⁹⁵⁾. ونجد لابن عبد ربّه شعراً في وزنها ورويتها وموضوعها يمدح فيه القائد أبا العباس، ومنه قوله:

اللّه جرّد للندي والباس
 سيفاً فقلّده أبا العباس
 ملك إذا استقبلت غرة وجهه
 قبض الرجاء إليك روح الياس

(91) المصدر نفسه: 366.

(92) تاريخ الأدب الأندلسي 1: 111 ط. 2.

(93) تاريخ الشعر العربي: 499. ط. دار الكتب المصرية 1950.

(94) تاريخ الأدب العربي 3: 28 ط. 2.

(95) النبراس: تحقيق عباس العزاوي، وهبة الأيام للبيدي

وجهٌ عليه من الحياءِ سَكِينَةٌ
ومَحَبَّةٌ تجري مع الأنفاسِ
وإذا أَحَبَّ اللهُ يوماً عبدهُ
ألقى عليه مَحَبَّةً للناسِ (96)

وبهذا البيت الأخير تسامى ابن عبد ربّه إلى رتبة أبي تمام في إرسال ما يُتمثلُ به من الشعر؛ وفي ديوان الأعمى التطيلي سينية مطلعها:

شِعْري وجودُكَ يا أبا العَبَّاسِ
مَثَلانِ قَدْ سارا بنا في النَّاسِ

ويبدو أنه حذا فيها حذو أبي تمام، ونظم شاعر مغربي من أهل القرن العاشر الهجري هو محمد بن إبراهيم الفاسي قصيدة في معارضة سينية أبي تمام أيضاً ومطلعها:

أَسْقِطُ طَلًّا في حَديقَةِ آسٍ
أُمُّ ذَا حَبَابٍ دَارَ فَوْقِ الكَاسِ
وقد ضَمَّنَها مطلع أبي تمام فقال:

طَارَ الفُؤَادُ بِهَا فِقَالَ وَقَارُهَا:

«ما في وقوفك ساعة من باسٍ» (97)

وفي ديوان ابن الزقاق قصيدة يبدو أنه عارض فيها أبا تمام وهي القصيدة التي مطلعها:

فَمَا نَقْتَبِسُ مِنْ نُورِ تِلْكَ الرِّكَائِبِ
فَمَا ظَعَنْتُ إِلَّا بِزُهرِ الكَوَاكِبِ (97م)

(96) العقد 1: 269.

(97) ربحانة الألبا: 131 المطبعة الروحية 1294 هـ.

فهي محاذية لقصيدة أبي تمام:

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاعِبِ
أَذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدَّمُوعِ السَّوَاكِبِ

ونجد لشعراء أندلسيين ومغاربة آخرين قصائد على وزن بعض قصائد أبي تمام ومن بحرهما وقافيتها، وإذا لم تكن نية المعارضة فيها حاصلة والقصد إليها قائماً فإن استحضارها يفضحه تضمين بيت أو اقتباس شطر من النموذج المحكي كقول المعتمد في آخر شعر له:

فَهَاكْهَا قِطْعَةً تَطْوِي لَهَا حَسِداً:

«السيفُ أصدقُ إنباءٍ من الكتب»⁽⁹⁸⁾

وقول ابن اللبّانة في شعر له:

حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبٌ لِقَوْلِهِ:

«عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ وَلَعَلَّما»⁽⁹⁹⁾

وضمّن الشطر نفسه ابن صارة في آخر أبيات له إذ يقول:

وَأَزْمَعُ يَأْساً ثُمَّ أَذْكَرُ أَنْسِي

بحضرة أزكى الناسِ فرعاً ومتمّى

فأرتقب العتبي وأشدو تعللاً

«عسى وطن يدنو بهم ولعلّما»⁽¹⁰⁰⁾

وضمّن الأعمى التّطيلي شطر بيت لأبي تمام فقال:

(98) الذخيرة ق 2 م 1 : 68.

(99) المصدر نفسه ق 2 م 1 : 78.

(100) فلائذ العقيان : 303 ط. باريس المصورة في تونس.

نهجت سبيل المجد من بعد ما عفت

«ومحّت كما محّت وشائع من بُرد»⁽¹⁰¹⁾

ويقول عبد الرحمن بن سليمان البلوي من قصيدة مدحية له مضمناً
بيتاً لأبي تمام:

وقد اخلقت أثوابُ عبدك وانطوى

على جمرة في صدره تتلهب

«وأنت العليمُ الطبُّ أي وصية

بها كان أوصى في الثياب المهلب»⁽¹⁰²⁾

وكتب أبو الحسن بن أضحي إلى بعض أصحابه معتذراً بهذين
البيتين:

ومستشفعٍ عندي بخير الورى عندي

وأولاهم بالشكر مني وبالحمد

وصلت فلما لم أقم بجزائه:

«لَفَفْتُ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ الْمَجْدِ»⁽¹⁰³⁾

إن معارضة قصائد أبي تمام المقصودة وغير المقصودة وتضمنين أبياته
وأشطاره شيء لا حصر له وما قصدنا إلا التمثيل ببعضه والتدليل على
تأثيره.

ب- والمظهر الثاني أن شعر أبي تمام كان - كعامة الشعر القديم
والمحدث - من المحفوظ الذي تجري ألفاظه ومعانيه على السنة الشعراء

(101) ديوان الأعمى التطيلي: تحقيق د. إحسان عباس.

(102) جذوة المقتبس: 254.

(103) نفع الطيب 4: 163.

وأقلام الكتاب في الأندلس والمغرب وكانوا لا يستطيعون التخلص من تأثيره حينما يكتبون أو يشعرون، ومن هنا نجدهم يقعون على معانٍ وصورٍ وصيغ سبق إليها أبو تمام، وقد شغل بعض دارسي الأدب وشراح الشعر بهذا الموضوع في الأندلس وتناولوه في إطار السرقات، وهو الأسلوب المعهود في الدرس الأدبي يومئذ، ومنحاهم في هذا الأسلوب مختلف، فمن معتدل كابن دحية وابن بسام الذي يقول: «ولست أقول أخذ هذا من هذا قولاً مطلقاً، فقد تتوارد الخواطر، ويقع الحافر على الحافر، إذا الشعر ميدان والشعراء فرسان» ومن متشدد كابن حزم إذ يقول: «والذي ذكره المتكلمون في الأشعار من الفصل الذي سموه الموارد وذكروا أن خواطر الشعراء اتفقت في عدة أبيات فأحاديث مفتعلة لا تصح أصلاً ولا تتصل، وما هي إلا سرقات وغارات من بعض الشعراء على بعض».

وتوارد شعراء الأندلس والمغرب مع أبي تمام ونظرهم إلى معاني شعره كثير نحيل في مجموعته على ذخيرة ابن بسام وقراضة الذهب لابن رشيق والرائق أو شرح المختار من بشار وشرح المقامات للشريشي وشرح مقصورة حازم للشريف السبتي وغيرها، ونكتفي هنا ببعض الأمثلة منها، فقد ذهب ابن بسام إلى أن ابن زيدون استوحى قوله:

بني جهورٍ أحرقتم بجفائكم
جَنَانِي فَمَا بَالُ الْمَدَائِحِ تَعَبُّ
تُعْدُونِي كَالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ إِنَّمَا
تَطِيبُ لَكُمْ أَنْفَاسَهُ حِينَ يُحْرَقُ

من قول أبي تمام:

لولا اشتعال النار فيما جاوزتُ
ما كان يُعرفُ طيبُ عَرَفُ العود⁽¹⁰⁴⁾

(104) اللخيرة ق. 1 م. 1 ص 354.

وأن قول الشاعر المذكور:

ويذكرني العقد المرن جمانه
مُرْنَاتٍ وُرُقٍ فِي ذَرَى الْأَيْكِ هُتْفُ

منسوخ من قول أبي تمام:

وبالحلي إن قامت ترنم فوقها
حَمَاماً إِذَا لَاقَى حَمَاماً تَرْنَمًا⁽¹⁰⁵⁾

وأن قوله أيضاً:

ومحاسن تندی رقائق ذكرها
فَتَكَادُ تَوْهَمُكَ الْمَدِيحَ نَسِيًا

قريب من قول أبي تمام:

طَابَ فِيهِ الْمَدِيحُ وَالتَّدْحَتِي
فَاقَ وَصَفَ الدِّيَارِ وَالتَّشْبِيَا⁽¹⁰⁶⁾

ولما أورد ابن بسام قول ابن حصن الإشبيلي:

فَقُلْتُ صِلِي قَدْ ضِيقْتُ ذِرْعاً بِهَجْرِكُمْ
فَقَالَتْ صَهٍ قَدْ ضِيقْتُ ذِرْعاً بِدَمْلُجِي

قال: «وهذا المعنى مشهور، وهو في شعرهم كثير إلا أنه غوره وأبعده، وأوعز لفظه وعقده، والذي إليه أشار، وعليه دار، قول أبي تمام:

يَعْنَفْنِي أَنْ ضِيقْتُ ذِرْعاً بِيَيْنِهِ
وَيَجْزَعُ أَنْ ضَاقَتْ عَلِي خَلَاخِلُهُ⁽¹⁰⁷⁾

(105) المصدر نفسه ق 1 م . 1 : 377

(106) المصدر نفسه ق . 1 م . 1 . 382

(107) المصدر نفسه ق . 2 م 1 ص 170 .

والأمثلة من هذا القبيل في الذخيرة متعدّدة، ولا أريدُ أن أطيل
بتتبعها.

وكان حازم القرطاجني متملئاً من شعر أبي تمام، ويظهرُ أثر محفوظه
على لسانه من حين لآخر في مقصودته، يقول:

جَيْشٌ جِيوشُ الرُّعْبِ مِنْ قُدَّامِهِ
تَسْرِي وَتَغْزُو قَبْلَهُ مَنْ قَدْ عَزَا

وهو كما يقول شارح المقصورة من قول أبي تمام:

لَمْ يَغْزُ جَيْشاً وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ
إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ

ويقول حازم أيضاً:

وَكُلُّ نِضْوٍ فَوْقَ نِضْوٍ قَدْ رَعَتْ
مِنْهُ الْقَلَا مَا كَانَ مِنْهَا قَدْ رَعَى

وهذا قول أبي تمام بعينه:

رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَمَا كَانَ حَقْبَةً
رَعَاها وَمَاءُ الرُّوضِ يَنْهَلُ سَاكِبَةً

ويقول حازم في المقصورة كذلك:

أَضَحَّتْ بِهِ صُلُوعُ الرَّبِيِّ مَعْتَمَةً

وهو من قول أبي تمام:

حَتَّى تَعْتَمَّ صُلُوعَ هَامَاتِ الرَّبِيِّ (108)

(108) رفع الحجب المستورة 1: 89، 2·8، 33-34.

وقد تتبع الشريف مثل هذا في شرحه المذكور، ونجد نحو هذا الصنيع عند الشريشي في شرح المقامات، فهو يناظر كثيراً بين أشعار الأندلسيين وأشعار سابقهم من المشاركة في المواضيع المشتركة وذكر في هذا السياق أمثلة من معاني الأندلسيين التي نظروا فيها إلى أبي تمام⁽¹⁰⁹⁾.

ولم يكن شعراء المغرب الكبير أقلّ تأثراً من الأندلسيين بأبي تمام، وقد ظهر أثره على الخصوص في شعراء القرن الخامس الهجري حين بلغ الازدهار الشعري قمته بالقيروان، ومن أبرز هؤلاء الشعراء المتأثرين بطريقة أبي تمام إبراهيم الحصري، وفيه يقول ابن رشيق:

«وكان شاعراً نقّاداً عالماً بتنزيل الكلام، وتفصيل النظام يحسن المجانسة والمطابقة، ويرغب في الاستعارة، تشبّهاً بأبي تمام في أشعاره متبّعاً لأثاره، وعنده من الطبع ما لو أرسله على سجيته لجرى جري الماء، ورق رقة الهواء» ومنهم عبد الرزاق بن علي النحوي الذي وُصف بأنه «صنّاعٌ أحيا سنن أبي تمام» ولو وصل إلينا «الأنموذج» لابن رشيق لَلَمَسْنَا ما كان لأبي تمام من أثر في أولئك الشعراء، ومع ذلك فإننا نجد شيئاً منه من خلال العمدة والقراضة ورسالة الانتقاد والرائق بأزهار الحدائق وزهر الآداب، ففيها شواهد متعدّدة على انتشار شعر أبي تمام وتأثيره في بيئة القيروان الأدبية، ولذلك يقول ابن شرف في رسالة الانتقاد: «وديوانه مقروء، وشعره متلو» وقد أشرنا فيما سبق إلى بعض شعراء بجاية الذين كانوا يترسّمون طريقة أبي تمام في القرنين السادس والسابع الهجريين.

6- وثمة مستوى آخر لذيوع شعر أبي تمام وهو يتجلى في هذه الأبيات الماثورة في ثنايا الرسائل الإخوانية والديوانية وفي تضاعيف الكتابة الأندلسية والمغربية على العموم، وهذا باب كبير لا سبيل إلى تتبّعه.

وسأكتفي بما ورد في رسائل الذخيرة والقلائد، فمن ذلك الأبيات الآتية:

(109) انظر على سبيل المثال جـ 1 ص 125.

- يَحْمِيهِ لِأَلَاؤُهُ وَلَوْ ذَعِيَّتُهُ
 مِنْ أَنْ يُذَالَ بِمَنْ أَوْ مَمَّنَ الرَّجُلُ⁽¹¹⁰⁾
- وَإِذَا امْرُؤٌ أَسَدَىٰ إِلَيْكَ صَنِيعَةً
 مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ⁽¹¹¹⁾
- أَرْضُ الْفِلاَحَةِ لَوْ أَتَاهَا جَرَوَلٌ
 أَغْنَى الْحَطِيئَةَ لِأَغْتَدَى حَرَائِثًا⁽¹¹²⁾
- لَهُ كَبْرِيَاءُ الْمُشْتَرِي وَسُعودُهُ
 وَسَطْوَةٌ بِهْرَامٍ وَظَرْفٌ عَطَارِدِ⁽¹¹³⁾
- إِنْ نَفْتَرَقَ نَسَبًا يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا
 أَدَبٌ أَقْمَنَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ⁽¹¹⁴⁾
- وَإِذَا امْرُؤٌ أَسَدَىٰ إِلَيْكَ ضِيعَةً
 مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ⁽¹¹⁵⁾
- وَإِنَّ صَرِيحَ الرَّأْيِ وَالْحَزْمِ لَامْرِيءٍ
 إِذَا بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا⁽¹¹⁶⁾
- إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَىٰ إِلَيْكَ بَرَحِلَهُ
 فَقَدْ طَابَتْهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبُهُ^(115م)

(110) الذخيرة ق. 1 : 672.

(111) المصدر نفسه. ق. 1 : 344.

(112) المصدر نفسه. ق. 1 : 838.

(113) المصدر نفسه. ق. 2 : 117.

(114) المصدر نفسه. ق. 2 : 777.

(115) المصدر نفسه. ق. 1 : 344.

(116) المصدر نفسه. ق. 2 : 115.

(115م) المصدر نفسه ق. 2 م 2 : 252.

- يا أَسَدَ المَوْتِ تَخَلَّصْتَهُ
 مِنْ بَيْنِ لَحْيِي القاصِرَةَ (116م)
 - عبأ الكمينَ له فظلَّ لحينه
 وكمينه المُلقَى عليه كَمِينٌ (117)
 - كان الذي خفتُ أن يكونا
 إنا إلى الله راجِعونا (118)
 - نَسِيبي في رأبي وعلمي ومذهبي
 وإن باعدتُنا في الأصولِ المذاهبِ
 - وأثبتَ في مُستنقعِ الموتِ رجَلَهُ
 وقالَ لها مِنْ تَحْتِ أحمصِكِ الحَشْرُ

وكان الشعراء والكتاب في ذلك الزمان يكتبون بالتلميح إلى بعض شعره ليعرفه الناس إذ كان مُتداولاً بينهم محفوظاً عندهم، ولذلك يقول الكاتب أبو بكر عبد العزيز ابن القبطورية في آخر رسالة له إلى بعضهم: «وأهديك وداداً مزج باشتياق، وأقرئك سلاماً ينسي سلام حبيب علي الحسن بن وهب والعراق» (121) وجاء مثل هذا في آخر رقعة أخرى كتبها إلى الشخص نفسه: «وأقرأتكَ مِنْ أثناء تلك الدولة والآفاق، سلام حبيب علي الحسن بن وهب والعراق» (122) والإشارة فيهما إلى قول أبي تمام:

سلامٌ ترجفُ الأحشاءُ منه
 على الحسنِ بنِ وهبٍ والعراقِ

(116) المصدر نفسه ق. 2 م. 1: 334.

(117) المصدر نفسه. ق. 2: 254.

(118) قلائد العقيان: 65.

(119) المصدر نفسه: 225.

(120) المصدر نفسه: 243.

(121) الذخيرة ق 2 م 2: 761.

(122) المصدر نفسه ق 2 م 2: 755 - 756.

ويقول سعيد العروضي:

يا بني مَعْنٍ لَقَدْ طَابَتْ بِكُمْ
شَجَرٌ لَوْلَاكُمْ لَمْ تُورِقِ
لَوْ سَقَى حَسَّانٌ إِحْسَانَكُمْ
مَا بَكَى نَدْمَانَهُ فِي جَلَّتِ
أَوْ دَنَا الطَّائِي مِنْ حَيِّكُمْ
مَا حَدَا الْبَرْقُ لِرَبْعِ الْأَبْرِقِ⁽¹²³⁾

وهو يشير في البيت الأخير إلى مطلع قصيدة أبي تمام:

يا برقُ طالعٌ منزلاً بالأبرقِ
واحدُ السحابِ لَهُ حُداءُ الأيتقِ

وقد وجدنا المؤرخ ابن حيان يستشهد بشعر أبي تمام ويحل شعره في نثره ويلمّح إلى بعض أبياته تلميحات تخفي أحياناً على بعض محققي نصوصه كقوله يصف ما صنعه ابن رشيقي المرسي بالشاعر الوزير ابن عمار: «فلم يزل يطلع عليه من الثنايا والشعاب، حتى أخرجه من مرسية لا كالشهاب» فقد حذف دوزي كلمة لا بينما أثبتها الدكتور حسين مونس كما وردت في الأصل وهو الصحيح، ولكنهما لم يذكرنا أنه يشير إلى قول أبي تمام:

فخرَجَتْ مِنْهَا كَالشَّهَابِ وَلَمْ تَزَلْ
مُذْ كُنْتَ خَرَّاجاً مِنَ الْغَمَاءِ^(123م)

6- إن إعجاب الأندلسيين الشديد بأبي تمام ولد ردود فعل سلبية أحياناً لدى بعض شعرائهم، وقد ذكرنا قول المعتمد:

(123) المصدر نفسه ق 3 م 2: 872.

(123م) انظر الحلة السيرة 2: 135.

فَهَاكْهَا قِطْعَةً تَطْوِي لَهَا حَسَدًا:
«السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ» (124)

وفخر إدريس بن اليمان بقصيدة له فقال:

ولو خَطَرْتُ بِحَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ
طَوَى كُلَّ مَا حَاكَّهُ فِي الْمُعْتَصِمِ (125)

ويقول أبو عبدالله اللوشي مادحاً قطعة للشاعر ابن السقاط:

فَأَتَتْ حَبِيبًا لَنْ يَفْوَهَ بِمِثْلِهَا
وَأَتَتْ بِمَا يُزْرِي بِنَبْلِ الْبُحْتَرِيِّ (125م)

ومثله قول إبراهيم الساحلي مفتخرًا بقصيدته:

وَقَفَّ ابْنُ أَوْسٍ دُونَهَا وَتَخَضَّبَتْ
فِي نَسْجِ حُلَّتِهَا أَكْفُ الْبُحْتَرِيِّ (126)

ويمدح أبو بحر يوسف بن عبد الصمد بلاغة أبي بكر بن زيدون

فقال:

فَإِنْ زَهَّدْتَ طِيًّا فِي حَبِيبٍ
فَقَدْ زَهَّدْتَ فِي كَعْبٍ إِيَادًا (126م)

ولما قرىء على الشاعر المؤدب أبي العباس أحمد بن سيد الملقب
باللص ديوان أبي تمام ومرّ فيه وصف السيف قال: أنا أشعر منه حيث
أقول:

(124) الذخيرة ق 2 م 1: 68.

(125) المصدر نفسه ق 3 م 1: 343.

(125م) قلائد العقيان: 222 المطبعة الحديون بولاق ي 1283 هـ.

(126) الإحاطة.

(126م) الذخيرة ق 3 م 2: 813.

تَراهُ في غِداةِ الغَيمِ شمساً
وفي الظُّلَماءِ نجماً أو ذُبُلاً
يروَعُهُم مُعائِنَةٌ وَوَهْماً
ولو ناموا لروَعهم خيالاً⁽¹²⁷⁾

ويبدو أن الوصف الذي وردت الإشارة إليه في الخبر هو قول أبي تمام:

ونبهن مثل السيف لو لم تسله
يدان لسلته ظبأه من الغمد
وقد ذكر ابن عبد ربه في العقد أنه «من أحسن ما قيل في وصف
السيف»⁽¹²⁸⁾.

ويقول ابن حمديس مفتخراً بأشعاره وبنات أفكاره:

أما بناتي المفردات فإنها
في الحسن أشهر من بنات حبيب⁽¹²⁹⁾
ومثل هذا في المبالغة قول ابن خفاجة يطري شعر أحد أصدقائه:
برعت فرعت، فمن ذا حبيب
- له الويل - أم من أبو الطيب
ولو جارياك إلى غاية
لفزت وكاننا من الخيب⁽¹³⁰⁾

(127) النكمة: 80 ونفع الطيب 4: 112.

(128) العقد 1: 183.

(129) ديوان ابن حمديس: 62 تحقيق د. إحسان عباس.

(130) ديوان ابن خفاجة: 246 تحقيق الدكتور السيد مصطفى عازي.

وقال الشاعر أحمد بن طلحة الشقري في محفل: «تقيمون القيامة بحبيب والبحثري والمنتبي، وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتدوا إليه»⁽¹³¹⁾ وحاول أن يقنع مستمعيه بسرد الجيد من أشعاره ومعانيه، ويقول ابن خاقان في نونية ابن زيدون المشهورة: «ونزعت منزعاً قصر عنه حبيب وابن الجهم»^(131م) بيد أن أقصى ما كان يطمع فيه معظم أولئك الشعراء هو تشبيه شعرهم أو شعر أصدقائهم بشعر حبيب وطبقته، وذلك كقول ابن سعيد العمّاري مثلاً في مدح ابن عمّه:

إذا رَقَمَ القِرطاسَ قُلْتَ ابنُ مُقَلَّةٍ

وإن نظم الأشعارَ قلتَ حبيبٌ⁽¹³²⁾

ونشير في آخر هذه الفقرات - التي استعرضنا فيها مظاهر من عناية المغاربة بأبي تمام وتأثرهم به - إلى رأي زميلنا الكبير الدكتور إحسان عباس الذي يقول: «ولكن أبا تمام كان أعمقهم أثراً في الشعر الأندلسي من حيث المبنى الشعري والشكل، ومن تأمل الشعر الأندلسي في هذا العصر (يعني ما أسماه عصر سيادة قرطبة) حق التأمل وجد مبدأ حب الغرابة أو الاستطراف هو الدافع القوي فيه ثم يجيء المبنى بعد ذلك شديد الاعتماد على المطابقة ورسم المتقابلات المتضادة وبلوغ درجة الإحالة في تصيد المعنى ومتفرعاته وظلاله والإغراب بالاستعارة وإن لم يكن هذا شائعاً كثيراً واستعارة النبت والماء في صور بعيدة عن حياة الطبيعة، وهذه الأخيرة من أشيع الصور عند أبي تمام، ومنها في الشعر الأندلسي قول محمد بن أحمد بن قادم:

قف برَبِّعِ البلى وربِّعِ الهموم

واسفحِ الدَّمعَ فيه سفحِ الغيومِ

(131) اختصار القدح المعلى: 114 ونفع الطيب 3: 307 والإحاطة 1: 236.

(131م) قلائد العقيان: 81.

(132) نفع الطيب 2: 275.

غَيَّرْتُ آيَهُ صُرُوفُ اللَّيَالِي
وَمَحَاها الغَمَامُ مَحُو الرَّقِيمِ
سَاءَ مَا اعْتَاضَ بالسَّحَابِ مِنْ
نَبْتِ المعَالِي بِمَنْبِتِ القَيْصُومِ
فَالأَسَى حِينَ يَعدَمُ الشَّيْءُ مُحَمَّدَ
سَوْلَ عَلَى قَدْرِ جَوْهَرِ المَعْلُومِ

فقوله نبت المعالي استعارة تامة والبيت الأخير أحجية ذهنية كالأشياء التي يعرضها أبو تمام من هذا القبيل، وصورة واحدة هي «تعمم صلح هامات الربى» قد أصبحت في هذا الشعر الأندلسي تدور دوراناً غير قليل» (132م).

7- ونختم هذا الفصل بالإشارة إلى التأثير الكبير الذي كان لحماسة أبي تمام، فقد عني الأندلسيون والمغاربة بروايتها وحفظها، وما أكثر ذكرها في تراجم الأعلام، وقد يكون غريباً بالنسبة إلى وقتنا أنها كانت من المقررات الابتدائية عندهم، قال ابن عبد الملك المراكشي في ترجمة بعضهم: «وكتب بخطه الأنيق كثيراً من كتب المبتدئين كالجمل وأشعار الستة والحماسة المازنية (يعني حماسة أبي تمام) وفصيح ثعلب ونحوها» (133) كما أنهم عنوا بشرحها وتأليف «حماسات» على طريقتها.

وممن شرحها من الأندلسيين الأعلام الشتمري وابن سيده، وعاصم بن أيوب البطلبيوسي، وأبو الفتوح ثابت الجرجاني وأبو عامر محمد بن يتيق الشاطبي وغيرهم (134)، وقام الأديب النحوي أبو إسحاق إبراهيم بن ملكون بتأليف كتاب سماه: إيضاح المنهج، «جمع فيه بين

(132م) تاريخ الأدب الأندلسي 1: 125 ط. ث.

(133) الذيل والتكملة 5. 232.

(134) انظر في هذه الشروح: فهرسة ابن خير والذيل والتكملة.

كتابي ابن جنّي على الحماسة: التنبيه والمبهج⁽¹³⁵⁾ وتوجد منه نسخة مخطوطة محفوظة في الاسكوريال رقم 312.

وقد صنّفوا حماساتٍ ضاهوا بها حماسة أبي تمام، ولعلّ أشهرها حماسة الأعلم الشنتمري التي ضمنها حماسة أبي تمام والحماسة البصرية وحماسة الجرجاني وغيرها ورتّب أشعارها وأبوابها وشرحها شرحاً مفيداً، ونظراً لأن هذه الحماسة ما تزال مخطوطة فسقتبس من مقدمتها ما يلي:

«ثم رأيت الآن أن أختم ما اعتملت فيه قديماً وحديثاً من ذلك بجمع كتابٍ في أشعار الحماسة يقتضي تهذيبها وتنقيحها، وتقيد ألفاظها وتصحيحها، وتبين معانيها وتقريب غامضها، وتفسير غريبها وغامض إعرابها حتى يكون هذا الكتاب مريباً على جميع التأليفات فيها ومغنياً عن استعمال التصنيفات المحيطة بها، وسميته كتاب تجلي غرر المعاني، عن مثل صور الغواني، والتحلّي بالقلائد، من جوهر الفوائد، ليكون اسمه مطابقاً لمعناه، ورسمه موافقاً لغرضه ومغزاه، ورتبته على حروف المعجم ليقرب بذلك تناوله، ويسهل على الطالب مرامه، على حسب ما صنعه بعض أهل العصر.

وضمنته كل ما تضمنته الحماسات من الشعر، كالحماسة القديمة المنسوبة إلى أبي تمام التي هي أصل لغيرها، وحماسة أبي الفتوح ثابت ابن محمد الجرجاني⁽¹³⁶⁾، وحماسة أبي أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن طيفور القرمسيني⁽¹³⁷⁾ البصري مما رواه عن شيوخه كأبي رياش

(135) التكملة: 157 - 158.

(136) ترجمته في جلدوة المقتبس: 173 وبغية الملتبس رقم 692 والصلة: 135 والذخيرة 1/4:

124 والذيل والتكملة 8: 422 والإحاطة 1: 454 ومعجم الأدباء 7: 145 وبغية الوعاة 1:

والتبيان: 32 وفهرسة ابن خير: 404.

أحمد بن أبي هاشم بن الرديني بن شبيل القيسي الربعي⁽¹³⁸⁾، وأبي سعيد الضرير⁽¹³⁹⁾، وأبي العميثل⁽¹⁴⁰⁾ وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش⁽¹⁴¹⁾ وأبي عبدالله الزبيدي⁽¹⁴²⁾، وأبي حفص عمر بن عبد العزيز الهمداني⁽¹⁴³⁾ عن أبي محمد الديمرتي⁽¹⁴⁴⁾ وما نقل من خط الترمذي⁽¹⁴⁵⁾، ومن خط الأقرع وراق آل طاهر⁽¹⁴⁶⁾ ومن خط أبي عبدالله ابن مقلة⁽¹⁴⁷⁾، ومن خط أبي سعيد السكري⁽¹⁴⁸⁾، وحروف وجدها بخط أبي موسى الحامض⁽¹⁴⁹⁾ وغيرهم وما ثبت في كتاب أبيات المعاني في الحماسة للنمري⁽¹⁵⁰⁾ وفي شرح ابن جنّي لها أيضاً⁽¹⁵¹⁾ وغيرها.

وأبواب جميعها التي تضمنها هذا الكتاب ثلاثة عشر باباً: فالأول باب في الشجاعة، والثاني باب في المراثي والثالث باب في الأدب والرابع باب في النسيب، والخامس باب في المديح، والسادس باب في الأضياف، والسابع باب في الهجاء، والثامن باب في الصفات والتاسع باب في السير والنعاس والعاشر باب في الملح والطرف والمفاحشات، والحادي عشر باب

(137) ترجمته في تاريخ بغداد 11: 57 وبغية الوعاة 2: 95 ونزهة الألباء: 247.

(138) ترجمته في إنباه الرواة 1: 25 ومعجم الأدباء 2: 124.

(139) ترجمته في إنباه الرواة 1: 41 ومعجم الأدباء 3: 15.

(140) ترجمته ومصادرها في وفيات الأعيان 3: 89.

(141) ترجمته ومصادرها في وفيات الأعيان 3: 301 - 303.

(142) ترجمته في طبقات الزبيدي: 78.

(143) لم نقف على ترجمته.

(144) ترجمته في معجم الأدباء 16: 319 وهديّة العارفين 1: 827.

(145) انظر الفهرست لابن النديم: 66، 88.

(146) لم نقف على ترجمته.

(147) ترجمة ابن مقلة الخطاط في وفيات الأعيان 5: 113 - 118.

(148) ترجمته في بغية الوعاة 1: 502.

(149) ترجمته ومصادرها في إنباه الرواة 3: 21، 141 وطبقات الزبيدي: 170.

(150) ترجمته في إنباه الرواة 1: 25.

(151) لابن جنّي شرحان على الحماسة هما التنبيه والمبهج.

في مذمة النساء والثاني عشر باب في القصر والثالث عشر باب في الكبير.

وهذا الباب الثالث عشر زائد على ما تضمّنت حماسة أبي تمام القديمة وحماسة أبي الفتح الجرجاني وغيره، وهو ثابت في حماسة عبد السلام فأُتيت به ليأتي هذا الكتاب على جميع ما تضمّنت الحماسات المختلفة من الأبواب.

وقد نسخت حماسة الأعلام هذه حماسة أبي تمام عند ظهورها في الأندلس، قال أبو إسحاق إبراهيم بن ملكون الحضرمي في إيضاح المنهج: «ولمّا كانت حماسة أبي تمام - الموضوع كتاباً أبي الفتح هذان (يشير إلى التنبيه والمبهج) على ترتيبها - مجفوة القدر في عصرنا ومطرحة الاستعمال عند أبناء دهرنا حين أخذت هذه الحماسة الأعلمية عليها باستمالة النفوس إليها..»⁽¹⁵²⁾ ويؤيد هذا الكلام ما نجده من روايتها في برامج العلماء من أهل القرنين السادس والسابع وما بعدهما كما أنها انتقلت إلى المشرق، وقد ورد ذكرها في خزانة الأدب للبغدادي⁽¹⁵³⁾، ووقف عليها ابن خلكان، قال في ترجمة الأعلام: «وغالبا ظني أنه شرح الحماسة، فقد كان عندي شرح الحماسة للشتمري في خمسة مجلّدات وقد غاب عني الآن من كان مصنفه وأظنه هو والله أعلم وقد أجاد فيه»⁽¹⁵⁴⁾.

والحماسة الثانية بعد حماسة الأعلام هي حماسة الشاعر المغربي أبي العباس الجراوي، وقد نوّه بها ابن الأبار وابن خلكان وغيرهما، قال ابن الأبار في التكملة: «وألف للسلطان كتاباً في معنى الحماسة لحبيب سماه صفوة الأدب ونخبة كلام العرب أخذه الناس عنه، وكان شيخنا أبو الحسن سهل بن مالك يثني على هذا التأليف وحدثنا به عنه هو وأبو الربيع بن سالم

(152) مخطوط الاسكوريال.

(153) خزانة الأدب.

(154) وفيات الأعيان 7: 81 - 82.

وأبو عبدالله محمد بن عبد الجبار الرعيني وغيرهم⁽¹⁵⁵⁾ وقال ابن خلكان: «وجمع كتاباً يحتوي على فنون الشعر على وضع الحماسة لأبي تمام الطائي وسماه: صفوة الأدب وديوان العرب، وهو كثير الوجود بأيدي الناس، وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق»⁽¹⁵⁶⁾ وقد ذكر هذه الحماسة أيضاً حاجي خليفة، والاسم المختصر الذي عرفت به هو الحماسة المغربية وتوجد منها نسخة مختصرة محفوظة في خزانة طرغلو باشا تحت رقم 4079.

وألف الأديب الإشبيلي دفين مراكش أبو القاسم أحمد بن محمد البلوي حماسة أكبر من حماسة الجراوي وسمائها: «روض الأديب والمنزه العجيب»⁽¹⁵⁷⁾.

وفي القرن السابع الهجري ألف الأديب الحافظ أبو الحجاج البياسي حماسة أصبحت تعرف بالحماسة البياسية نسبة إلى مؤلفها المنسوب إلى بياسة في الأندلس وتتميز هذه الحماسة على الحماسات السابقة بكونها تشتمل على أشعار أندلسية ومغربية، وقد تحدث عن هذه الحماسة البياسية ابن خلكان فقال: «ورأيت له كتاب الحماسة في مجلدين، وقد قرئت هذه النسخة عليه وعليها خطه كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة، وقال في آخر الكتاب: وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس، حرسها الله تعالى في شوال سنة ست وأربعين وستمائة ونقلت من أوله بعد الحمدلة ما مثاله: أما بعد فأني قد كنت في أوان حدائتي، وزمان شيبتي، ذا ولوع بالأدب، ومحبة في كلام العرب، ولم أزل متتبّعاً لمعانيه ومفتشاً عن قواعده ومبانيه، إلى أن حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها، ولا يصلح الناظر في هذا العلم إلا أن

(155) التكملة : 128 - 129 .

(156) وفيات الأعيان 7 : 12، 137 .

(157) الذيل والتكملة 1 : 456 .

يكون عنده مثلها، وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على أن جمعت مما اخترته من أشعار العرب جاهليها ومخضرميها وإسلاميها ومولدها، ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم، ما تحسن به المحاضرة، وتحمل عليه المناظرة، ثم إنني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها، مؤذن بذهابها ومؤد إلى فسادها، فرأيت أن أضم وأجمع مستحسنها، تحت أبواب تقيّد نافرها وتضمّ نادرها ونظرت في ذلك فلم أجد أقرب تبويب، ولا أحسن ترتيب ممّا بوّه وربّه أبو تمام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بالحماسة وحسن الاقتداء به، والتوخي لمذهبه، لتقدمه في هذه الصناعة، وانفراده منها بأوفر حظّ وأنفس بضاعة، فاتبعته في ذلك مذهبه ونزعت منزعه، وقرنت الشعر بما يُجانسه، ووصلته بما يناسبه، ونقّحت ذلك واخترته على قدر استطاعتي، وبلوغ جهدي وطاقتي»⁽¹⁵⁸⁾.

هذه فقرات من مقدمة الحماسة البياسية أوردتها لدالتها على نهجه في ترتيبها نهج أبي تمام من جهة ولنصه فيها على اختيار أشعار الأندلسيين، وقد نقل ابن خلكان شيئاً من بعض أبوابها، وتوجد قطعة صالحة من هذه الحماسة مخطوطة في بعض الخزائن الخاصة بالمغرب وعندني صورة عنها، وكنت اخترت منها الأشعار الأندلسية على حدة من أجل نشرها فلم يتيسر ذلك إلى الآن، وفيما يلي أسماء الشعراء الأندلسيين والمغاربة المختار لهم في هذه الحماسة:

- سليمان المستعين الأموي .
- ابن هانيء .
- ابن دراج .
- الرمادي .

(158) وفيات الأعيان 7 : 238 - 244 .

- إدريس بن اليمان .
- عبد الكريم النهشلي .
- محمد بن حبوس .
- ابن زيدون .
- ابن رشيق .
- ابن شرف (أبو عبدالله) .
- ابن الحدّاد .
- ابن حمديس .
- أبو بكر بن الملح .
- أبو الوليد النحلي .
- أبو العرب الصقلّي .
- أبو الحسن بن سيّدة .
- أبو الحسن الحصري .
- محمد بن خلصة الضرير .
- ابن سارة .
- ابن عبدون .
- أبو الحجاج المنصفي .
- أبو الحسن علي بن خروف .
- أبو الحسن علي بن الفصل الأورولي .
- أبو الحسن علي بن حريق .
- أبو الحسن علي بن حزمون .
- ابن عمّار .
- ابن عباد .
- ابن اللبّانة .
- ابن وهبون .
- حسان بن المصّيصي .

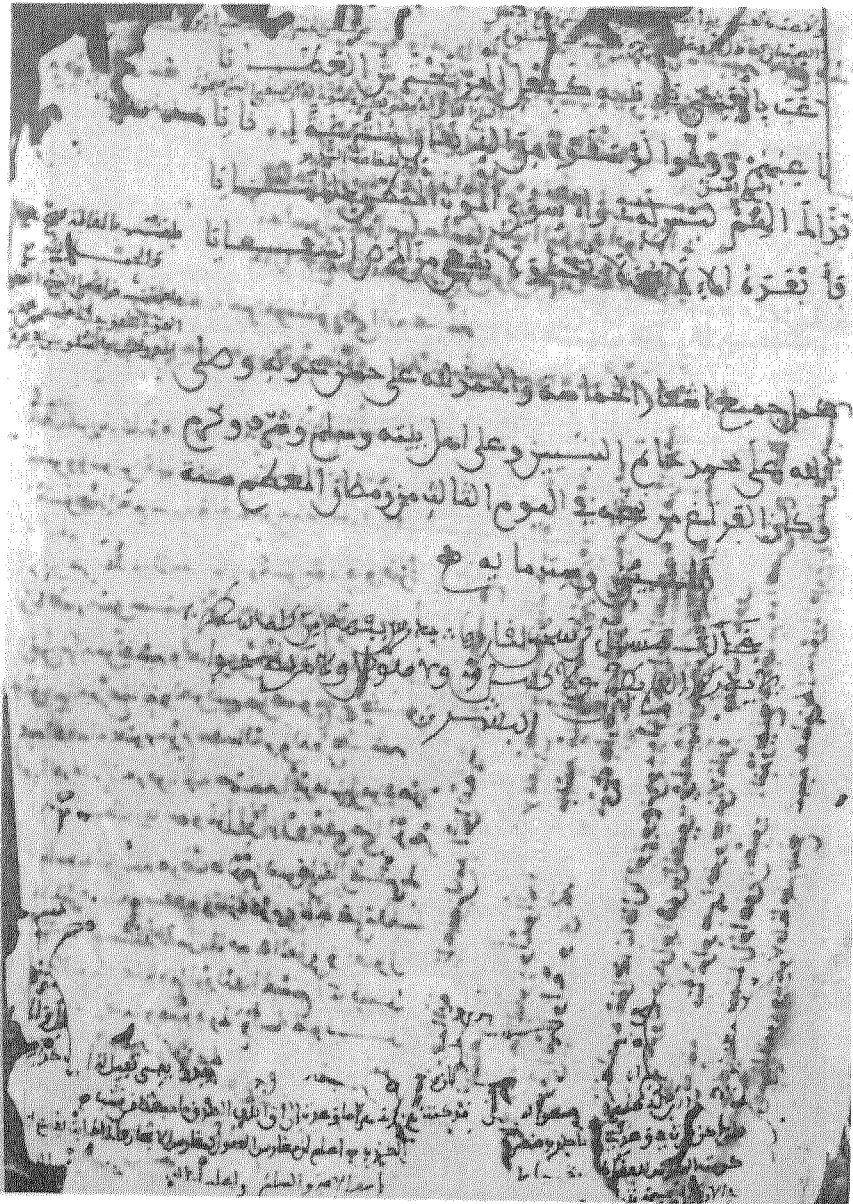
- أبو عبد الله الخشني .
- أبو الوليد يونس القسطلّي .
- الجراوي (أبو العباس أحمد).

ومن الحماسات الأندلسية أيضاً حماسة أبي حفص عمر بن منذر الصدفي الأندلسي، قال ابن عبد الملك المراكشي: «كان أديباً حافظاً، وصنّف في منحة حماسة حبيب مصنفاً حسناً أفاد به»⁽¹⁵⁹⁾.

من هذه الإشارات والأخبار التي لم نقصد فيها إلى الاستقصاء يتجلى التأثير الذي كان لأبي تمام في الحياة الأدبية بالأندلس والمغرب، وذلك بواسطة شعره أولاً وحماسته ثانياً.

(159) اللّيل والنكلمة 5: 471.

آخر ترتيب الحماسة للأعلم
مخطوطة الخزانة الحسنية بالرباط.



أول شرح الحماسة للجرجاني .
مخطوطة الأسكوريال .

معرفة جميع أشعار الجاهلية واختيار
أبي تالم حبيب بن أوس النخعي شرح أبي الفرج
كتاب بن محمد الجرجاني رحمه الله

أبوابه

باب الضاعة باب المراثي باب الأديب باب النسيب
باب المعاني باب الأضداد باب النسخ والقرود
باب التفسير والعلم باب الحيات

أبواب الأضداد باب الأضداد باب الأضداد
باب الأضداد باب الأضداد باب الأضداد

٧١١٧٣

*Speculum Poeticum (Selectissimum) Complicans
intitulum Poetarum Carmina, Epigrammata, Satyras,
elegias - quae omnia selegit Abū ben Huad Althas.
Commentatus est. Mohamad elgiorgiani - tom. 2
Abditum est. gir. 378.*

1599

246

289

الفصل الثاني

أبو الطَّيِّبِ فِي أَدَبِ الْأَنْدَلِيسِيِّينَ وَالْمَغَارِبَةِ

إذا كانت الدراسات المتنبئية قد بلغت مبلغاً كبيراً من التوسع والتنوع⁽¹⁾ فإن بعض الجوانب المتصلة بالشاعر الكبير ما تزال في حاجة إلى الإبانة والإحاطة، ومنها إبراز عناية المغاربة بشعره وإظهار موقعه في أدبهم. وصحيحٌ أن بعض الدارسين تناولوا هذا الموضوع أو أطرافاً منه منذ وقت مبكر، ومنهم المستعربان الأستاذ بلاشير والأستاذ غرسية غومث ثم الأستاذ علال الفاسي، وتناوله في وقت متأخر الأستاذ ابن تاويت التطواني والأستاذ محسن جمال الدين⁽²⁾.

وستتناوله الآن بما يضيف إليه جديداً ويزيده غنى، وذلك حسب التصميم الذي سرنا عليه في الفصل السابق تقريباً.

أ- الأسانيد:

من سمات الثقافة العربية الإسلامية القديمة على العموم والمغربية

(1) انظر على سبيل المثال: رائد الدراسة عن المتنبي تأليف كوركيس وميخائيل عواد، والمتنبي في آثار الدارسين تأليف عبدالله الجبوري.

(2) انظر ديوان المتنبي في العالم العربي. ترجمة أحمد أحمد بدوي من ص 41 إلى ص 54 ومع شعراء الأندلس والمتنبي. تعريب الطاهر مكي ومجلة المغرب الجديد 1936 (عدد خاص بالمتنبي) ومجلة المورد 1977 (العدد الخاص بالمتنبي) ومجلة دعوة الحق 1968 (عدد 6 - 7).

على الخصوص عناية أهلها بالرواية واهتبالهم بالأسانيد، ولم تكن الرواية عندهم من متعلقات الحديث وغيره من العلوم الدينية فحسب وإنما أخذوا بها في سائر العلوم النقلية تقريباً.

وإن الدارس للتراث المغربي ليعجب من كثرة برامج العلماء ومشيختاتهم التي حرصوا فيها على توثيق الكتب بأسانيد متصلة بمؤلفيها؛ وهذه البرامج هي باختصار عبارة عن جرد شامل، ورصد كامل لانتقال المؤلفات من المشرق إلى المغرب⁽²⁾.

وقد رجعنا إلى بعض هذه البرامج لمعرفة سيرورة شعر المتنبي وانتشاره في البيئات الأدبية المغربية فوجدنا أن إفريقية وقاعدتها القيروان من أقدم هذه البيئات اتصالاً بشعر المتنبي، ويدلنا على ذلك أيضاً قصيدة في ديوان الشاعر محمد بن هانيء الذي أدرك زمن المتنبي، والقصيدة تتحدث عن نسخة من شعر أبي الطيب وصلت إلى القيروان في حياته، فاستعارها الشاعر من صاحبها الذي لقي المتنبي، ولكنه كان حريصاً على نسخته فألح في استرجاعها من الشاعر الذي اغتاز وقال قصيدة يتهمك فيها بصاحبه وينال من المتنبي نفسه، ومنها قوله:

تَبْنَا الْمُتَنَبِّيَ فِيكُمْ عُصْرًا
وَلَوْ رَأَى رَأْيَكُمْ فِي شِعْرِهِ كَفَرَا
مَهْلًا فَلَا الْمُتَنَبِّيَ بِالنَّبِيِّ وَلَا
أَعْدُ أَمْثَالَهُ فِي شِعْرِهِ السُّورَا
تَهْتُمُّ عَلَيْنَا بِمَرَاهُ وَعَلَّكُمْ
لَمْ تَدْرِكُوا مِنْهُ عَيْنًا لَا وَلَا أَثْرَا

(2) راجع بحث استاذنا المرحوم عبد العزيز الأهواني حول كتب برامج العلماء في مجلة معهد المخطوطات.

وهي قصيدة تقع في 21 بيتاً⁽³⁾.

وثمة خبر في «الصبح المنبي» عن تلاميذ ابن هانيء والمنتبي في القيروان ولكنه خبر من نسيج الخيال⁽⁴⁾.

ومهما يكن الأمر فلعلّ النسخة المذكورة وغيرها كانت منشأ عناية القيروانيين المبكرة بالمنتبي، ومن أوائلهم عبد الكريم النهشلي الذي استشهد بشعره في الممتع، والحصري الذي اختار منه في زهر الآداب والقزاز الذي خصّه بتأليفين، وابن رشيق الذي تحدث عنه كثيراً في العمدة، وابن شرف الذي قيم شعره في مقامته النقدية؛ وقد نقل الوزير أبو القاسم المغربي أن المغاربة كانوا يسمونه المنتبه، وهذا يلتقي مع التعليل الذي نجده في الممتع للنهشلي: «قيل له المنتبي لفظته» وأشار إلى هذا الرأي ابن رشيق في العمدة⁽⁵⁾.

ولا ننسى الإشارة إلى المقيم الإفريقي أبي الحسن محمد بن أحمد المغربي الذي كان «راوية المنتبي» وألف «الانتصار المنبي عن فضائل المنتبي» رد فيه على من زعم أن شعر المنتبي مسروق من أبي تمام والبحرتي⁽⁶⁾ فهو وإن عاش في المشرق فإن مطلعته من المغرب.

أما الأندلسيون فلدينا أخبارٌ تشير إلى التّقاء بعضهم به في مصر

(3) انظر تحليل الأستاذ غرسيه غومث لهذه القصيدة في مقاله عن المنتبي وابن هانيء (ترجمة د. الطاهر مكي).

(4) الصبح المنبي وذكر ابن شهر آشوب «أن المنتبي لما توجه إلى مصر سمع منشداً يقول:
تَقَدَّمْ حُطًى وَتَأَخَّرْ حُطًى فَإِنَّ الشَّبَابَ مَشَى الْقَهْقَرَى
فقال المنتبي: سد ابن هانيء علينا طريق المغرب وانصرف» معالم العلماء: 148؛ وانظر أيضاً: ابن هانيء للبعلاوي: 17، 296.

(5) وفيات الأعيان والممتع: 283 والعمدة 1: 75 ونصرة الثائر: 180 قال الصفدي: «وهذا تحريف حسن من المغاربة، وما يليق أن يطلق عليه المنتبي».

(6) رائد الدراسة عن المنتبي: 310 - 311. والمصادر المحال عليها.

وسماعه منهم شيئاً من شعر أهل الأندلس، ومن هذه الأخبار ما ذكره ابن خاقان في المطمح من أن أبا الوليد ابن عيال الأندلسي لما انصرف من الحج اجتمع مع أبي الطيب في مسجد عمرو بن العاص بمصر ففاوضه قليلاً ثم قال له: أنشدني لمليح الأندلس يعني ابن عبد ربه، فأنشده:

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقا
ورشاً بتعذيبِ القلوب رقيقا
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثليه
دراً يعودُ من الحياءِ عقيقا
وإذا نظرتُ إلى محاسنِ وجهه
أبصرتُ وجهك في سناه غريقا
يا مَنْ تقطعُ خصره من رقةٍ
ما بالُ قلبك لا يكونُ رقيقا

فلما أكمل إنشادها استعادها ثم صفق بيديه وقال: يا ابن عبد ربه، لقد تأتيتك العراق حيواً⁽⁶⁾؛ ومنها خبر لقاء ابن المستكفي المتني بمصر أيضاً وروايته عنه شيئاً من شعره⁽⁷⁾؛ ونقرأ في الذخيرة لابن بسام هذا الخبر: «وحكي أن أبا الطيب المتني على قلة رضاه عن شعر أحد فإنه على ما ذكر عنه أنشد لجملة من شعراء الأندلس حتى أنشد قول ابن هذيل:

لَمَّا وضعتُ على قلبي يدي بيدي
وصححتُ في الليلة الظلماءِ وأكبدي

(6) مطمح الأنفس: 52 ونفح الطيب 3: 564، 7. 51 وابن عيال في الرواية ورد في بعض النسخ ابن غتال، وفي بعضها: ابن عباد والاهتداء إلى شخصيته عسير في الجملة، والخبر أيضاً في شرح مقصورة حازم 1: 183.
(7) نفح الطيب 2: 222.

ضجّت كواكبٌ ليلي في مطالِها
وذابت الصخرة الصماء من جلدي

فقال: هذا أشعر أهل المغرب»⁽⁸⁾.

ومنها خبر رابع يتحدث عن تعليق بذيء للمتنبي على قول الرمادي:

في أي جارحة أصونُ مُعذّبي
سلمت من التعذيب والتنكيل

وكان الرمادي لما سمع قول المتنبي:

كفى بجسمي نحولاً أني رجلٌ
لولا مخاطبتي إياك لم ترني

قال فيه كلمه نايبة فعامله المتنبي بالمثل وجزاه من جنس العمل⁽⁹⁾،
ونشير بالمناسبة إلى قولة شيوخ الأدب بالأندلس في حياة الرمادي والمتنبي:
«فتح الشعر بكندة، وختم بكندة» يعنون امرأ القيس والمتنبي والرمادي⁽¹⁰⁾.

ومهما يكن نصيب هذه الأخبار من الصحة فمن المؤكد أن شعر
المتنبي وصل إلى الأندلس في حياته، فقد استشهد به المستنصر
الأموي⁽¹¹⁾، ووجد صداه عند شاعر قريب من زمن المتنبي هو أحمد بن
فرج الجياني⁽¹²⁾؛ وقد نسبت بعض المصادر شرحاً لشعر المتنبي إلى
الأديب اللغوي أبي عبدالله محمد بن أبان القرطبي المتوفى سنة 354 هـ
وهي السنة التي توفي فيها المتنبي⁽¹³⁾.

(8) الذخيرة 1/2: 514 - 515، 1: 347.

(9) المصدر نفسه: وفي طرة بالديوان الذي رتبته الفشتالي قصة منسوبة إلى من اسمه أبو عبدالله
الإشبيلي خادم المتنبي، ولكن يبدو أنها موضوعة. ترتيب الديوان. 264 مخطوط.

(10) جذوة المقتبس: 347.

(11) المقتبس: 193 تحقيق عبد الرحمن يحيى.

(12) الذخيرة ق 2 م 1: 143. والمطرب: 5 - 6.

(13) إيضاح المكنون 1: 527 وهدية العارفين 2: 44.

وهكذا عرفت الأندلس شعر المتنبي في وقت مبكر وذلك بوسائط متعددة؛ فقد نقله إليها أول مرة زكرياء بن بكر المعروف بابن الأشج⁽¹⁴⁾ (310 - 393 هـ) وكان قد رحل من الأندلس إلى المشرق فلقي أبا الطيب بمصر وأخذ عنه شعره روايةً، ونجد سند هذه الرواية بين أحد عشر سنداً أثبتها ابن خيبر في فهرسته؛ وثمة أندلسي آخر شافه المتنبي في مصر أيضاً وأدخل شعره إلى الأندلس وهو أبو عبدالله محمد بن قادم القرطبي⁽¹⁵⁾.

وروايته موجودة في أسانيد ابن خيبر المذكورة، ويبدو أن رواية ابن قادم كانت مدونة في نسخة ظلت متداولة في المغرب حتى عصر المنصور السعدي وكانت من أصول الديوان المختلفة التي اعتمد عليها القشتالي في ترتيب ديوان أبي الطيب، جاء في هذا الترتيب (ص 283): «ومما ليس في كتاب ابن قادم ولا رواها أكثر الرواة قصيدته في سيف الدولة:

أصدوداً هجرتنا أم دلالة
حينَ أظهرتِ جفوةً واعتلالاً»
وقد ورد ذكرها في الترتيب المذكور أكثر من مرة.

غير أن الرواية المشهورة لشعر المتنبي في الأندلس هي رواية الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف⁽¹⁶⁾، وهو لم يلق الشاعر وإنما أخذ شعره عن راويتي له في مصر هما أبو الطائي وإبراهيم المغربي^(16م). ثم عرفت البيئات العلمية في الأندلس بعد هذا روايات أخرى في

(14) له ترجمة في تاريخ ابن الفرضي 1: 179 وبغية الملتبس رقم 744.

(15) فهرست ابن خيبر: 403.

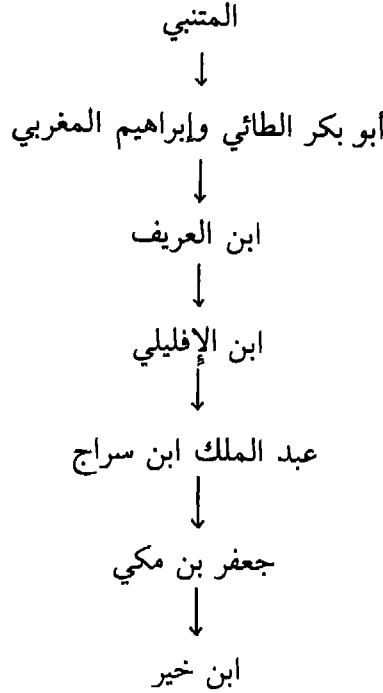
(16) ترجمة ابن العريف في جذوة المقتبس: 182 وتاريخ العلماء لابن الفرضي 1: 134 - 135 وبغية الوعاة 1: 542 والذخيرة لابن بسام.

(16م) أبو بكر الطائي هو الذي خاطبه المتنبي بيتين دالين عندما نام وهو ينشده (الديوان 2: 81 ط. البرقوقي) ولم نقف على ترجمته ولا على ترجمة إبراهيم المغربي.

شعر المتنبي لعلها أن تكون أكمل من سابقتها، ومنها الروايات التي أدخلها أبو الفتح ثابت بن محمد الجرجاني الذي وفد على الأندلس سنة (406هـ)⁽¹⁷⁾، وأبو الحسن علي بن إبراهيم التبريزي الذي دخل سنة 421 هـ⁽¹⁸⁾، وأبو عبد الله محمد بن البر الصقلّي الذي دخل سنة 460 هـ⁽¹⁹⁾.

ونورد فيما يلي نماذج من بعض أسانيد شعر المتنبي في القرن السادس من خلال فهرست ابن خير:

- 1 -



(17) ترجمة أبي الفتح الجرجاني في جذوة المقتبس: 173 ويغية الملتمس رقم 692 والصلة:

135 والذخيرة 1/4: 124 والذيل والتكملة 8: 422 والإحاطة 1: 454 ومعجم الأدباء 7: 145

ويغية الوعاة 1: (؟؟) والتبيان: 32 وفهرسة ابن خير: 404.

(18) ترجمته في الصلة 2: 406 وفهرسة ابن خير: 404.

(19) التكملة 2: 671 - 675.

- 2 -

المتنبي

أبو بكر الطائي وإبراهيم المغربي

ابن العريف

ابن الإفليلي

الأعلم الشتمري

ابن فندله

ابن خير

- 3 -

المتنبي

أبو بكر الطائي وإبراهيم المغربي

ابن العريف

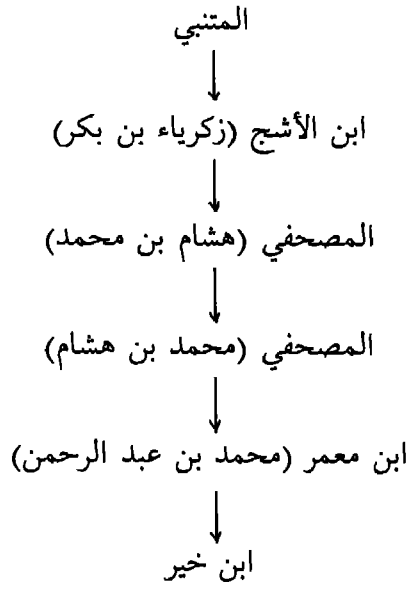
ابن الإفليلي

ابن بقنة

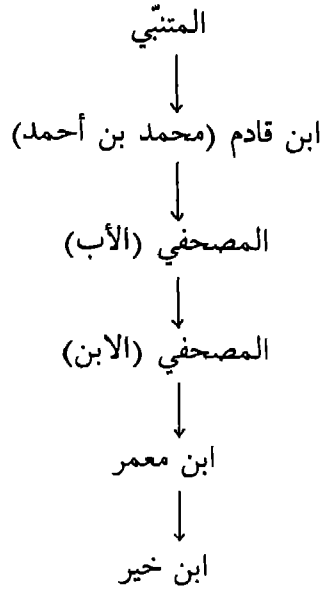
ابن أبي الخصال

ابن خير

- 4 -



- 5 -



- 6 -

المتنبي



أبو بكر الطائي



ابن العريف



المصحفي (الأب)



المصحفي (الابن)



ابن معمر



ابن خير

- 7 -

المتنبي



البياري



الجرحاني



المصحفي (أبو بكر محمد)

- 8 -

المتنبي



الرّبيّ (علي بن عيسى)



الجرجاني (ثابت بن محمد)



المصحفي (أبو بكر محمد)

- 9 -

المتنبي



الثاني (علي بن أحمد)



الجرجاني (ثابت بن محمد)



المصحفي (أبو بكر)

- 10 -

المتنبي



عبد السلام بن الحسين البصري

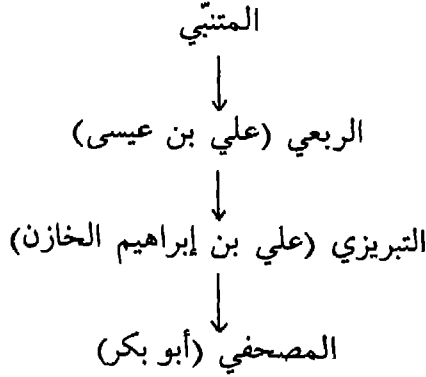


الجرجاني (ثابت بن محمد)



المصحفي (أبو بكر محمد)

- 11 -



* * *

تلکم أسانید فہرسة واحدة هي فہرسة ابن خیر، والواقع أنه لا یکاد یخلو أي برنامج أندلسي مهم من التعرض لآسانید الأندلسيين في شعر المتنبي .

ومن برامج القرن السابع التي تحفل بهذه الآسانید برنامج أبي جعفر أحمد بن یوسف اللبلي الذي یروي شعر المتنبي بآسانید أندلسية وشامية ومصرية تبلغ 7 آسانید⁽²⁰⁾ .

وبرنامج ابن أبي الربیع الإشبيلي ثم السبتي الذي یحمل شعر المتنبي عن الشلوبين عن ابن مضاء عن ابن أبي الخصال عن ابن بقنة عن ابن الإفليبي عن ابن العریف عن أبي بكر الطائي وأبي إسحاق إبراهيم بن عبدالله المغربي عن المتنبي⁽²¹⁾ .

وكان أصل أبي عبدالله ابن أبي الخصال المذكور في سند ابن خیر وفي هذا السند من شعر المتنبي ممّا یتنافس فيه أهل العلم، وقد آل إلى

(20) رحلة ابن رشيد 2: 249 - 250 تحقيق الشيخ ابن الخوجة .

(21) برنامج ابن أبي الربیع مجلة معهد المخطوطات 'عربية' (نوفمبر 1955) ص 271 .

الأديب الحسيب أبي بكر محمد ابن محرز البلنسي مستوطن بجاية، ثم أهداه إلى الحاكم العالم سعيد بن حكم القرشي أمير جزيرة منرقة⁽²²⁾ الذي كانت عنده نظائر للأصل المذكور.

وكان غلاف هذا الأصل قد تلاشى بكثرة التداول والاستعمال فعني الأمير المذكور به وكساه حلة ما فوقها حلة، وهذا ما يشير إليه في جملة شعر كتب به من منرقة إلى أبي بكر ابن محرز في بجاية:

فَلِلَّهِ شِعْرُ أَبِي الطَّيِّبِ الذِّ
يَ إِنْ يَطَّبُ فبِمَهْدِيهِ طَابَ
أَفَادَ خِصَالَ الخِصَالِي وَهُدَى
يَ أَكْثَرُ مِنْ قَطْرِ هَامِي السَّحَابِ
فَلَمْ يَرَ إِلَّا انْسِيَاقًا إِلَى
نِظَائِرِ عِنْدِي لَهُ وَأَنْسِيَابِ
وَلَا غَرَوْا إِنْ بُزَّ حُسْنَ اللَّبْوِ
سِ فَالْفُضْلُ لَيْسَ بلبسِ الثِّيَابِ
وَلَيْسَ الكَهَامُ الطُّبَى مَا
ضِي الذَّنَابِ بِحَالِ بِحَالِي القِرَابِ
أَلَّا إِنَّمَا الفُضْلُ تَحْتَ الثِّيَابِ
أَلَّا إِنَّمَا الفُضْلُ تَحْتَ الإِهَابِ
سَأَكْسِبُهُ هَيْئَةً يَقْتَضِي
بِهَا هَيْبَةَ مَا اقْتَضَاهَا كِتَابُ⁽²²⁾

ومن برامج القرن التاسع في الأندلس برنامج أبي عبدالله محمد بن عبد الملك المنتوري، وله سندان في شعر المتنبّي ذكرهما كما يلي:

(22) مخطوط الاسكوريال رقم 520.

«كتاب شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي المتنبّي الكوفي. قرأت بعضه على الأستاذ أبي عبدالله محمد بن محمد بن منظور وأجازني جميعه، وحدثني به عن الأستاذ أبي الحسن علي بن سليمان القرطبي عن أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص عن الخطيب أبي الحسن علي بن محمد بن يقي عن الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي عن أبي زكرياء التبريزي عنه.

وحدثني به القاضي أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي إذناً عن المحدث نور الدين أبي الحسن علي بن عمر الوالي كتابة عن الشيخ أبي القاسم عبد الرحمن بن مكي بن الحاسب عن جدّه للأم الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي عن أبي زكرياء التبريزي.

قلت: وبهذا الإسناد ساويت الأستاذ أبا عبدالله⁽²³⁾. وهذه الأسانيد الأندلسية التي أوردناها إنما هي على سبيل المثال، ولا نبعد إذا قلنا إنه كان لكلّ أديب مشهور رواية في شعر المتنبّي، وفي هذا ما يبين عناية الأندلسيين بتناقل هذا الشعر وتدارسه منذ ظهوره حتى آخر عهد الفردوس المفقود.

وقد انتشر شعر أبي الطيب في صقلية بواسطة علي بن حمزة اللغوي رواية المتنبّي في مصر، وكان قد انتقل إلى بلرم حيث توفي سنة 375 هـ⁽²⁴⁾.

وانتشر كذلك من طريق محمد بن البر الذي روى شعر المتنبّي في مصر أيضاً سنة 413 هـ عن ابن رشدين عن المتنبّي؛ ورواه عن ابن البر جماعة من الصقلّيين منهم عبد الله بن محمد الصيرفي سنة (459 هـ) وابن القطاع

(23) مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط.

(24) له ترجمة في إرشاد الأريب 13: 208 - 209 وبغية الوعاة 2: 165 وانظر: العرب في صقلية للدكتور إحسان عباس: 93 - 95.

الذي سنذكره مع شرح المتنبي فيما بعد⁽²⁵⁾.

وكان لابن شرف وابن رشيق وغيرهما من أدباء القيروان الذين هاجروا إلى صقلية أثر كذلك في نشر شعر المتنبي بهذه الجزيرة⁽²⁶⁾.

وأما في المغرب الأقصى فلا نعرف متى درس فيه شعر المتنبي، وذلك لضيق أخبار المراكز الثقافية الأولى، ولكننا نقدر أن شعر المتنبي عرف في المغرب بواسطة الأندلس.

وقد ذكرنا في الفصل السابق أن أقدم سند لمغربي وقفنا عليه في شعر أبي تمام هو سند القاضي عياض في برنامجه المسمى بالغنية، ويبدو أن له سنداً في شعر المتنبي بواسطة شارحه ابن السيد البطليوسي وغيره من الأندلسيين الذين أجازوه⁽²⁷⁾.

ولا بد أن أبا موسى الجزولي كان له سند في شعر المتنبي إذ إنه اختصر أقدم شرح لهذا الشعر وهو الفسر لابن جنبي، وقد يكون ذكر سنده أو أشار إليه في مقدمة شرحه.

كما أن ابن خبير الذي ذكرنا أسانيده فيما سبق هو فاسي المولد والنشأة استوطن إشبيلية وروى عن علماء الأندلس.

ويمكن القول على العموم بأن أسانيد الأندلسيين في شعر المتنبي التي عرفت خلال عهود المرابطين والموحدين والمرينيين عرفت في المغرب أيضاً نظراً لما كان بين العدوتين من روابط الوحدة.

وسنرى فيما بعد كيف أن خزائن المنصور السعدي العلمية كانت تحتوي على نسخ متعددة من ديوان المتنبي كلها عتيقة ومنسوبة ومروية ومجازة⁽²⁸⁾.

(25) تكملة ابن الأبار 2: 672 (وانظر كذلك رقم 367 في الملحق).

(26) ديوان المتنبي في العالم العربي: 44.

(27) راجع الغنية.

(28) انظر مقدمة ترتيب ديوان المتنبي للفشتالي في الفصل الخامس.

ب - الشروح :

لم يحظ ديوان من دواوين الشعر القديم بمثل ما حظي به ديوان المتنبي من حيث الاهتمام بشرحه والعناية بتفسيره، وقد تجاوزت شروحه الأربعين شرحاً، يقول ياقوت: «ولم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الإسلام شرح هذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان»⁽²⁹⁾.

وقد كان للأدباء المغاربة - بالمعنى الواسع - سهم كبير وحظ وفير من هذه الشروح سواء من حيث الكم أو من حيث الكيف.

وإذا تابعنا مذيّل كشف الظنون فإنّ أقدم شرح أندلسي لشعر المتنبي هو الذي نسبه إلى محمد بن أبان القرطبي، وهو أمر لم يرد له ذكر في المصادر القديمة⁽³⁰⁾.

ولعلّ أبا القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء القرشي الزهري القرطبي المعروف بابن الإفليلي (410 - 476هـ) هو أشهر شارح أندلسي لشعر المتنبي وما يزال شرحه مخطوطاً، وتوجد منه نسخ في خزائن المغرب وغيره⁽³¹⁾؛ وقد عرف هذا الشرح قديماً في المغرب والمشرق وأثنى عليه العلماء، وأفاد منه شراح المتنبي من المشاركة كالعكبري الذي ذكره في مصادره ونقل عنه كثيراً⁽³²⁾؛ واهتم به الأندلسيون في عصر صاحبه وبعد عصره، فألف ابن حزم كتاباً «في التعقيب على ابن الإفليلي في شرحه لديوان المتنبي»⁽³³⁾ ورد أبو محمد عبدالله بن أحمد النباهي⁽³⁴⁾ تلميذ ابن

(29) إرشاد الأريب لياقوت ووفيات الأعيان 1: 121 تحقيق د. إحسان عباس.

(30) إيضاح المكنون 1: 527 وهدية العارفين 2: 44.

(31) انظر تعريفاً بهذا الشرح ومخطوطاته في كتاب تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: 94 - 116.

(32) شرح العكبري 1: 2 و241 - 242 ط. القاهرة 1308 هـ وانظر ما قيل في شرح ابن الإفليلي:

رائد الدراسة عن المتنبي: 54 - 55.

(33) نفع الطيب.

(34) الصلة 1: 274 والمرقبة العليا: 20 وقد وهم بعضهم فظن أن المقصود بالنباهي هو أبو الحسن

النباهي معاصر ابن الخطيب. انظر: رائد الدراسة عن المتنبي: 73.

الإفليلي على أبي محمد ابن حزم، ولا وجود لهذين الكتابين اليوم.

لا توجد بين أيدينا ديباجة شرح ابن الإفليلي، ولعله تحدّث فيها عن طريقته أو منهجه في الشرح، وقد درس الدكتور الداية هذا المنهج في ضوء نسختي الخزانة العامة بالرباط والمتحف البريطاني وهما نسختان ناقصتان إذ أنهما لا تحتويان إلا على جملة من السيفيات، وتوجد من شرح الإفليلي نسختان تامّتان بدون ديباجة وهما تشتملان على الشعر الذي قاله أبو الطيب من أول السيفيات إلى آخر حياته، وهذا هو القسم الذي تمكن ابن الإفليلي من شرحه قبل وفاته ثم أكمل القسم الآخر وهو ما يعرف بشعر الصبا تلميذه الأعلام كما سيأتي، والقصيدة الأولى في نسختي الخزانة الحسنية هي:

وَفَاؤُكُمْ كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ

بأن تسعدا والدمعُ أشفاهُ ساجمُهُ

وهي أولى السيفيات، أما آخر قصيدة في الشرح فهي التي قالها المتنبّي في وداع عضد الدولة:

فِدَى لَكَ مَنْ يُقْصِرُ عَنْ نَدَاكَ

فَلَا مَلِكُ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ

وهي آخر ما قال كما تنص المصادر ونسخ الديوان.

إن طريقة الشرح في هذا القسم الذي لم يقف عليه الدكتور الداية لا تختلف عن القسم الذي حلله في رسالته الجامعية، فابن الإفليلي يقدّم أولاً شرح الألفاظ التي تحتاج إلى الشرح ثم ينتقل إلى شرح المعاني ويعرض في خلال الشرح إلى جزئيات نحوية أو بلاغية، كما يستشهد عند شرح الألفاظ أو المعاني أحياناً ببعض الشواهد من الشعر القديم أو من الشعر المولد، ومن أمثلة ذلك استشهاده بشعر الأخطل عند شرحه بيت المتنبّي:

نَفَى وَقَعَ أَطْرَافِ الرَّمَاكِ بِسَيْفِهِ

وَلَمْ يَخْشَ وَقَعَ النِّجْمِ وَالذَّبْرَانِ

قال متحدثاً عن النجم والدبران: «وهما من منازل القمر، وليس في جميع المنازل منزلتان تتقارب تقاربهما، وتسمي العرب ما بينهما ضيقة، ويتشائمون بمواجهتها.. ولذلك يقول الأخطل وهو يهجو سعيد بن بيان التغلبي وكان تزوج بمرّة بنت أبي معان التغلبي، وكان الأخطل يشبّب بها فقال:

وكيف يُداويني الطّيبُ من الجوى
وبرةٌ عند الأغر بن بيان
فهلّا زجرت الطّير إذ جاء خاطباً
بضيقة بين النجم والدبران»
وقال في شرح قوله:

من الجاذر في زي الأعراب
حمر الحلى والمطايا والجلابيب
«وحمر الجلابيب من أحسن الملابس وأنقى المناظر وقد دلّ على ذلك بشار بقوله:

خذي ملابس زينة
ومصبغات فهي أشهر
وإذا خرجت تقنعي
بالحسن إن الحسن أحمر»

وابن الإفليلي معجب بالمتنبي وبشعره ولهذا لا نجده يتعقب غلوه بالانتقاد كبعض الشراح فعندما شرح قول المتنبي:

لو القلك الدوّار أبغض سعيه
لعوّقه شيء عن الدوران
اكتفى بقوله: «وهذا الكذب من الشعراء ومثله قد فهم أهل اللغة

القصد منه وعلم المراد به، ذلك أن الشاعر إذا أراد أن يوجب لوصفه بلوغ غاية ما يمكن نسب إليه في تلك الجهة ما لا يمكن فعلم السامع عند ذلك أن الشاعر لم يقصد إلى إحالة لفظه والإزراء على نفسه ولكنه قصد إلى استيفاء الغاية وبلوغ أبعد أسباب النهاية وسهلت له الثقة بمعرفة قصده ما يتقلده من المحال في ظاهر لفظه»^(34م).

ويتصل بهذا الشرح اتصالاً وثيقاً بل يلتصق به التصاقاً شرح الأعلام الشنمري، وهو خاص بشرح قصائد الصبا من شعر أبي الطيب المتنبّي، وهكذا سماه الأعلام في مقدمة شرحه على حماسته⁽³⁵⁾، وسماه كذلك البديعي في الصبح المنبّي⁽³⁶⁾، وقد ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان أن الأعلام «ساعد شيخه ابن الإفليلي على شرح ديوان المتنبّي»⁽³⁷⁾ وعلق الدكتور رضوان الداية على هذا قائلاً: «ولا ندري معنى هذه المساعدة ولا مقدارها...» ثم قال: «ولعل ما بينهما في أمر الديوان مثل ما يكون بين الأستاذ وتلميذه النجيب من مباشرة ومباشرة، وقد يكون الأعلام دون شرح أستاذه»⁽³⁸⁾ والحق أن العبارة المذكورة تتضح لمن وقف على شرح الأعلام، ومن حسن الحظ أننا وقفنا على قسم كبير من هذا الشرح، وهو مصنّف مع ما يسمى بالخروم في خزانة القرويين، وقد ظل مجهولاً لكون هذه الخروم لم تكتشف إلا بعد صدور الفهرس القديم للخزانة الذي يعتمد عليه بروكلمان وغيره؛ وتدلنا مقدمة هذا الشرح على جملة أمور:

منها أن ابن الإفليلي توفي قبل أن يكمل شرح الديوان حيث إنه لم يشرح منه إلا نحو النصف من جملة شعر المتنبّي، وبقي عليه قسم من شعره وهو الشعر الذي قاله الشاعر في صباه فنهض تلميذه بشرحه ليكون

(34م) مخطوط الخزانة الحسنية.

(35) مخطوط الخزانة العامة رقم 101 د.

(36) الصبح المنبّي 1: 423، 426.

(37) وفيات الأعيان 7: 81؛ وانظر كذلك إنباه الرواة 4: 60 ومعجم الأدباء 7: 307.

(38) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: 118.

كما يقول في المقدمة: «هذا الشرح موصولاً بشرحه المذكور، ومضافاً إلى تأليفه المشهور، فيكمل بذلك جميع الشعر مشروحاً» ويذهب الأعلام إلى أن الغاية من تكملته شرح أستاذه بشرحه هي أن «يستغني بهما عن شرح أبي الفتح ابن جني وغيره» ثم يبيّن رأيه في شرح ابن جني الذي يعتبر أقدم شرح لشعر المتنبي قائلاً: «تصّفّحته وأشرفتُ عليه فألفيته متشاعلاً فيه بتبيين اللغة والتصريف والإعراب عن تحقيق المعاني وتبيين الأغراض، ورأيتُ خطاه في تأويل المعاني أكثر من إصابته فيها وإعراضه عن تبين المشكلات منها أكبر من إقباله عليها، وليس هذا قدحاً في علمه، ولا تسارعاً إلى ظلمه وهضمه، ولكن معاني الشعر كثيراً ما زلّ العلماء في تأويلها، وضلّوا عن منهاج سبيلها، وذكروا عجز كثير من العلماء عنها والتقصير منهم فيها ولذلك قال أبو عمرو بن العلاء: العلماء بالشعر أقلُّ من الكبريت الأحمر، وقال الأصمعي: فرسان الشعر أقلُّ من فرسان الحرب»⁽³⁹⁾ ونحن لا نعد هذا الكلام من قبيل التعامل الفارغ أو الدعوى العريضة لأن الأعلام بشروحه المتعددة والمتنوعة للنصوص الشعرية الجاهلية والإسلامية يأتي في الصف الأول بين الشراح الأقدمين على الإطلاق، كما أنه لم يكن الوحيد الذي انتقد شرح ابن جني فقد كتبت ردود متعدّدة عليه⁽⁴⁰⁾، وقد نفهم من كلامه إحساساً بمعنى الكتاب الأندلسي واتجهاً إلى الاستغناء به عن غيره، ويعرض الأعلام في فقرة من مقدمته إلى طريقته في الشرح فيقول: «وقد شرحت هذه الجملة المذكورة من شعره شرحاً يقتضي تفسير غريبها ومعانيها ويحتوي على تقرب أغراضها ومراميها، ويسهل الصعود إلى معارجها ومراقبها، وضمنته التنبيه على محاسن أبي الطيب في شعره ومساويه مما استحسّن له أو قدح فيه، وإن عن من الإعراب شيء يحتاج إلى ذكره مما يتحقق به معنى أو

(39) مخطوط خزانة القرويين.

(40) انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس: 284 - 287 ورائد الدراسة عن المتنبي: 58، 186.

يتبين به لفظ أو تقع معه فائدة ذكرته»⁽⁴¹⁾، وفي آخر المقدمة يطيل الأعلام الشناء والدعاء للمعتضد العبادي صاحب إشيلية ولولي عهده المعتمد الذي ألف الكتاب برسمه كما جرت عادة الأعلام في إهداء مؤلفاته⁽⁴²⁾.

وتدلنا القراءة السريعة للقطعة الموجودة من شرح الأعلام على أنه سار فيه على منهجه المذكور وهو منهج مبني على التركيز والإيجاز والقصد والاعتدال إذ تندر فيه الروايات والأقوال وترد فيه بين الحين والحين بعض الشواهد من الشعر القديم والمحدث، وقد أشار مرات إلى ابن جني⁽⁴³⁾ وذكر الوحيد مرة⁽⁴⁴⁾ وأتى له بكلمة في انتقاد المتنبي، وثمة فقرة في هذه المقدمة تشير إلى وقوف الكتاب الأندلسي على قدميه، وتذكر الشكوى ممن يقف الإحسان على ما هو مشرقي أو ينسب الفضل إلى القديم فحسب، وهي قوله: «وأرجو أن يكون هذا الشرح كافياً لمن أنصف، شافياً [لمن أولى] الإحسان لصاحبه واعترف، ونكب عن طريق البغي والحسد، وأعرض عن الاعتلال بالعصر والبلد، ونعوذ بالله من العجب بما نحسن ونعلم، كما نعوذ به من الادعاء لما لا نعقل ولا نفهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل»⁽⁴⁵⁾ وستكبر هذه الشكوى عند ابن بسام في مقدمة الذخيرة والحميري في مقدمة البديع في وصف الربيع وعند غيرهما فيما بعد.

ولقد أعددنا الموجود من هذا الشرح وننوي إصداره قريباً بحول الله، وفيما يلي نموذج منه:
«وقال أيضاً في صباه:

(41) المصدر أعلاه.

(42) نجد هذا في مقدمة شرح الأشعار السنة ومقدمة شرح شواهد كتاب سيبويه ومقدمة شرح ترتيب الحماسة.

(43) المصدر أعلاه.

(44) المصدر نفسه.

(45) المصدر نفسه.

أرق على أرق ومثلي يَأْرُقُ
 وجوى يزيدُ وعبرةٌ تترقُّ
 جُهد الصِّبابة أن تكونَ كما أرى
 عينٌ مُسَهَّدةٌ وقلبٌ يخفُّ
 ما لاحَ برقٌ أو ترنمٌ طائرٌ
 إلا انثنيتُ ولي فؤادٌ شَيِّقٌ

الأرق: السهر، والجوى: فساد الجوف، والعبرة الدمعة، وترقها تردها في العين، والجهد بلوغ الغاية في كل شيء، والصِّبابة رقة الشوق، ولاح البرق إذا لمع، وانثنيت رجعت وصرت. يقول: أرقى متتابع، وجواي متزايد، ودمعي مترق، ومثلي ممن عشق عشقي، وفجوى بمثل فراقي لإلفي، يأرق ويسهر ويجوى ويستعبر، ثم بين جهد صبابته وشدة حزنه بما وصف من تسيّد عينيه وخفقان قلبه، وذكر أن البرق وترنم الحمام يبعثانه على الحزن ويهيجان ما سكن من لاعج الشوق، وذلك لتذكره بالبرق وتبسم الحبيب وترنم الحمام فقدّ الإلف والأنيس.

جَرَبْتُ مِنْ نارِ الهوى ما تنطفي
 نارُ الغضى وتكلُّ عَمَّا تُحْرِقُ
 وعدلتُ أهلَ العشق حتى ذقتُهُ
 فعجبتُ كيف يموتُ مَنْ لا يعشَقُ
 وعدرتهم وعرفتُ ذنبي أنني
 غيرتهم فلقيتُ فيه ما لُقوا

نار الغضى أشدّ النار لهباً، وهو شجرٌ يضرب المثل بجمره، فيقال: نار الهوى، أشدّ من نار الغضى، فلو جربت في إحراق شيء لطفنت نار الغضى وكَلَّتْ عَمَّا تحرق نار الهوى، وألزم همزة تنطفي. التخفيف والبدل ضرورة، ثم قال: كنت أعدلُ أهل العشق على ما يبدو منهم من الحزن

والضَّعْفُ حَتَّى بُلِيَتْ بِهِ وَجَرَّبَتْهُ [فَعَرَفَتْ أَنَّ مِنْ يَعِشُقُ يَمُوتُ]، وَعَجِبْتُ
 مِنْ كُلِّ مَنْ يَمُوتُ دُونَ عِشْقٍ، وَعَذَرْتَهُمْ فِيمَا يَظْهَرُونَ مِنَ الْحُزَنِ وَعَلِمْتُ
 أَنِّي مَذْنِبٌ فِي تَغْيِيرِي لَهُمْ بِهِ فَلَقِيْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا لَقَوْنَا عَقُوبَةً وَجِزَاءً وَمِنْ
 أَمْثَالِ الْعَرَبِ: مَنْ يَرَى يَوْمًا يُرَى بِهِ وَالِدُهُ لَا يَغْتَرُّ بِهِ.

أَبْنِي أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ
 أَبَدًا غِرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ
 نَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ
 جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا

قوله: أبني أبينا كقولك يا إخوتنا، وأراد بغراب البين ذاعي الموت
 ونقل لفظ الغزل إلى الوعظ، وهذا من عادته لحذقه وحسن تصرفه، ويقال
 نغق الغراب بالغين مُعْجَمَةً، وقد يقال نغق بالعين. والمعنى أن كل منزل
 فلا بد من حلول الموت بأهله، وكل مجتمع إلى افتراق، فلم نبكي على
 الدنيا ولم نحزن على ما فات منها:

أَيْنَ الْأَكَاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الْأَلَى
 كُنُوزَ الْكُنُوزِ فَمَا بَقِيْنَ وَمَا بَقُوا
 مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِجَيْشِهِ
 حَتَّى تَوَى فَحَوَاهُ لِحَدِّ ضَيْقٍ
 حُرْسٍ إِذَا نُودُوا كَأَنَّ لَمْ يَعْلَمُوا
 أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ

الأكاسرة: ملوك الفرس، وأجدهم كسرى، وهو جمع على غير
 قياس، والجبابرة: جمع جبار، ويقال أيضاً جبير، والألى: في معنى الذين
 لا واحد له من لفظه، والفضاء: ما اتسع من الأرض، يقول: فيمن مضى
 من الملوك الجبابرة عظة لمن بقي ومعنى توى أقام ميتاً، وهو بالثاء ثلاث

نقط، ويقال توى بالتاء إذا هلك، ثم قال خُرُسٌ إذا نودوا أي هم أموات قد خَرَسُوا عن الكلام كأنه محرم عليهم وهو حلال لهم مطلق لو استطاعوا.

فالموتُ آتٍ والنَّفوسُ نفائسُ
والمستعزُّ بما لَدَيْهِ الأحمقُ
والمَرءُ يأملُ والحياةُ شهيةٌ
والشَّيبُ أوقرُّ والشَّيبةُ أنزقُ

النفائس: جمع نفيسة، والمستعز: المغتر، يقول: لا بد من الموت وحلوله بالنفوس وإن كانت نفيسة شريفة فلا يعرج عنها لنفاستها، ومن اغتر بما لديه من أعراض الدنيا وأعلاقها وصالح أحوالها فهو أحمق ضعيف التمييز والرأي، ثم وصف الأحوال في الدنيا وعظاً وتأديباً فقال: المرء يأمل أبداً ما لا يناله ويشتهي من الأشياء ما لا يدوم له ويطرأ عليه من الشيب ما يكرهه وإن كان أدعى إلى الوقار من الحدائث والشبيبة، ويرحل عنه من الشباب ما يسوؤه رحيله وإن كان ذلك أدعى إلى النزق والخفة.

ولقد بكيتُ على الشبابِ ولمّتي
مُسوِّدةٌ ولماءٍ وجْهي رَوْنقُ
حذراً عليه قبلَ يومِ فراقِهِ
حتّى لكِدتُ بماءِ جَفْنِي أشرقُ

اللّمة من الشعر ما ألمّ بالمنكب، والرونق الحسن والنضارة، والشرق: الغصص بالماء فإن كان بالريق فهو جرض وإن كان بالطعام فهو غصص، أي بكيت على الشباب قبل فقدته حذراً عليه وإشفاقاً من ذهابه فلم ينفعني ذلك.

أما بنو أوس بن مَعْنِ بن الرّضِي
فأعزّ من تُحدِي إليه الأيتنُ

كَبُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ

منها الشُّمُوسُ وليسَ فيها المَشْرِقُ

الأيق: جمع ناقة، والأصل فيها أنُوقٌ فحذفت الواو استتقالاً لها وعوضت الياء من ذهابها، ويجوز أن تُبَدَلَ الياء من الواو لأنها أخفّ منها وقلبت اللفظة لتسكن الياء. يقول: هم أعزّ من وُفَدَ إليه وأكرمٌ من نُزِلَ عليه، وهم في الاستضاءة بآرائهم وحسن مناظرهم واستبشارهم كالشموس فكان ديارهم مشارق الشمس وإن لم تكن في حيز المشرق يريد أن ديارهم في ناحية المغرب.

وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابٌ أَكْفَهُمْ

مَنْ فَوْقَهَا وَصَخُورُهَا لَا تُورِقُ

وتفوح من طيب الثناء روائح

لَهُمْ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ

مِسْكِيَّةَ النَّفَحَاتِ إِلَّا أَنَّهَا

وَحَشِيَّةٌ بِسَوَاهِمُ لَا تَعْبَقُ

يقال: مكانٌ ومكانة، ومنزلٌ ومنزلة، ودارٌ ودارة، وإزارٌ وإزارَةٌ ومغنى ومغناةٌ ومجرىٌ ومجراةٌ وريحٌ وريحة. يقول ذكرهم منتشر طيب كما أن جودهم متصل شامل، فعجباً من أرض تتوالى فيها أمطار جودهم، ويرى بها مع ذلك أثر فقر على بعض ساكنيها وضرب الصخور لذلك مثلاً وذكر أن روائح ثنائهم كالمسك وأن ثنائها منهم لأنهم أهلها ومشهورون بها وأنّها وحشية مضرةٌ بغيرهم لا تعبق أي لا تفوح ولا تطيب لأنهم ليسوا من أهلها.

أُمْرِيْدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ فِي عَضْرِنَا

لَا تَبْلُنَا بِطِلَابِ مَا لَا يُلْحَقُ

لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ

أَحَدًا وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ

يقول: مَنْ طَلَبَ مِثْلَ هَذَا الْمَمْدُوحِ فِي عَصْرِهِ فَقَدْ طَلَبَ مَا لَا يُدْرِكُ وَلَا يُلْحَقُ ثُمَّ غَلَا فِي وَصْفِهِ فَقَطَعَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى وَشَكَ فِي أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ فِيمَا بَقِيَ لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ فَمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ وَلَمْ يَعْلَمْ مَا يَكُونُ بَعْدَ، وَرَبَطَهُ لِمَا يُسْتَقْبَلُ بِالظَّنِّ إِثْبَاتٌ لِدَعْوَاهُ بَيْنَمَا قَطَعَ عَلَيْهِ فِي... الْمَاضِي بِزَعْمِهِ:

يَا ذَا الَّذِي يَهَبُ الْكَثِيرَ وَعِنْدَهُ
 أَنِّي عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَتَصَدَّقُ
 أَمْطِرْ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً
 وَاَنْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لَا أُغْرَقُ
 كَذَبَ ابْنِ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ
 مَاتَ الْكِرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرَزَقُ

المتصدق: المعطي، وقد يكون السائل، قال الشاعر:

لَوْ أَنَّهُمْ رُزِقُوا عَلَى أَقْدَارِهِمْ
 أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ

والبيت مأخوذ من قول زهير:

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَتَهَلَّلًا
 كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

ولم يرد أنه حريص على الأخذ، وإنما يريد أن سروره بما يهب كسروره، وسرور غيره بما يوهب له على ما عهد وتعرف، والثرة والثروة الغزيرة، يقول إن لم تتلافني برحمة منك وإشفاق علي غرقت في تيار جودك أي إن لم تقصير عن بعض ما تهبه لي من جزيل هباتك أفضى بي السرور بتواليها وكثرتها إلى الموت وهذا كقول أبي تمام:

لُهِىَ تَسْتِثِيرُ الْعَقْلَ لَوْلَا اتِّصَالُهَا بِحُسْنِ دِفَاعِ اللَّهِ وَسُوسِ سَائِلَتِهِ

وأراد بآبن فاعلة آبن زانية، فكنى عنها، يقول من زعم أن الكرام قد انقرضوا فقد كذب لأنك تنوب مناب جميعهم ما حيتت».

وثمة شرح أندلسي ثالث وصل إلينا كذلك لحسن الحظ ونعني به شرح مشكل أبيات المتنبي لأبي الحسن علي بن سيّدة مؤلف المحكم والمخصص وغيرهما من المؤلفات، وقد توارد على تحقيقه ونشره عدد من المحققين في مصر وسورية والعراق⁽⁴⁶⁾.

وهذا الشرح وإن كان شرحاً جزئياً إلا أنه ذو قيمة خاصة من حيث التفاته إلى ظاهرة في شعر المتنبي أسماها الأقدمون: مشكل أو مشكلات شعر المتنبي، وسماها آخرون أبيات المعاني في شعر المتنبي، ويمكن أن نطلق عليها ظاهرة الغموض في شعره، وقد شغل بها بعض شراحه مثل ابن جني في كتابه: الفتح الوهبي، على مشكلات المتنبي، والأصفهاني في مؤلفه: الواضح في مشكل شعر المتنبي، وابن عبد الملك الشتريني في الجزء الرابع من كتابه: جواهر الآداب، وقد نشر هذا الجزء بعنوان: سرقات المتنبي ومشكل معانيه ونسب خطأً إلى ابن بسام الشتريني⁽⁴⁷⁾، وستحدّث عنه فيما بعد.

ويتميز شرح ابن سيّدة بميزة واضحة وهي تعرضه للجوانب المنطقية والفلسفية في شعر المتنبي ومعالجة مواضيع الحكمة فيه، مع مناقشة القضايا اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية، وله ملاحظات ومؤاخذات على الشاعر، وهو في جملة يمثل إسهاماً أندلسياً كبيراً في خدمة شعر

(46) حققه مصطفى السقا وحامد عبد المجيد في مصر ورضوان الداية من سورية والشيخ محمد آل ياسين في العراق. انظر رائد الدراسة عن المتنبي: 46.

(47) طبع الكتاب في تونس بتحقيق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور سنة 1970.

المتنبّي ونبىء عن المستوى العالى الذي وصلت إليه الثقافة في الأندلس فابن سيدة في هذا الشرح يخالف أبا الفتح ابن جني وأبا علي الفارسي⁽⁴⁸⁾ في الرأي ولا يأخذ ببعض ما ذهبوا إليه وينزع إلى الاجتهاد في التوجيه والاستقلال في الفهم، وفيما يلي أنموذج من شرحه يدل على ما أشرنا إليه:

«وضاقت الأرض حتى كان هاربهم
إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

أما الرؤية فلا تقع على غير شيء، لأن غير شيء ليس بمحسوس إحساس الجوهر ولا إحساس العرض، لأن غير شيء خارج من الجوهر والعرض لأن كل واحد من الجوهر والعرض شيء، وإنما أراد هذا الشاعر: إذا رأى غير شيء يحفل به، فهو في قوة قولك إذا رأى شيئاً لا يحفل به ظنه رجلاً، كقول العرب: إنك ولا شيء سواء، ومحال أن يسوى بين الموجود والمعدوم لأنهما في طريق التضاد ولكنهم يريدون إنك وشيء لا يعبا به سواء، ولكنهم قالوا: إنك ولا شيء، واكتفوا به من قولهم: وشيء لا يعبا به، لأن ما لا يعبا به كالمعدوم، ولذلك ألزمتنا سيويه النصب في قوله: إنما سرت حتى سادخلها، إذا كنت محتقراً للسير، قال الفارسي: إنما ذلك لأنه لا شيء أقرب إلى طبيعة النفس من الاحتقار، والنفي عدم، فجعل الاحتقار كالعدم»⁽⁴⁹⁾.

وظهر في هذا العصر أيضاً شرح عبد الدائم بن مرزوق وهو أحد أعلام القيروان الذين ألجأتهم زحفة بني هلال إلى الأندلس، وقد أسمى شرحه لشعر المتنبّي «المكتفي»، ويبدو أنه ألفه بالأندلس لأنه أورد فيه أشعاراً لبعض الأندلسيين حسبما يستفاد من «التكملة» لابن الأبار، والشرح

(48) شرح مشكل شعر المتنبّي (انظر الفهرس) تحقيق د. رضوان الداية.

(49) المصدر نفسه: 33.

مفقود اليوم، وقد نقل عنه ابن الأبار أبياتاً في التكملة ثم قال: «أوردها عبد الدائم بن مرزوق القيرواني في شرحه لشعر المتنبي الذي أسماه بالمكتفي»⁽⁵⁰⁾.

ولعلّ تلميذه ابن السيد البطليوسي استفاد منه في شرحه لديوان أبي الطيب، وهو شرح مفقود كذلك، ولا معنى لتشكك بلاشير في موضوع شرح ابن السيد⁽⁵¹⁾، فقد ذكر في عدد من المراجع، وكان ابن السيد يستظهر شعر المتنبي، ولذلك نجده في شرح سقط الزند واللزوميات يلح إلحاحاً بالغاً على التنظير بين معاني المتنبي ومعاني المعري ويفاضل بينها^(51م)، ولا بدّ أنه نهج فيه منهجه في شرح اللزوميات بالتعرض إلى المعطيات الفلسفية كما فعل ابن سيدة من قبله.

وممّا لا شك فيه أن القرن الخامس الهجري كان القرن الذي شغلت فيه البيئات الأدبية في الغرب الإسلامي بالمتنبي على نحو واسع، ولكن ليس معنى هذا أن الاهتمام به ضعف أو توقف بعد عصر الطوائف في القرن الخامس، ونحن نستغرب كثيراً رأي الأستاذ بلاشير الذي يقول: «كان استيلاء المرابطين القادمين من المغرب الأقصى على الأندلس موقفاً بطبيعة الحال - كذا - الشهرة التي تمتع بها ديوان أبي الطيب، فقد حملوا معهم صّباً ضدّ كل ما هو غير ديني، ولكن ذلك لم يستمر إلا بضع سنين فمئذٍ سقوط هذه الأسرة استرجع الديوان كلّ نفوذه لدى المثقفين الأندلسيين»⁽⁵²⁾ وهذا رأي تشم منه رائحة التعصّب الذي نشره دوزي ومن تبعه من

(50) التكملة: 410 (ملحق).

(51) ديوان المتنبي في العالم العربي: 49 - 50؛ وراجع رائد الدراسة عن المتنبي: 44 - 45. (51م) انظر س: 1: 44، 45، 58، 64، 70، 77، 78، 82، 86، 91، 95، 99، 100، 102، 105، 142، 157، 158، 161، 169، 176، 186، 215، 219، 222، 232، 234، 269، 272، 319، 337، 343، 346، 356 ومواضع أخرى كثيرة من الجزء الثاني. (52) ديوان المتنبي في العالم العربي: 50.

المستشرقين حول هذه الدولة المجاهدة، وهو رأي بعيد عن الصواب، ولعل خير تفنيد له هو ما ورد في الحوليات التاريخية من أن يوسف بن تاشفين اكتفى بالجواب على خطاب الفونسو السادس ببيت واحد من شعر المتنبي وهو:

ولا كتبَ إلا المَشْرِفِيَّةَ والقَنَا
ولا رُسُلُ إلا الخميسُ العرْمَرْمُ⁽⁵³⁾

وإذا كان الأمر في حاجة إلى أدلة وشواهد فإني أذكر - على سبيل المثال لا الحصر - أن قاضي المرابطين ابن العربي كان يحفظ ديوان المتنبي ويكثر من التمثل به⁽⁵⁴⁾، وكان قاضيهم الكبير عياض يروي شعر المتنبي عن شارحه ابن السيد البطلوسي في جملة ما رواه عنه⁽⁵⁵⁾.

وأبوبكر المرادي - وهو من رجال هذه الدولة - يستشهد في كتابه «الإشارة، في تدبير الإمارة» بشعر أبي الطيب ويقول في باب الإنفاق وصفة الجود: «وأحسن ما رأيت في الجود والإمساك من أقوال الحكماء والشعراء قول أبي الطيب المتنبي:

فَلا يَنْحَلِّلُ فِي الْجُودِ مَنْ أَلِكُ كُلُّهُ
فِيَنْحَلُّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
وَدَبَّرَهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَّهُ
إِذَا حَارِبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدُهُ
فَلا مَجْدٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ⁽⁵⁶⁾

(53) انظر أحكام صنعة الكلام: 164.

(54) نفع الطيب.

(55) الغنية (ترجمة ابن السيد).

(56) الإشارة، في تدبير الإمارة: 144 تحقيق د. سامي النشار.

كما أنه ضمّن بعض أبيات المتنبي في بعض شعره، ذكر ابن بسّام أنه «كانت بينه وبين الشيخ أبي محمّد عبد العزيز التونسي مناقضة في مسائل من العلم، فسافر المرادي عن أغمات، وكتب عند رحلته إليه بهذه الأبيات:

قُلْ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ يَكْثُرُ مِنْ بَعْدِ
يَ مَا شَاءَ مِنْهُ قِيلاً وَقَالَا
وَتَشَجَّعَ مَا غَبْتُ عَنْكَ فَإِنَا
قَدْ ضَرَبْنَا لَكَ الْأَمْثَالَ
«وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضِ
طَلَبَ الطَّعْنَ وَحَدَّهُ وَالنَّزَالَ»⁽⁵⁷⁾
وثمة أمثلة أخرى لا أريد أن أتتبعها بالاستقصاء.

أما شعراء المرابطين الذين تأثروا بالمتنبي وعارضوه فمنهم الأعمى التطيلي وابن عبد الغفور وابن خفاجة وابن أبي الخصال وابن المرخي وغيرهم⁽⁵⁸⁾، وفي عصر المرابطين ألف أحد كتابهم وهو أبو القاسم ابن عبد الغفور الكلاعي كتاب الانتصار لأبي الطيب⁽⁵⁹⁾. ووضع ابن عبد الملك الشتريني معجماً لمشكل شعر المتنبي وسرقاته⁽⁶⁰⁾.

وألف ابن بسّام الذخيرة الحافلة بأصداء المتنبي⁽⁶¹⁾، كما ألف ابن خاقان كتابه القلائد وفيها ذكر لأبي الطيب⁽⁶²⁾، ثم إن معظم أهل الأدب

(57) الذخيرة 1/4: 367.

(58) راجع ديوان الأعمى التطيلي وديوان ابن خفاجة والذخيرة لابن بسّام.

(59) وردت نقولٌ منه في كتاب أحكام صنعة الكلام.

(60) نشر منسوباً إلى ابن بسّام، وهو باب من كتاب جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب لابن عبد الملك الشتريني المعروف بابن السراج.

(61) راجع فهرس الذخيرة.

(62) وردت أبيات للمتنبي في قلائد العقيان.

الذين عاشوا في عهد الطوائف أدركوا عصر المرابطين ولا يصح الفصل بين الحقيتين، ولذلك اعتبرهما الدكتور إحسان عباس في كتابه تاريخ الأدب الأندلسي عصرًا واحدًا؛ ومقولة الأستاذ بلاشير عن المتنبي في عصر المرابطين بالأندلس هي جزء من مقولة كبرى ردّدها بعض الدارسين، وهي كسوف الشعر وكساد الأدب في عهد المرابطين، وهي مقولة تبطلها النصوص الأدبية والشواهد التاريخية.

أما في عصر الموحدين فقد ظهرت بالأندلس شروحٌ متعددة:

منها شرح أبي الحسن علي بن عصفور الإشبيلي «حامل لواء العربية بالأندلس» كما يقول ابن شاعر في فوات الوفيات وقد عدّ من شروحه «شرح المتنبي»، ويبدو أنه مفقود ولعلّه يندرج ضمن الشروح التعليمية التي تعنى بالجوانب النحوية والصرفية واللغوية إذ إن ابن عصفور «لم يكن عنده ما يؤخذ عنه سوى العربية»⁽⁶³⁾.

ومنها شرح أبي عبدالله محمد بن أحمد الأستجي، وقد أسماه: «ظهور الإعجاز، بين الصدور والأعجاز» وهو شرح مفقود مع الأسف، وكان الأستجي قد درس شعر أبي الطيب في حلقة الشلوبيين، وقرأه أيضاً «قراءة فهم لمعانيه، وإعراب لألفاظه، وتحقيقٍ للغة، وتنقيح عن بديعه» على كبير مؤدّبي قرطبة في وقته أبي جعفر أحمد بن يحيى الحميري⁽⁶⁴⁾.

ويبدو أنه التزم في شرحه بطريقة أستاذه الحميري وحقق فيه الأغراض الأربعة المذكورة وهي تفهيم المعاني، وإعراب الألفاظ، وتحقيق المعاني وإبراز البديع.

ويدل عنوان هذا الشرح على إعجاب صاحبه بالمتنبي ويخيل إليّ أنه اشتق عنوانه المسجوع من عنوان شرح المعري: معجز أحمد.

(63) فوات الوفيات 2: 185 وانظر نموذجاً لما ذكرناه في المقرّب.

(64) الإحاطة 2: 325.

ويبدو هذا الإعجاب في نثره، فهو يتمثل بأبياته ويتوكأ على أشطاره، قال في إجازته: «ولولا ثقتي بغمام فضلك الصيِّب، لتمثلت لنفسي بقول أبي الطَّيِّب:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمقٍ
أراه غباري ثم قال له الحقّ
فإن رضيت أيها العلم، فما لجرحٍ إذا أرضاكم ألم»⁽⁶⁵⁾.

ويظهر أن الأستجي عنى في شرحه بالأغراض البديعية في شعر المتنبي، ومن المعروف أن معظم المباحث البلاغية عند الأندلسيين كانت تتجه إلى هذه الأغراض⁽⁶⁶⁾.

ولعلَّ أطرفَ الشروح الأندلسية التي وقفنا على خبرها هو شرح أبي الحسن فضل ابن فضيلة المعافري الأوربلي الذي فسّر شعر المتنبي تفسيراً صوفياً، وقد سمي هذا التفسير «شرح الأبيات الكندية، على الطريقة الصوفية»⁽⁶⁷⁾. والعنوان في تركيبه شبيه بعنوان «المآخذ الكندية، من المعاني الطائفة» لابن الدهان، ولكن منحى هذا الأخير شيء آخر.

وشرح ابن فضيلة مفقود على ما يبدو، ولذلك فإننا لا نعرف الأبيات التي اختارها من شعر المتنبي ولا طريقته في تفسيرها ولا بدّ أنه وجّه معانيها توجيهاً صوفياً وشرحها شرحاً إشارياً، ومثل هذا العمل ليس بمستغرب، فقد جرت عادة أهل التصوّف أن يؤوّلوا بعض الغزليات والخمريات ويصرفوها إلى الحب الإلهي والخمرة الصوفية، وقد وجدناهم يستشهدون بشعر المتنبي في مقامات ومناسبات صوفية كما في «التشوف»

(65) المصدر نفسه.

(66) مقدمة ابن خلدون: 1385 تحقيق د. وافي.

(67) الذيل والتكملة 5: 541 حاشية رقم 1.

للتادلي⁽⁶⁸⁾ و«روضة التعريف» لابن الخطيب⁽⁶⁹⁾.

كان ابن فضيلة يجمع بين التصوف والأدب، وكان «أوحد عصره» في الطريقة الصوفية وقد ألف شرحه هذا في غرناطة بني نصر التي أوى إليها مع أهل شرق الأندلس الذين طردوا من ديارهم، وكان منهم آل سيد بونه أصحاب هذه الطريقة الصوفية التي ولدت في ظل تلك الأوضاع المؤلمة الداعية إلى الزهد والاعتبار، وكان لهذه الطريقة تأثيرها الكبير في المجتمع الغرناطي⁽⁷⁰⁾، وكأني بهذا الأديب المتصوف أراد أن «يوظف» شعر المتنبي - بما له من سلطان - في خدمة طريقته الصوفية ويحوّل معانيه الدنيوية إلى معانٍ دينية.

يقول الأستاذ بلاشير في كتابه عن المتنبي ما ترجمته: «لم تر الأزمان التي تلت سقوط الموحدين أي كتاب جديد عن ديوان أبي الطيب لا في المغرب ولا في الأندلس»⁽⁷¹⁾.

فأمّا في الأندلس فقد رأينا هذا الشرح الصوفي الذي كتب في عهد بني الأحمر، وقد يكون ثمة غيره ممّا لم يبلغنا خبره.
وأما بالنسبة للمغرب فستحدث عنه بعد قليل.

ولم تكن عناية البيئات الأدبية في صقلية وإفريقية والمغرب بتدارس ديوان المتنبي أقلّ حظاً ممّا رأينا في الأندلس.

(68) التشوف: 353, 346 تحقيق أحمد التوفيق.

(69) روضة التعريف (الفهرس) تحقيق محمد الكتّاني؛ وقد ذكر ابن شاعر أن ابن تيمية كان ينكر على المتنبي في مبالغته ويقول: في شعره شيء لا يصح أن يكون إلا لجناب الله تعالى؛ قال: وربما قلت في سجودي من شعره:

يا من ألوذ به فيما أوّمله ومن ألوذ به ممّا أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهضون عظماً أنت جابره
راجعهما في الديوان 2: 122 ط. البرقوقي.

(70) راجع الإحاطة ورحلة ابن بطوطة وأطروحة الدكتور محمد مفتاح.

(71) ديوان المتنبي في العالم العربي: 52.

ومما بلغنا عينه أو أثره من ذلك شرح أبي القاسم علي ابن القطاع الصقلّي، وقد بقيت منه قطعة حققها الدكتور محسن غياض ونشرها بعنوان: شرح المشكل من شعر المتنبي⁽⁷²⁾. ومن الشروح الصقلية شرح أبي علي الحسين بن عبدالله الصقلّي، وتوجد منه نسخة نفيسة بمكتبة ولي الدين بالأسنانة، ويقوم بتحقيقها أحد الباحثين⁽⁷³⁾.

أما الشروح الإفريقية (التونسية) فمنها كتاب ما أخذ علي المتنبي، وكتاب أبيات المعاني في شعر المتنبي للقزاز، وقد استفاد من عنوان الكتاب الأول أنه كان من خصوم الشاعر أو المتأثرين علي الأقل بابن وكيع، وقد أشار القزاز في كتابه: ما يجوز للشاعر في الضرورة إلى بعض المآخذ علي المتنبي⁽⁷⁴⁾.

وهناك تونسي آخر من أهل القرن الثامن الهجري «كتب علي ديوان المتنبي كتابة جيدة» حسب عبارة ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة، وهو أبو عبدالله محمد ابن القويح، وقد عرف شرحه في مصر حيث استقر وتوفي سنة 738 هـ⁽⁷⁵⁾.

وأما في المغرب الأقصى الذي عانى قديماً من إهمال المؤرخين فأقدم من نعرف أنه اشتغل بخدمة ديوان المتنبي هو النحوي الكبير أو موسى الجزولي مؤلف الكراسة المشهورة.

ولعل ولعه بالإيجاز هو الذي حمله علي اختصار الفسر لابن جني، وقد وصل هذا الاختصار إلى المشرق واطلع عليه ابن خلكان، قال في الوفيات: «ورأيت له مختصر الفسر لابن جني في شرح ديوان المتنبي»⁽⁷⁶⁾.

(72) مجلة المورد - العدد الخاص بالمتنبي -

(73) انظر في هذا الشرح: رائد الدراسة عن المتنبي: 64.

(74) انظر المآخذ في الكتاب المذكور من ص 28 إلى ص 35 تحقيق المنجي الكمي.

(75) نيل الابتهاج: 232 - 233 وبغية الوعاة 1: 228.

(76) وفيات الأعيان (ترجمة الجزولي) والرائد: 59.

ونقدّر أن الحياة الأدبية في المغرب عرفت مظاهر أخرى من الانشغال بديوان المتنبي في أيام الموحدين والمرينيين بدليل تأثيره الملموس في شعراء تلك الأيام غير أننا لم نقف في المظان على شيء من ذلك، وعلينا أن ننتظر زمن السعديين لنشهد حركة أدبية حول ديوان الشاعر الكبير، وستحدث عنها فيما بعد.

ج - لعل أكبر معركة نقدية في تاريخ الأدب العربي القديم هي التي قامت حول المتنبي بين أنصاره وخصومه، ويكفي أن أشير إلى أسماء الحاتمي وأبي العباس النامي والصاحب ابن عباد وابن جني وأبي العباس الأزدي وأبي القاسم الأصبهاني والوحيد البغدادي وابن وكيع التنيسي والقاضي الجرجاني والثعالبي والعميدي والمعري وابن فورجه وغيرهم من أهل النقد في المشرق⁽⁷⁷⁾.

وقد انتقلت هذه المعركة النقدية حول المتنبي إلى بلدان المغرب والأندلس، فكان القزاز من منتقدي المتنبي فيما يبدو، وكان بقية أدباء مدرسة القيروان ونقادها كعبد الكريم النهشلي وإبراهيم الحصري وابن رشيق وابن شرف وأبي الطاهر التجيبي من أنصار أبي الطيب على العموم، فالنهشلي وجه تلقيه بالمتنبي توجيهاً يدل على إعجابه به، واختار له في كتابه الممتع جيد شعره⁽⁷⁸⁾، ومثله في هذا الحصري⁽⁷⁹⁾، وابن رشيق - في العمدة والقراصة - يذكر المتنبي كثيراً مستحسناً لشعره ومدافعاً عنه في غالب الأحيان، وقد قال فيه كلمته المشهورة: «ثم جاء المتنبي فملاً الدنيا وشغل الناس» وقال في منصف ابن وكيع: «وسمى كتابه المنصف مثلما سمي اللديغ سليماً، وما أبعد الإنصاف منه»^(79م).

(77) انظر على سبيل المثال: تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس من ص 252 إلى 335.

(78) انظر الممتع تحقيق د. المنجي الكعبي.

(79) راجع زهر الآداب.

(79م) راجع العمدة.

وكذلك دافع أبو الطاهر التجيبي عن المتنبي في كتابه «الرائق» ووسم ابن وكيع بالتكلف، ووصفه بالتعسف في تحامله على المتنبي⁽⁸⁰⁾.

وخصّص ابن شرف حيزاً مهماً للمتنبي في رسالة الانتقاد ومما قاله فيه: «وأما المتنبي فقد شُغلت به الألسن، وسهرت في أشعاره الأعين، وكثر الناسخ لشعره، والآخذ لذكره، والغائص في بحره، والمفتش في قعره، عن جمانه ودرّه، وقد طال فيه الخلف، وكثر عنه الكشف، وله شيعة تغلو في مدحه، وعليه خوارج تتعايا في جرحه، والذي أقول إنّ له حسنات وسيئات، وحسناته أكثر عدداً، وأقوى مدداً، وغرائبه طائفة، وأمثاله سائرة وعلمه فسيح، وميزه صحيح، يروم فيقدر، ويدري ما يورد ويصدر»⁽⁸¹⁾ وقد انتقد في كتابه أبكار الأفكار ابن وكيع وقال في حق كتابه «المنصف» إنه «أجور من سدوم»⁽⁸²⁾.

وأما الأندلس فقد وصل إليها التراث الذي أسفرت عنه المعركة النقدية حول المتنبي في المشرق، سواء فيه ما ألفه خصومه أو ما كتبه أنصاره، فمن ذلك «المنصف» لابن وكيع، وقد وقف ابن عبد الملك المراكشي على نسختين أندلسيتين منه بخط وراق من ذرية عبد الرحمن الأوسط كان حياً سنة 425 هـ⁽⁸³⁾، واقتبس منه الشريشي في شرح المقامات الفصل المتعلق بأحكام السرقات⁽⁸⁴⁾، ووصفه ابن دحية وغيره بالجور وعدم الإنصاف⁽⁸⁵⁾، ومن ذلك أيضاً مؤلفات الحاتمي خصم المتنبي اللدود، وقد أشار إلى بعضها ابن حزم في الجمهرة⁽⁸⁶⁾ وغيرها، وثمة نقول غير منسوبة

(80) راجع المختار، من شعر بشار، وهو الرائق.

(81) راجع الذخيرة.

(82) نصره الثائر، للصفدي تحقيق د. سلطاني.

(83) الذيل والتكملة 6: 96.

(84) شرح المقامات 2: 205 - 212 نشر د. خفاجي.

(85) المطرب: 69. تحقيق الأبياري.

(86) راجع الجمهرة والرسائل.

في ذخيرة ابن بسام تدل على استفادته من شرح الوحيد البغدادي وردوده على ابن جنبي، والوساطة للجرجاني⁽⁸⁷⁾، وأشار الأعلم وابن سيدة إلى شرح ابن جنبي وشرح الوحيد أيضاً⁽⁸⁸⁾، وكانت «الموازنة» للآمدي متداولة في الأندلس كذلك⁽⁸⁹⁾؛ وكان من أثر هذا كله أن ظهر في الأندلس منتصرون لأبي الطيب ومنتقدون عليه.

وقد كان ملوك الطوائف الأدباء من المعجبين بشعر المتنبي، فالمعتمد كان ينشد بانتشاء قوله:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وأثنى وبياض الصبح يغري بي⁽⁹⁰⁾
وقد ردّد في أحد مجالسه باستحسان بالغ قول المتنبي:

إذا ظفرت منك العيون بنظرة
أثاب بها معيي المطي ورازمة
فقال ابن وهبون ارتجالاً:

لئن جادَ شعراً ابن الحسين فإتما
تجيدُ العطايا واللها تفتح اللها
تنبأ عجباً بالقريض ولو دَرَى
بأنك تروي شعره لتألها⁽⁹¹⁾

والمظفر ابن الأفتس مؤلف الموسوعة الأدبية المعروفة بالمظفرية كان

(87) الذخيرة: 480/2.

(88) شرح شعر الصبا للأعلمي (مخطوط القرويين) وشرح مشكل شعر المتنبي (الفهرس).

(89) يدل على ذلك النسخة القديمة المحفوظة في القرويين والنقول الموجودة في الذخيرة.

(90) نفع الطيب 4: 261.

(91) وفيات الأعيان 1: 124 والمطرب: 118 ونفع الطيب 3: 194، 235 ط. صادر.

«ينكر الشعر على قائله في زمانه ويقبل رأي من ارتسم في ديوانه، ويقول: من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو المعري فليسكت»⁽⁹²⁾.

وهكذا كان شأن المأمون ابن ذي النون في التشيع للمتنبي، فقد ذكر ابن بسام في الذخيرة أن ابن شرف «قال يوماً للمأمون بن ذي النون أيام خدمته إياه، واستشفاه صبابة عمره في ذراه، وقد أجروا ذكر أبي الطيب، فذهبوا في تأبينه كل مذهب: إن رأي المأمون - لا فارق العزة والعلا - أن يشير إلى أي قصيدة شاء من شعر أبي الطيب حتى أعارضه بقصيدة تنسي اسمه، وتعفي رسمه، فتناقل ابن ذي النون عن جوابه، علماً بضيق جنابه، وإشفاقاً من فضيحته وانتشابه، وألح أبو عبدالله حتى أخرج ابن ذي النون وأغراه، فقال له: دونك قوله: لعينيك ما يلقي

فخلا بها ابن شرف أياماً فوجد مركبها وعراً، وميريتها شزراً ولكنه أبلى عذراً، وأرهق نفسه من أمرها عسراً، فما قام ولا قعد، ولا حل ولا عقد. وسئل ابن ذي النون بعد: أي شيء اقصدته إلى تلك القصيدة؟ فقال: لأن أبا الطيب يقول فيها:

بلغتُ بسيفِ الدّولةِ النورَ رتبةً
أثرتُ بها ما بينَ غربٍ ومشرقٍ
إذا شاءَ أن يلهو بلحيةٍ أحمتي
أراهُ عُباري ثم قال له الحق»⁽⁹³⁾

وهي حكاية تنسب أيضاً للخالدين مع سيف الدولة⁽⁹⁴⁾.

وقد تطور هذا الإعجاب إلى مواقف نقدية تمثلت في بعض الأعمال الأدبية، ومنها كتاب «الانتصار لأبي الطيب» من تأليف أبي القاسم ابن عبد

(92) الذخيرة ق 2: 641.

(93) الذخيرة 1/4: 23 - 24.

(94) راجع الصبح المنبي.

الغفور الكلاعي، ورسالة «روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحييب» والكتاب الأول مفقود وعنوانه يدل على موضوعه واتجاهه، وقد نقل عنه مؤلفه في كتابه إحكام صنعة الكلام⁽⁹⁵⁾، وأشار إليه ابن الأبار وابن عبد الملك في الذيل والتكملة⁽⁹⁶⁾؛ وأما روضة الأديب فقد أشرنا إليها في الفصل الأول من هذه الدراسة، وستحدث عنها بشيء من التوسع في الفصل القادم.

أما ابن بسام فقد ترجّح بين الإعجاب والانتقاد وساق أخباراً تشير إلى إعجاب الأدباء بشعره وعجز بعض الشعراء عن معارضته كخبر ابن شرف وخبر ابن رشيق، وعلق على من أراد أن يتبع طريقة أبي الطيب في استعمال التصغير بقوله: «ولكن هيهات ما كل من أجرى سبق، ولا كل من ارتجل نطق». كما نقل شيئاً من قدح أهل النقد فيه، وعاب عليه استعمال ألفاظ الفلاسفة وقال مشيراً إلى ذلك: «ولاني لأعجب من أبي الطيب على سعة نفسه، وذكاء قلبه، فإنه أطال قرع هذا الباب، والتمرس بهذه الأسباب»⁽⁹⁷⁾.

وثمة كتاب نشر في تونس عنوانه: سرقات المتنبي وشكل معانيه، ونسب إلى ابن بسام النحوي، وظنّ محققه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ظناً قوياً أنه لابن بسام صاحب كتاب الذخيرة، والحقيقة أنه ليس من تأليف الشنتريني صاحب الذخيرة وإنما هو لشنتريني آخر هو محمد بن عبد الملك السراج⁽⁹⁸⁾، وهو ليس كتاباً مستقلاً ولكنه جزء من كتاب عنوانه:

(95) راجع أحكام صنعة الكلام.

(96) التكملة 2: 462 والذيل والتكملة 6: 394.

(97) الذخيرة 2: 480.

(98) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 6: 410.

«جواهر الآداب، وذخائر الشعراء والكتّاب» ويبدو أنه الكتابُ الذي اختصر فيه ابن عبد الملك الشنتريني كتاب العمدة لابن رشيق ونَبّه على أوهامه فيها مع زيادات مفيدة منها هذا الجزء في سرقات أبي الطيب، وهو يؤلّف الجزء الرابع من هذا الكتاب الذي يُوجد مخطوطاً بمكتبة الأسكوريال رقم 352.

والحقُّ أن الشيخ ابن عاشور إنّما أخذ بما هو مسطر ومكرّر في النسخة المشرقية من نسبة الكتاب إلى ابن بسام وأنه صاحب الذخيرة⁽⁹⁹⁾.

ولا نعرف منشأ الخطأ في نسبة هذا العمل إلى غير صاحبه، ونقدر أن يكون الناسخ نقل هذا الجزء من أصل الكتاب ولم يثبت اسم المؤلف إلّا بعد أن غاب عنه الأصل وبقي في حفظه وذاكرته شيء منه كالنحوي الشنتريني مثلاً، فنسبه إلى ابن بسام لأنه أشهر شنتريني، وورود صفة النحوي قد تعزز هذا الافتراض، لأن الذي اشتهر بالنحو وتعليمه هو ابن عبد الملك السراج الشنتريني فقد «كان نحوياً حاذقاً» وهو شيخ ابن برّي النحوي المصري المشهور وألّف في النحو وأقرأه بالأندلس ومصر واليمن⁽¹⁰⁰⁾؛ ويضاف إلى هذا أن الرجلين البلديين كانا متعاصرين، وجمعتهما سكنى إشبيلية بعد خروجهما من شتتين إلّا أن صاحب الذخيرة ظل بالأندلس بينما كتب لابن عبد الملك أن يرحل إلى المشرق ويعرف فيه وتنتسخ مؤلفاته به.

أما أفراد جزء السرقات بالانتساخ دون بقية الكتاب في النسخة المشرقية فلعلّه جاء من ولع الناسخ بجمع الأشباه والنظائر في مجموع واحد، والمجموع المشرقي الذي توجد فيه يشتمل على «رسالة للحاتمي في مناظرة بينه وبين المتنبي، ورسالة له في أخذ المتنبي معاني عدة أبيات

(99) انظر مقدمته: س.

(100) للذيل والتكملة.

من كلام الحكيم أرسطاطاليس⁽¹⁰¹⁾.

وقد أشار الدكتور إحسان عباس إلى ما ذهب إليه الشيخ ابن عاشور من اعتبار ابن بسام صاحب الذخيرة مؤلفاً للكتاب الذي نشره وقال: «ليس في الكتاب أية قرينة تدلُّ على أنه من تأليفه»⁽¹⁰²⁾ والواقع أنه حتى قبل الوقوف على «جواهر الآداب» فإن بعض القرائن تدلُّ على أنه ليس من تأليف ابن بسام، وأهمها في نظري اختلاف الكتابين في شواهد السرقات وأصولها، فقد ذكر ابن بسام في الذخيرة من أبيات المتنبي المسروقة قوله:

للسبي ما نكحوا والقتل ما وكدوا
والنهب ما جمعوا والنار ما زرَعوا

وقوله:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونُه
وصدق ما يعتاده من توهم.

وقوله:

تبخلُّ أيدينا بأرواحنا
على زمنٍ هُنَّ من كسبه
فهذه الأرواح من جوّه
وهذه الأجسام من تربّه
يموت راعي الضأن من جهله
ميتة جالينوس في طبه

(101) المصدر نفسه: س.

(102) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: 506 - 507 (حاشية رقم 4).

وهذه الشواهد كلها موجودة في الذخيرة⁽¹⁰³⁾ ولا وجود لها في كتاب السرقات مع أن صاحبه قصد به أن يكون معجماً شاملاً لأبيات السرقات في شعر المتنبي .

ومن القرائن أيضاً ترتيب أبيات السرقات على حروف المعجم حسب الاصطلاح المشرقي، وهذا شيء غير معهود في الأندلس والمغرب، مما يشي بأن الكتاب ليس لابن بسّام وأنه ألف في المشرق، ومن الملاحظ أن نسخة الأسكوريال - وهي بخط مغربي - تتبع الترتيب المشرقي كذلك، وقد وقف الشيخ ابن عاشور عند أمر هذا الترتيب، وقال: «وهذا محلّ نظر، ويحتمل أنه تابع فيه ترتيب أبي الفتح ابن جنّي^(103م) .

إن صنيع السراج الشنتريني هو كما قلت بمثابة معجم مرتب على الحروف قصد به حصر أبيات المعاني أو الأبيات المشكّلة، مع أبيات السرقات، وقد جمع فيه السراج جهود سابقيه في هذا المجال منذ ابن جنّي إلى وقته، وزاد عليها حتى بلغ عدد الأبيات المذكورة نحو خمسمائة وأربعين بيتاً.

وقد أشار في المقدمة إلى هذا الجزء من كتابه فقال «والجزء الرابع في سرقات أبي الطيب ومشكل معانيه، وإنما ألحقت هذا الجزء بالكتاب لما في معرفته من العون على التصرف والتنبّه لمشكلات المعاني، واقتصرت على شعر أبي الطيب لكثرة ذلك فيه ولأنه أشهر، واستعمال الناس له أكثر» وذكر هذه السرقات «على ترتيب القوافي ليسهل بذلك طلب ما احتيج إليه منه» كما يقول في أول الباب، وباختصار فإنّ عمل الشنتريني ضرب من ضروب التبويب والترتيب، والتتميم والتكميل لهذه المادة التي كانت متفرقة في المصادر المشرقية؛ وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن هذا العمل قد أفاد منه بعض الشراح الذين يعنون بتتبع المآخذ والسرقات، ومنهم العكبري الذي يتابعه في عدد من المواطنين ولكنه لا يسمي الكتاب ولا صاحبه .

(103)الذخيرة ق 2 : 409 ، 421 ، 481 .

(103م) مقدمة سرقات المتنبي : ي .

إن إسهام الأندلسيين والمغاربية في الحركة النقدية حول المتنبي يتسم دائماً بمراعاة الحساسية الدينية التي كانت شديدة في البيئات المغربية على العموم، وإذا كان الأندلسيون والمغاربية قد أعجبوا بشاعرية أبي الطيب فإنهم لم يتساهلوا معه فيما يمس الحساسية الدينية، ومن هذا القبيل أن الفقيه الأديب الحافظ ابن عبد البر استشهد بشعر المتنبي في كتابه: «بهجة المجالس» ولكنه كان ينظر إليه بمنظار الدين ويزنه بميزان الشرع، فقد أورد قوله:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعة لا يظلم

وقوله:

ومن عرف الأيام معرفتي بها
وبالناس روى رُمحه غير راجم

وعلق عليهما بقوله: «وهذه الأخلاق أخلاق الفساق ومن لم يتأدب بأدب القرآن ولا استن بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرفاة»⁽¹⁰⁴⁾.

ونجد مثل هذا عند ابن سيدة، فعندما أورد قول المتنبي:

طلبنا رضاه بترك الذي
رضينا له فتركنا السجوداً

علق عليه بقوله: «قبلاً لكلامه، ونهراً في هذا الموضع وأشباهه لنظامه».

ومثل هذا أيضاً عند ابن عبد المنعم الحميري مؤلف الروض المعطار

⁽¹⁰⁴⁾ بهجة المجالس لابن عبد البر.

الذي يقول في معرض حديثه عن تهامة: «وأما قول المتنبي لممدوحه من قصيدة:

وأشهرُ آياتِ التُّهامي أَنَّهُ
أبوكَ وأجدى ما لَكُمْ مِنْ مناقِبِ

فغنى بالتهامي النبي ﷺ، وهذه العبارة تقتضي جهله أو قلة أدبه، فض الله فاه» (105) ونعوت ابن عبد البر الفقيه المحدث ودعاء ابن عبد المنعم الجغرافي تعكس تلك الحساسية الدينية عند المغاربة الذين لم يكونوا يتساهلون فيما يتصل بالدين أو الأخلاق وقد انتقد الأديب الشاعر الناقد ابن رشيق غلو المتنبي وقال في التعليق على بيت المتنبي:

كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خَبْرَتِي بِهَا
كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَانِدْرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي

«فشبه نفسه بالخالق، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً» (105).

ومن أجل هذا كان الأعلام الشتمري يكف عن تدريس شعر المتنبي إذا دخل شهر رمضان وينهى طلبته عن قراءته خلال الشهر المعظم بينما كان يستمر في إقراء شعر أبي تمام وغيره (106).

وقد لاحظ صديقنا الكبير الدكتور إحسان عباس تفاوتاً في الذوق الأندلسي تجاه المتنبي في القرن السابع الهجري وقال: «فبينا يتأخر المتنبي عن شعراء القرون الثلاثة الأخيرة في قدرته على الإبداع التصويري لدى ابن سعيد وربما لدى المدرسة الإشبيلية كلها نجده أكبر شاعر في نظر حازم ابن المنطقة الشرقية» (107).

(105) الروض المعطار: 142 تحقيق د. إحسان عباس.

(105م) العمدة 2: 63.

(106) انظر روضة الأديب في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(107) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: 537.

ويبدو لي أن هذه الملحوظة قابلة للمراجعة فإن رسالة «روضة الأديب» لابن لبّال الشريشي التي عثرنا عليها تبيّن مدى إعجاب المدرسة الإشبيلية بالمتنبي وتفضيلها إياه على غيره.

د - إن إعجاب الأندلسيين والمغاربة بالمتنبي وخذو معظم شعرائهم خذوه في القصائد كان يثير أحياناً ردود فعل لدى بعض الشعراء؛ وقد رأينا ما قاله ابن وهبون للمعتمد، وما حاوله ابن شرف في مجلس ابن ذي النون، وما قاله أحمد بن طلحة الشقري، ومن هؤلاء الشعراء أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي الذي يقول في مدح إحدى قصائده:

لَوْ جَادَ فِكْرَ ابْنِ الْحُسَيْنِ بِمِثْلِهَا
صَحَّتْ نُبُوتُهُ لَدَى الشُّعْرَاءِ (108)

ويقول الشاعر الجراوي متحدّثاً عن نفسه:

لَوْ كَانَ يَوْمًا فِي بَنِي حَمْدَانَ لَمْ
تَبْهَجْ بِأَحْمَدِهَا بَنُو حَمْدَانَ (109)

ونجد مثل هذا عند الشقندي الذي أورد أبياتاً من رائية ابن درّاج المشهورة وقال: «وأنا أقسم بما حازته هذه الأبيات، من غرائب الآيات، لو سمع هذا المدح سيد بني حمدان لسلأ به عن مدح شاعره الذي ساد كل شاعر، ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفتن فيه كل ناظمٍ وناثرٍ» (110).

ونلاحظ هذا المنزع في قول الكاتب الشاعر ابن المرخي الذي جاوب ابن بسام بقصيدة على وزن قصيدة المتنبي:

(108) زاد المسافر.

(109) المصدر نفسه.

(110) نفع الطيب (رسالة الشقندي).

قرأت الكتاب أعز الكتب

وقال في آخرها:

قوافٍ تعطلُّ في وزنها:

«قرأت الكتاب أعز الكتب»

وإن تكُّ أحمد هذا الزمان

فأين عليُّ لنا أو حلب⁽¹¹¹⁾

وفي قول ابن القزاز:

فخر الزمان بنا لأنك حاتم

في جوده ولأنني المتنبّي⁽¹¹²⁾

وفي قول أبي عامر ابن مسلمة:

يا حاتم الكرماء

وأحمد الشعراء⁽¹¹³⁾

وفي قول أبي بكر ابن عبادة مخاطباً ابن بسام:

أو تدمّ الزمان وهو بعيد

فأبو الطيب البعيد المرامي⁽¹¹⁴⁾

وقد بالغ بعضهم فذهبوا إلى أنهم أشعر من أبي الطيب وأبي تمام مثل ابن طلحة الشقري، وقد مرّ قوله. ومثل ابن خفاجة الذي يصف شعر أحد أصدقائه بقوله:

برعت فرعت فمن ذا حبيب

له الويل أم من أبو الطيب

(113) المصدر نفسه.

(114) المصدر نفسه.

(111) الذخيرة 2: 541.

(112) المصدر نفسه.

ولو جارِيَاكَ إِلَى غَايَةٍ
لَفُزْتُ وَكَانَا مِنَ الْخُبِّبِ⁽¹¹⁵⁾

هـ- من التقاليد الأدبية عند شعراء الأندلس والمغرب محاكاة النماذج الشعرية السائدة ومعارضة القصائد المشهورة، وغالباً ما تكون معارضاتهم «نتيجة الإعجاب بالأثار السابقة»⁽¹¹⁶⁾ ولكنهم قد يطمحون أحياناً إلى طلب المضاهاة أو نشدان التفوق، ومن هنا ذهب بعض النقاد إلى أن رائية ابن دراج التي مطلعها:

أجود من رائية أبي نواس⁽¹¹⁷⁾:

وأن نونية ابن زيدون المشهورة:

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لُقيانا تجافينا
أحسن من نونية البحري⁽¹¹⁸⁾ التي يقول في أولها:

يكادُ عاذِلُنَا فِي الْحَبِّ يُغْرِينَا
فَمَا لَجَاجُكَ فِي لَوْمِ الْمُحِبِّينَا

لقد رأينا في الفصل السابق شيئاً من معارضات الأندلسيين والمغاربة لأبي تمام، ونعرض الآن لبعض معارضاتهم في شعر المتنبي، وهي أكثر من غيرها لأن المتنبي كان عندهم المثل الأعلى والنموذج المحتذى أو «الطائر المحكي» كما يقول في شعر له وسوف نقتصر على الإشارة إلى

(115) ديوان ابن خفاجة.

(116) الموازنة بين الشعراء.

(117) رسالة الشقندي ومفاضلة ابن فضل الله العمري بين القصيدتين والموازنة بين الشعراء.

(118) شرح الرسالة الهزلية لابن نباتة.

المعارضات التي توجهت إليها النية وتوفرت فيها شروط الموافقة في البحر والقافية والموضوع.

ولعلّ أقدم من عارض المتنبي هو متنبىء المغرب ابن هانىء، وقد عرفنا مما سبق وقوفه على ديوان زميله، وتبدو معارضته له في بعض قصائده، ومنها قصيدته:

أَلَا كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ الْمَدَى
وَكُلُّ حَيَاةٍ إِلَى مُنْتَهَى (119)

فهي تنحو في شكلها منحى مقصورة المتنبي:

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الْخَيْزَلَى
فِدَا كُلِّ مَاشِيَةِ الْهَيْدَبَى

وقد توارد معه في عدد من قوافيها، وهذا أمر لا بدّ أن يقع في المعارضات، وإذا كان ابن هانىء لم يفصح عن ذهابه إلى المعارضة فإن قصيدة الأعمى التطيلي التي أولها:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو الَّذِي نَحْنُ فِيهِ
أَسَى لَا يُنْهِنُهُ مِنْهُ الْأَسَى

تشي بالمعارضة المقصودة، وذلك أنه ضمنها أشهر بيت في قصيدة المتنبي وهو:

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنْ الْمُضْحَكَاتِ
وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكََا (120)

ولكنه استبدل مصر بحمص ويقصد بها إشبيلية.

(119) ديوان ابن هانىء.

(120) ديوان الأعمى التطيلي.

وفي ديوان ابن هانيء قصائد على وزان:

«لياليَ بعدَ الظَّاعِنِينَ سُكُوءٌ» و«أعلى الممالك ما يئني على الأسَلِ»
و«إذا كانَ مدحُ فالنسيبُ المقدمُ»⁽¹²¹⁾.

ويأتي بعده ابن دراج القسطلي الذي «كان بصقع الأندلس كالمتنبي
بصقع الشام» فقد عارض قصيدة المتنبي التي أولها:

بادِ هواكَ صَبَرْتُ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا
وَبُكَاءِكَ إِنْ لَمْ يَجِرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى

بقصيدةٍ مطلعها:

بشراك من طولِ الترحلِ والسرى
صبحُ بروحِ السَّفَرِ لآخِ فَأَسْفَرَا

وقد احتذى في بعض أبياتها حذو أبي الطيب وذهب مذهبه كما يقول
ابن بسام⁽¹²²⁾، والمعارضة واضحة في القسم الذي يقول فيه:

وليعلمِ الأملأُ أني بعدهمُ
ألفيتُ كلَّ الصيدِ في جَوْفِ الفِرا

ففي هذا القسم ذكر لأيام العرب وأعلامها ومفاخرها، ولكأن ابن
دراج يردُّ على المتنبي في قوله:

مَنْ مَبْلُغُ الأعرابِ أني بعدها
جاوَزْتُ رَسْطاليسَ والاسكندرا
ومللتُ نحرَ عشارِها فأضافني
من ينحُرُ البدرَ النُّصارَ لَمَنْ قَرَى

(121) انظر ديوان ابن هانيء.

(122) الذخيرة.

وأشهر من رائية ابن درّاج رائية ابن عمّار:

أدر الزّجاجة فالنّسيمُ قد انبرى⁽¹²³⁾

وقد ذاعت معارضة ابن عمّار هذه وأصبحت هي نفسها نموذجاً للمعارضة.

وعارض ابن سهل رائية المتنبي أيضاً بقصيدتين إحداهما في مدح سعيد بن حكم صاحب منرقة والأخرى في مدح ابن خلاص والي سبتة⁽¹²⁴⁾.

وكان ابن زيدون ريان من شعر المتنبي يستشهد به في نثره⁽¹²⁵⁾، ويقتبس منه في شعره، وقد عارض قصيدته التي مطلعها:

بم التعلُّ لا أهلٌ ولا وطنٌ
ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ

وذلك في قصيدته التي أولها:

هلْ تذكرونَ غريباً عادَهُ شَجَنُ
مِنْ ذِكْرِكُمْ وَجَفا أَجْفانُهُ الْوَسَنُ

وضمّن في آخرها مطلع المتنبي على طريقة الوشاحين فقال:

إِنْ كَانَ عَادَكُمْ عَيْدٌ فَرَبَّ فَتَى
بِالشُّوقِ قَدْ عادَهُ مِنْ ذِكْرِكُمْ حَزَنُ
وأفردتُه الليالي من أحبّته
فبات يُشدها ممّا جنى الزّمنُ

(123) نفع الطيب.

(124) ديوان ابن سهل.

(125) راجع رساليه الجدية والهزلية.

«بِمِ التَّعَلُّ لَأ أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ
وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ»⁽¹²⁶⁾

أما معاصره ابن عبدون فلعلّه أقرب شعراء طبقته إلى أسلوب المتنبي في الجزالة وإرسال المثل والحكمة، وقد أورد ابن بسام في الذخيرة نماذج من نظره إلى معاني المتنبي وأخذه منه، كما أنه عمد إلى معارضة بعض قصائده فمن ذلك معارضته لقصيدة:

من الجآذر في زي الأعراب
حُمُر الحلى والمطايا والجلابيب

وذلك بقصيدته التي مطلعها:

ساروا ومسك الدياجي غير منهب
وطرة الشرق غفل دون تهذيب⁽¹²⁷⁾

وفيها يقول:

هيهات لا أبتغي منكم هوى بهوى
حسبي أكون مجباً غير محبوب
فما أراح لذكرى غير عالية
ولا ألد بحب دون تعذيب
ولا أصلح أيامي علي دخن
ليس النفاق إلى خلقي بمنسوب
يا دهر إن توسع الأحرار مظلمة
فاستثني إن غيلي غير مقروب

(126) ديوان ابن زيدون.

(127) الذخيرة.

وَلَا تَخْلُ أَنَّنِي أَلْفَاكَ مُنْفَرِدًا
إِنَّ الْقَنَاةَ جَيْشٌ غَيْرٌ مَغْلُوبٌ

فهذه القوافي ناظرة إلى هذه القوافي من قصيدة المتنبي:

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ
مَنْ أَكُونُ مُجِيبًا غَيْرَ مَحْبُوبٍ
إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْأَلَةٍ
فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبٍ
وَمِنْ هَوَى الصِّدِّيقِ فِي قَوْلِي وَعَادِيهِ
رَغِبْتُ عَنْ شَعْرٍ فِي الرَّأْسِ مَكْذُوبٍ⁽¹²⁸⁾

وعارض القصيدة التي مطلعها:

كَفَى بَكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا
وَحَسْبُ الْمَنِيَا أَنْ يَكْنَ أَمَانِيَا
بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

مَضُوا يَظْلَمُونَ اللَّيْلَ لَا يَلْبَسُونَهُ
وَإِنْ كَانَ مِسْكَى الْجَلَابِيْبِ ضَافِيَا⁽¹²⁹⁾

وعارض البائية التي مطلعها:

بِغَيْرِكَ رَاعِيًا عِبْثَ الدُّثَابِ
وَبِغَيْرِكَ صَارِمًا ثَلَمَ الضَّرَابِ

بقصيدة أولها:

(128) المصدر نفسه .

(129) المصدر نفسه .

عَزِيمٌ لَا يُسَدُّ عَلَيْهِ بَابٌ
وَقَلْبٌ لَا يُفْلُ لَهُ ذُبَابٌ⁽¹³⁰⁾

وعارض عبدالله بن خليفة القرطبي قصيدة المتنبي:

دروع لملك الروم هذي الرسائل

بقصيدة في وزنها ورويها في مدح علي بن مجاهد وقد انتقده ابن
بَسَامَ لِأَنَّهُ اهْتَمَمَ فِيهَا مَعَانِي الْمَتَنِيبِيِّ⁽¹³¹⁾.

ونحا أبو محمد ابن عبد الغفور في معارضة المتنبي منحى يعترض
فيه على ألفاظه ومعانيه ويعرض بقلة لباقة في المدح، قال يمدح ابن
تاشفين:

سِرٌّ حَلَّ حَيْثُ تَحَلُّهُ النُّوَارُ
وَعَمَامَةٌ لَا دِيمَةَ مِذْرَارُ
تَنْفِي الْهَجِيرَ بِظَلِّهَا وَتُنِيمُ بِالرِّ
شِّ الْقَتَامَ وَكَيْفَ شَتَّتَ تَدَارُ
وَقَضَى الْإِلَاهُ بِأَنْ تَعُودَ مَظْفَرًا
وَقَضَّتْ بِسَيْفِكَ نَحْبَهَا الْكِفَارُ

فقد اقتبس مطلع شعر للمتنبي في مدح سيف الدولة وتصرف في
بعض لفظه ثم عقب على ذلك بقوله:

«هذا ما تمناه الولي، لا ما تمناه الجعفي، فإنه قال: حيث اتجهت،
وديمه، ما تكاد تنفذ معها عزيمة، وإذا سُفِّحَتْ عَلَى ذِي سَفَرٍ، فَمَا أَحْرَاهَا
بِأَنْ تَعُوقَ عَنِ الظَّفَرِ، وَنَعْتَهَا بِمِذْرَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ أْبْلَغَ فِي الْإِضْرَارِ»⁽¹³²⁾.

(130) المصدر نفسه.

(131) المصدر نفسه.

ويشبه ابن عبد الغفور في هذا الانتقاد معاصره ابن خفاجة، فقد اعترف بأن قوله من قصيدة:

فلويتُ أعناقَ المَطِيِّ مُعْرَجاً
ونزلتُ أعتيقُ الأراكِ مُسَلِّماً

ينظر إلى قول أبي الطيب:

نزلنا عن الأكوارِ نَمْشي كرامةً
لمنْ بانَ عنه أنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْباً

ووازن بين بيته وبيت أبي الطيب وانتقد عليه كلمة «لمن» في فقرة طويلة ثم قال: «وربما حمل علينا حامل فقال إن هذا الرجل يتعاطى رتبة في الشعر فوق رتبة المتنبي، وليس الأمر كذلك لأنه لم يعترضه في جملة شعره، وإنما اعترضه في لفظه، وهذا ليس بمستنكر ولا مستكره»⁽¹³³⁾ وقد سبق ابن سيدة في شرح مشكل المتنبي إلى مثل هذا وتكررت عنده مثل هذه العبارة: ولو قال كذا لكان أحسن⁽¹³⁴⁾. وابن سيدة مسبوق في هذا الصنيع بابن وكيع الذي نجد عنده مثل هذه الاقتراحات^(134م).

ومن شعراء الموحدين الذين عارضوا أبا الطيب ابن المنخل الشلبي، فقد عارض البائية التي مطلعها:

فَدَيْنَاكَ مِنْ رُبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْباً
فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْباً

ببائية يمدح فيها عبد المؤمن، ومطلعها:

(132) انظر القلائد والخريدة والمغرب.

(133) ديوان ابن خفاجة.

(134) شرح مشكل شعر المتنبي.

(134م) المنصف لابن وكيع.

فَتَحْتُمْ بِلَادَ الشَّرْقِ فاعْتَمِدُوا الْغَرْبَا
فَإِنَّ نَسِيمَ النَّصْرِ بِالْفَتْحِ قَدْ هَبَا

ويقول في آخرها مضمناً مطلع المتنبي:

وَإِنْ يَقْضَى نَحْباً مِنْهُمْ ذُو بَسَالَةٍ
فَمَنْ نَفْسُ جَبَّارٍ لَكُمْ يَقْتَضِي النَّحْبَا
وَيَسْتَنْشِدُ الْبَطْرِيقُ فِي عَرَصَاتِكُمْ:
«فَدَيْنَاكَ مِنْ رُبْعٍ وَإِنْ زِدْنَا كَرْبَا» (135)

وفي ديوان ابن سهل قصيدتان في معارضة «بادِ هواك صَبْرَتْ أم لَمْ تَصْبِرَا»، وثالثة في معارضة «ألا لا أرى الأحداثَ مدحاً ولا ذمّاً» ونشير إلى أن ابن سهل درس شعر المتنبي مع زميله ابن سعيد العَمَّارِي في حلقة الشلوين بإشبيلية (136).

وفي العصر الغرناطي كان أبو الطيب الرندي يترسّم في مدائحه طريقة كنيه، فقد اختار له في باب المدح من كتابه الوافي القصيدة التي مطلعها:

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ
دَعَا فَلْبَاءُ قَبْلَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ
وساق بعدها قصيدة ذكر أنه قالها في عروض قصيدة أبي الطيب، ومطلعها:

مَنْ الظُّبَاءُ تَرَوُعُ الأُسْدِ بِالمُقْلِ
وَمَا رَمَتْهَا بَغِيرَ الغُنْجِ وَالكَحْلِ (137)

(135) المن بالإمامة.

(136) انظر ديوان ابن سهل، واختصار القدح المعلى

(137) الوافي لصالح بن شريف الرندي (مخطوط).

وخمس الأديب أبو عامر بن الأصيلي القصيدة التي أولها:

أَطَاعَنُ خَيْلًا مِّنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
وَحِيداً وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ

وهذا نموذج من تخميسه:

وَرَبِّ أَمِيرٍ مُّفْرَطٍ فِي اخْتِيَالِهِ
قَبْضَتْ يَمِينِي نَخْوَةً عَنِ شِمَالِهِ
وَنَزَّهَتْ نَفْسِي رِفْعَةً عَنِ نَوَالِهِ
«وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ»

مخافةً ففقر فالذي فعل الفقر»⁽¹³⁸⁾

وكانوا يضمّنون شعرهم أحياناً شطراً أو بيتاً من شعر المتنبي اعتماداً على شهرته وسيرورته، وقد رأينا أمثلة من ذلك ومنه أيضاً قول عبدالله بن حماد المراكشي:

يا مَنْ إِلَيْهِ فِي الْحَوَادِثِ يَسْنُدُ
وَعَلَيْهِ الْوَيْةُ الْمَحَامِدُ تُعْقَدُ
إِنِّي أَتَيْتُ بِشَطْرِ بَيْتِ سَائِرِ
«الْيَوْمَ مَوْعِدُكُمْ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ»⁽¹³⁹⁾

وبنى ابن خفاجة على بيت المتنبي قطعة له بدأها بقوله:

صَمَمْتُ سَمْعاً فَمَا أَصْغِي إِلَى الْعَدْلِ
وَهَمْتُ قَلْباً فَمَا أَصْحُو عَنْ الْغَزْلِ

(138) الذخيرة.

(139) الخريدة.

وختمها بيت المتنبي:

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ
فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ رُحْلِ (140)
وصنع هذا الصنيع أبو بكر ابن العربي في قطعة له بدأها بقوله:

إليك إله الخلق قاموا تعبدوا
وذلوا خضوعاً يرفعون لك اليدا

وختمها بقول المتنبي:

أزل حسد الحساد عني بكفهم
فأنت الذي صيرتهم لي حسدا (141)
وضمن ابن الخطيب مطلعاً للمتنبي في آخر شعر له يقول فيه:
لا أعدم الله دار الملك منك سناً
يُجلى به الحالِكان: الظلم والظلم
وأنشدتك الليالي وهي صادقة:
«المجد عوفي إذ عوفيت والكرم

وضمن ابن الحكيم الوزير بيتاً مشهوراً للمتنبي وأحسن التضمين،
وذلك في قوله (الإحاطة: 2: 463).

ولما رأينا من ربوع حبيينا
بيثرب أعلاماً اثن لنا الحبا
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا
شفينا فلا باساً نخاف ولا كربا

(140) ديوان ابن خفاجة .

(141) بغية الملتمس: 87 .

وحين تبدى للعيون جمالها
ومن بعدها عنا أديلت لنا قربا
«نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً
لمن حلّ فيها أن نلم به ركبا»

واقبس الشريف العقيلي الغرناطي صدر مطلع للمتنبّي إذ يقول في
ميميته الطويلة على لسان ملكه مخاطباً صاحب فاس وأزهار الرياض):

إيهِ حَنَائِكَ يَا بَنَ الْأَكْرَمِينَ عَلَى
«ضَيْفِ أَلَمِّ بَفَاسٍ غَيْرِ مُحْتَشِمِ

وقد كان ابن الخطيب مولعاً بتضمين شعر المتنبّي في نثره، أو التلميح
إليه مما يدلّ على استظهاره واستحضاره له كقوله في «خطرة الطيف»: وسرنا
ودُرُّ الْحَصَى بساط لأرجل ركابنا، ودنانير أبي الطيب تنثر فوق أثوابنا» وكرر
هذا التلميح في موضع آخر، وهو يشير إلى قوله:

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي
دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ

وقوله في أبي إسحاق الساحلي الأندلسي نزيل مالي: «فحلّ بها محل
الخمير في القار، والنور في سواد الأبصار، وتقيد بالإحسان، وإن كان غريب
الوجه واليد واللسان» وهو يشير إلى قول المتنبّي: «ومن وجد الإحسان قيدا
تقيدا» وإلى قوله:

وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا
غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ

وهكذا أصبح شعر المتنبّي مورداً عذباً ومجنى رطباً لشعراء الأندلس
والمغرب ينهلون من صفوه، ويقطفون من ثمره، وغدا - وهو الذي طالما
أسرف خصومه في اتهامه بالسرقات - مرجعاً خصباً لهؤلاء الشعراء المتملّثين
من شعره والذين لم يكونوا يستطيعون - بوعي أو بدون وعي - الخلاص من

إسار محفوظه، ومن هنا عُني الشراح والنقاد الأندلسيون بتتبع تواردهم على معينه، ونظرهم إلى ألفاظه أو معانيه؛ ومن هؤلاء ابن بسام في الذخيرة⁽¹⁴²⁾ والشريشي في شرح المقامات⁽¹⁴³⁾ والشريف السبتي في شرح المقصورة⁽¹⁴⁴⁾ والرندي في الوافي⁽¹⁴⁵⁾ وغيرهم، وهذا باب كبير لا أريد أن أفتحه تجنباً للإتقال أو الإملال، وقد كان المترسلون أيضاً يستشهدون بشعره، أو يعمدون إلى حلّه ونثره، والأمثلة في الذخيرة وغيرها كثيرة، وما هذا كله إلا لأنّ القوم كانوا يستظهرون ديوان المتنبي ويتمثلونه، ويجدون فيه ما يسعفهم في التعبير عن أغراضهم ومواقفهم، وقائمة الذين كانوا يحفظون الديوان طويلة، وفيهم الطبيب كابن زهر^(145م) والفيلسوف كابن رشد⁽¹⁴⁶⁾ والفقيه كابن العربي⁽¹⁴⁷⁾، والمؤرخ كابن خلدون⁽¹⁴⁸⁾، والأديب كالبياضي⁽¹⁴⁹⁾ وغيرهم؛ وللدلالة على مدى حفظ الديوان في الأوساط الأدبية بالأندلس والمغرب نورد حكاياتٍ لا تخلو من طرافة في هذا المجال.

جاء في المعجب لعبد الواحد المراكشي عقب ذكر أبي جعفر الحميري: «وأبو جعفر هذا، آخر من انتهى إليه علم الآداب بالأندلس، لزمته نحواً من سنتين، فما رأيت أروى لشعر قديم ولا حديث، ولا أذكر بحكاية تتعلق بأدب أو مثل سائر أو بيت نادر أو سجعاً مستحسنة منه رضي الله عنه وجزاه عنا خيراً. أدرك جلة من مشايخ الأندلس فأخذ عنهم علم الحديث والقرآن والآداب، وأعانه على ذلك طول عمره وصدق محبته وإفراط شغفه بالعلم.

(142) راجع فهارس الذخيرة.

(143) انظر شرح المقامات.

(144) انظر رفع الحجب المستورة.

(145) انظر الوافي.

(146) انظر ترجمته في الذيل والتكملة.

(147) انظر نفع الطبيب.

(148) انظر التعريف بابن خلدون.

(149) انظر ترجمته في وفيات الأعيان.

(145م) انظر ترجمته في الذيل والتكملة.

قال ولده عصام - وقد رأيت عنده نسخة من شعر أبي الطيب، قرئت عليّ أو أكثرها فألفيتها شديدة الصحة، فقلت له: لقد كتبتها من أصلٍ صحيح وتحزرت في نقلها فقال لي ما يمكن أن يكون في الدنيا أصل أصح من الأصل الذي كتبت منه! فقلت له: أين وجدته؟ قال: هو موجود الآن بين أيدينا وعندنا! وكنا في المسجد (بإشبيلية) في زاوية، فقلت له: أين هو؟ فقال لي: عن يمينك! فعلمت أنه يريد الشيخ، فقلت: ما على يميني إلا الأستاذ! فقال لي: هو أصلي، وبإملائه كتبت، كان يملي على من حفظه! فجعلت أتعجب، فسمع الأستاذ حديثنا. فالتفت إلينا وقال: فيم أنتم؟ فأخبره ولده الخبر فلما رأى تعجبي قال: بعيداً أن تفلحوا! يعجب أحدكم من حفظ ديوان المتنبي والله لقد أدركت أقواماً لا يعدون من حفظ كتاب سيبويه حافظاً ولا يرونه مجتهداً⁽¹⁵⁰⁾.

وختم الشقندي رسالته المعروفة في فضل الأندلس بالحكاية التالية: «وأنا أحكي لك حكايةً جرت لي في مجلس الفقيه الرئيس أبي بكر ابن زهر، وذلك أنني كنت يوماً بين يديه، فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان، وكان ابن زهر يكرمه، فقلت له: ما تقول في علماء الأندلس وكتابهم وشعرائهم؟ فقال: كبرتُ، فلم أفهم مقصده، واستبردت ما أتى به، وفهم مني أبو بكر ابن زهر أنني نظرتُه نظر المستبرد المنكر، فقال لي: أقرأت شعر المتنبي؟ قلت نعم، وحفظت جميعه، قال: فعلى نفسك إذن فلتنكر، وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم، فذكرني بقول المتنبي:

كَبَّرْتُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدْتُ
مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ

(150) المعجب للمراكشي وترجمة الحميري ومصادرها في الدليل والتكملة وترجمة ولده عصام ومصادرها في الدليل والتكملة

فاعتذرت للخراساني، وقلت له: قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي، حين لم أفهم نبل مقصدك فالحمد لله الذي أطلع من المغرب هذه الشمس، وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤوس»⁽¹⁵¹⁾.

وجاء في الصبح المنبي ما يلي:

«وحكى صاحب الحدائق أن الفتح ابن خاقان ذكر ابن الصائغ في قلائد العقيان فقال فيه: «رمد عين الدين، وكمد نفوس المهتدين، لا يتطهر من جنابة، ولا يظهر مخايل إنابة».

فبلغ ذلك ابن الصائغ فمر يوماً على الفتح ابن خاقان وهو جالس في جماعة فسلم على القوم وضرب على كتف الفتح وقال له: إنها شهادة يا فتح، ومضى فلم يدر أحد ما قال إلا الفتح فتغير لونه، فقيل له ما قال لك، فقال إني وصفته كما تعلمون في قلائد العقيان فما بلغت بذلك عشر ما بلغ هو مني بهذه الكلمة، فإنه أشار بها إلى قول المتنبّي:

وإذا أتتكَ مذمتي من ناقصٍ
فهي الشهادة لي بأنّي كاملٌ

وجاء فيه أيضاً: «حدّث بعض المغاربة قال: كنا عند ملك المغرب فورد عليه مكتوب من بعض ثغوره يتضمّن أن أعداء المسلمين خرجوا من البحر، وفتكوا بعساكر ذلك الثغر، حتى لم يبق منهم من يحمل السلاح، وصارت القتلى كالأكام على البطاح، وكان بيادية ذلك الثغر أمير تهابه الحتوف، وتفرق من ملاقاته الألوف، وسار إليه أعداء الدين، بجمع لا يبلغ عشر من قتلوا، فتلقاهم بالبيض المشرفية والسمر الخطية، فانهزمت أرواحهم إلى النار، وثبتت أجسامهم كالأحجار، وعمد إلى سفنهم فأغرقها وإلى أشلائهم فأحرقها، فلما تمّت قراءة الكتاب قال رحم الله أبا الطيب، ومراده قوله:

(151) نفع الطيب 3: 222، 4: 208

فليس تأكل إلا الميتة السَّبُعُ»

ونلمس هذا الاستظهار في تمثل ملوك الغرب الإسلامي ورؤسائه
بشعر المتنبي في المخاطبات والمواقف، فقد تمثل الحكم المستنصر
الأموي عندما أعجب بحركات الزناتيين على خيولهم بقوله:

فكأنما وُلِدَتْ قِيَاماً تَحْتَهُمْ
وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا⁽¹⁵²⁾

وكتب أبو القاسم الزبيدي إلى الوزير ابن حزم كتاباً تمثل في آخره
بقول المتنبي:

ومن نكّد الدنيا على الحرّ أن يرى
عدوّاً له ما من صداقته بُدُّ

فوقع الوزير ابن حزم على ظهره ولم يزد:

ومن نكّد الدنيا على الحرّ أن يرى
صديقاً له ما من عداوته بُدُّ⁽¹⁵³⁾

ولما بلغ الكاتب ابن البناء الإشبيلي موت عدوّ له تمثل بمطلع
المتنبي:

قالوا لنا مات إسحاق فقلت لهم
هذا الدوّاء الذي يشفي من الحمق^(153م)

(152) المقتبس: 193 تحقيق عبد الرحمن الحجي .

(153) جدوة المقتبس: 98 - 99 .

وكان حمّو بن مليل يقتصر في مكاتبة خصمه تميم بن المعز بن باديس على شعر المتنبي، فقد كتب إليه مرة متمثلاً بقول أبي الطيب:

إِذَا كَانَ أَعْجَبَكُمْ عَامُكُمْ
فَعُودُوا إِلَى جِمَصٍ فِي الْقَابِلِ
فَإِنَّ الْحَسَامَ الْمُصِيبَ الَّذِي
قُتِلْتُمْ بِهِ فِي يَدِ الْقَاتِلِ (154)

وكتب إليه في مناسبة أخرى متمثلاً بقوله:

كَمْ قَدْ دُفِنْتُ وَكَمْ أَقْبَرْتُ عِنْدَكُمْ
ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفْنُ
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يَدْرِكُهُ
تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ (155)

واكتفى يوسف بن تاشفين في مجاوبة الأدفونش بهذا البيت:

وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ وَالْقَنَا
وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرْمَرَمُ (156)

وكان المهدي ابن تومرت يتمثل بقول المتنبي:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ
فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ
كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ

(154) رحلة التجاني: 72.

(155) المصدر نفسه.

(156) إحكام صناعة الكلام للكلاعي.

وبقوله أيضاً:

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
وَبِالنَّاسِ رَوَى رُمَحَهُ غَيْرَ رَاحِمٍ
فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفِرُوا بِهِ
وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمَ بَأْتِمٍ

وبقوله أيضاً:

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ
وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ⁽¹⁵⁷⁾

ومن أطرف ما وقع لهم في التمثل بشعر أبي الطيب هذه الحكاية التي ذكرها ابن خلدون وغيره من المؤرخين المغاربة وهي أن العادل الموحدي لما وصل قصر المجاز عائداً من الأندلس بسبب اضطراب الأحوال لقيه أبو محمد عبدالله بن أبي حفص فسأله العادل عن الحال فأنشد متملاً:

حَالٌ مَتَى عِلْمُ ابْنِ مَنْصُورٍ بِهَا
جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا

فاستحسن العادل تمثل المذكور بهذا البيت لموافقته للحال إذ العادل هو ابن منصور فولاه إفريقية مكافأة له بسبب هذا البيت، وكان ذلك مبدأ الدولة الحفصية⁽¹⁵⁸⁾.

يتجلى ممّا عرضناه في هذا الفصل مبلغ العناية بشاعر العربية الأكبر في الغرب الإسلامي وهي عناية ظلّت مستمرة إلى وقتنا.

وفي العصور الأخيرة التي تدعى بعصور الانحطاط أصبح المغرب

(157) وفيات الأعيان 5: 54.

(158) العبر لابن خلدون وتاريخ الدولتين للزركشي: 21.

الأقصى المركز الأول لقراءة ديوان المتنبي وحفظه ودراسته، ولا سيما بعد ضياع الأندلس وقيام الترك في تونس والجزائر، فقد كان السلطان السعدي محمد الشيخ «يحفظ ديوان المتنبي، عن ظهر قلب» ويروي الناصري في الاستقصا سبب حفظه له فيقول:

«لما غدرت به قبيلة المنابهة وأنجاه الله من غدرتهم كتب إلى شيخه عبدالله ابن عمر المدغري يشكو له الحال فأجابه: أين أنت من قول أبي الطيب:

غَاضَ الْوَفَاءَ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عَدَّةِ

وَأَعُوْزَ الصِّدْقِ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقَسَمِ

فعكف السلطان المذكور على ديوان المتنبي حتى حفظه ولم يعزب

عنه بيت واحد» (159).

ويحدثنا عبد العزيز الملزوزي عن شغف السلطان المذكور بشعر المتنبي فيقول: «وكان أشدهم به ولوعاً، وأحناهم عليه ضلوعاً، أشبههم كلاماً برقته، وألهجهم لساناً بحكمته وأنضاهم يوم الروع لسيف جزالته، وأجراهم في الإقدام في حومة الهياج والكفاح على دلالته، وأحسنهم إيراداً لأمثاله، وأرشقهم بسهام الرأي المصيب ونباله، وأنفذهم في الملحدين لوعيده، وأعطفهم على المؤمنين من رعايا الله وعبيده ملك الملوك، وفخر المالك والمملوك، مولانا الإمام الخليفة أمير المؤمنين، وناصر الدين، أبو عبدالله محمد الشيخ المهدي قدس الله نفسه، وطيب بأنفاس المغفرة والرحمة رسمه، كان كثيراً ما يتعاطاه على شغف، ويعرب بدوقه السليم عن حكم أنيقة القرط والشفن، ويجلي بفوارس الإدراك غرره، ويستخرج بفهمه الثاقب من بحور معانيه الزاخرة درره، حتى اشتمل عليه حفظاً ودراية، ورفع للشهرة بمعرفته الراية، وما زال رضي الله عنه يوصي بحفظه

(159) انظر الاستقصا.

ودرايته إلى أعقابه الكرام وبنيه، ويشير بذلك على كتابه وأدبائه وقته وذويه»⁽¹⁶⁰⁾.

وبلغت العناية بديوان المتنبي في المغرب ذورتها في عهد المنصور الذهبي، فقد ورث الشغف بديوان المتنبي عن أبيه محمد المهدي، يقول كاتبه عبد العزيز الفشالي: «فإنه اليوم أيده الله كالخليفة أبيه كلف بصناعته ومغرم، ولوعه المنيف قد طاف بمعاطاته وَأَحْرَمَ، وما زال على المدى مطلعاً لشموس حكمه ونوادره في كريم ناديه، ومجياً لقداح المحاوره فيه مع جهابذة هذا الشأن وأهل واديه، حتى فاز من سهام المعرفة بمعانيه وأساليبه ومبانيه بالقدح المعلنى، وصار في حفظه وحفظ الأدب على الجملة ودرايته آيةً تتلى»⁽¹⁶¹⁾.

وتمثل شغف هذا السلطان العظيم بالشاعر الكبير في شيئين:

أحدهما: أنه جمع في خزائنه العلمية الحافلة عدداً كبيراً «من نسخ هذا الديون العتيقة المنسوبة المروية».

وثانيهما: أنه «أشار بتحريرو نسخة منها تشتمل على نظمه المروي المجاز، وشعره الذي ليس في صحة روايته احتمالاً ولا مجاز، وأمر أيده الله ونصره، وأسعد آصاله وبُكره، بترتيبه على حروف المعجم على طريقة المغاربة واصطلاحهم، والجري في وضعها على بيانهم وإيضاحهم، ليرتفع بهذا التحرير العجيب عن شعره المروي الشك والارتباب، ويسهل بهذا الترتيب اهتداء المطالع إلى محل الحاجة من الكتاب»⁽¹⁶²⁾.

(160) ترتيب ديوان المتنبي للفشتالي (مخطوط).

(161) المصدر نفسه.

(162) المصدر نفسه.

وكان الباعث على إشارة المنصور أنه «نظر إلى هذا الديوان نظر مشفقٍ على بضاعته، وغيور على صناعته، فرأى أيده الله عدم ترتيبه، وإغفال تبويبه، وخلوّ جمعه من ضابط، وعُرُوّ موصوله من صلة ورابط، نقصاً في إحسانه، وحصرأ في لسانه وعاهة في شخصه وإنسانه، إذ يعسر بذلك على مطالعه الاهتداء إلى قصده، والعثور بديهة على ما يشاء من هزله وجده»⁽¹⁶³⁾.

إن عمل المنصور السعدي في الأمر بترتيب شعر أبي الطيب على نحو جديد شبيه بما ذكرنا سابقاً من تكليف الناصر الأموي أدباء وقته بجمع شعر أبي تمام وترتيبه.

وقد كلف السلطان السعدي بهذا العمل كاتبه المجيد وشاعره الخنذيد عبد العزيز الفشتالي وأمره بمقابلة النسخ التي تشتمل عليها خزائنه، «والإتيان في ذلك بالجمع المتناهي، وجبر ما أغفله السّاهي».

وقد تفرغ الفشتالي لهذا العمل وعكف على شعر المتنبي يرتبه ويقدم له ويعارضه بالأصول التي وضعت بين يديه، وفيها أصول عتيقة ونسخ متداولة، وفيها روايات أندلسية قدم بها العهد وظلت محفوظة إلى ذلك الوقت، فقد أشار الفشتالي إلى رواية ابن العريف القرطبي هكذا: «وقال في كافور ولم يرو ابن العريف هذه الأبيات» وذكر مرات رواية ابن قادم القرطبي، منها مرة في ص 46: «وقال وليست في كتاب ابن قادم ولا هي في النسخ المتداولة» ومرة ثانية في ص 241: «وقال وليست في كتاب ابن قادم ولا ثبتت في أصل الديوان» ويشير الفشتالي إلى أصول أخرى بدون تعيين كما في ص 228: «وقال وليست مما ثبت في أصل الديوان» وكما في ص 260: «وقال مما لم يثبت له في الأصول المتسخ منها».

(163) المصدر نفسه.

يبدو من هذا أننا أمام نسخة موثقة أو نقدية كما يقال اليوم، وقد نعتبرها أول نسخة نقدية لشعر المتنبي في بداية التاريخ الحديث.

ويشير الفشتالي في مقدمة ترتيب الديوان إلى أن بعض الفضلاء «كان قد فوق إلى هذا الغرض نباله، وأشرع إليه نصاله، وجرى في ترتيبه على حسب ما في وسعه ومقدوره، ونظم في قلادة جمعه ما التقطه من فرائده وشذوره، فقل أن كان [مستوفياً] في ترتيبه لشعره المشهور، ومستقصياً في جمعه لنظمه الذي صحَّحه أئمة المنظوم والمثور، إذ كان اقتصر على ما صحَّت عنده روايته، ووقف في الاجتهاد حيث وقفت في مجال الدراية رأيته»⁽¹⁶⁴⁾.

ولا نعرف من هو هذا الفاضل الذي يشير إليه ولعلّه أحد فضلاء زمنه ووطنه، ويبدو من عبارة له أن عمل هذا الفاضل رفع إلى السلطان ولكنه لم يقنعه «فأثر أيدى الله الإتيان في ذلك بالجمع المتناهي، وجبر ما أغفله الساهي»⁽¹⁶⁵⁾.

ومهما يكن الأمر فقد أنجز الفشتالي عمله حسبما أشار عليه المنصور، وقد وصلت إلينا نسختان من هذا الترتيب: إحداهما في الخزانة العامة بالرباط (رقم 609 ج) والثانية في الخزانة العامة بتطوان (رقم 524) ولكنها نسبت إلى أبي جمعة الماغوسي معاصر الفشتالي وأحد كتاب المنصور، وتتصدّر ديابجتها هذه العبارة: «هذا إنشاء الأديب الشهير أبي جمعة المراكشي المعروف بالمغوسي رحمه الله».

لقد ذكر هذا الكتاب ونسبه إلى الفشتالي ابن القاضي في درة

(164) المصدر نفسه.

(165) المصدر نفسه.

الحجال إذ يقول: «ألف مقدمة لترتيب ديوان المتنبي على حروف المعجم الذي أمر بترتيبه على ذلك المنهج المخدم مولانا أبو العباس المنصور، وقد ذكرت صدور التأليف المذكور في المنتقى المقصور»⁽¹⁶⁶⁾ وكذلك المقري الذي يقول في روضة الآس:

«ومنها أيضاً: «ترتيب ديوان أبي الطيب» أحمد بن الحسين الكندي الشهير بالمتنبي، رتبته على حروف المعجم، وجعل له خطبة، أمره بذلك أمير المؤمنين نصره الله»^(166م).

يمتاز عمل الفشتالي بما يلي:

- ترتيب شعر المتنبي على حروف المعجم حسب الترتيب المغربي.
- تحقيق المتن بالاعتماد على نسخ أصلية كثيرة أصبح بعضها مفقوداً.
- التمهيد للقوائد بما يشرح المناسبات التي قيلت فيها.
- إغناء النسخة بطرر - وهي الحواشي في اصطلاح المغاربة - ومعظم هذه الطرر تتعلق بالسرقات، وقد اشتملت هذه الطرر على أبيات السرقات الواردة في المنصف لابن جني وغيره، ويمكن القول بأنها أوسع ما وضع في سرقات المتنبي على الإطلاق، وإذا كانت هذه الطرر للفشتالي فإنها تدل على غنى مكتبة المنصور التي ورثها ولده زيدان ثم غرّبها القدر إلى الاسكوريال حيث ما تزال بقيتها إلى اليوم.

وينقل الفشتالي عن مصادر مفقودة بل لا ذكر لبعضها في تراجم أصحابها، فقد نقل رواية في سبب مقتل المتنبي عن رسالة لأبي هلال العسكري

(166) المصدر نفسه.

اسمها «التكملة المختارة في تتبع الوساطة» ولم نجد لهذا الكتاب ذكراً فيما وقفنا عليه من مصادر، وهو يمثل حلقة مفقودة من حلقات المعركة النقدية حول المتنبي، ولا بد أن أبا هلال العسكري رد في رسالته المذكورة على القاضي الجرجاني، والعسكري كما يؤخذ من كتاب الصناعتين كان من خصوم المتنبي، فهو يقول فيه: «ولا أعرف أحداً كان يتبع العيوب فيأتيها غير مكثرث إلا المتنبي، فإنه ضمّن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها» ويقول في ابتدئات المتنبي إنها «ابتدئات لا خلاق لها»⁽¹⁶⁷⁾.

وتتميز نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 609 ج بتوقيفات على بعض الأبيات يبدو أنها بخط المنصور الذهبي، وهذا مستفاد من مقارنة خطوط التوقيفات بخطوط المنصور الموجودة وكذلك من التعليق الذي كتبه الأديب السيد محمد غريظ ونصّه: «الحمد لله، يقول الواضع اسمه عقب تاريخه سامحه الله بمنّه: إني سمعت سيدي الوالد رحمه الله يقول غير ما مرة: إن المنصور السعدي كان مولعاً بديوان المتنبي وكانت له نسخ منه، وكان يوقف على ما أعجبه من أبياته ويجعل مكان الرمل سحيق الذهب تنبيهاً على كثرته لديه، وأن نسخة من تلك النسخ عند السادة الشرفيين، ولا شك أنها هذه لما فيها من التوقيفات المذهبة. وقيد في 25 ربيع النبوي عام 1347 هـ».

ولهذه التوقيفات فائدة في الدلالة على ذوق السلطان المذكور ومقياس اختياره - وكان كما هو معروف أديباً ناقداً - وقد وجدناه يوقف في الغالب على أبيات حكّمية أو غزلية كما يوقف على أبيات في وصف الخيل والمعارك، وقد يوقف على بعض المطالع التي تعجبه أو على بعض الأبيات التي انتقدت على المتنبي كهذا البيت:

(167) كتاب الصناعتين.

فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَ الْحِشَا
قَلَاقِلَ عَيْسٍ كَلَّهَنَّ قَلَاقِلُ

ومعظم الأبيات التي وقف عليها هي من أبيات المتنبي السائرة، وربما كان المنصور ينشدها ويرددها في المواقف المناسبة، وربما وجد في بعضها ما يعبر عن واقع حاله كهذا البيت الذي وقف عليه:

وما كنتُ ممَّن أدركَ المُلكَ بالمُنَى
ولكن بأَيَّامٍ أَشْبَنَ نَوَاصِيَا

وسنبت هذه التوقيفات مع مقدمة هذه النسخة السعدية وزياداتها وبعض طرورها في فصل آتٍ.

وإذا كان الفشتالي قام بترتيب الديوان وتخريج نسخة مغربية له فإن محمد بن علي الهوزالي الملقب بالنابعة وضع شرحاً على الديوان توجد منه نسخة في إحدى الخزائن الخاصة، ولم نتمكن من الإطلاع على هذا الشرح، ولا بدّ أنه أهدها إلى المنصور.

وتساءل عن دواعي بعث ديوان المتنبي وإحياء قراءته ودراسته؟

وقد يكون أول هذه البواعث إعجاب المنصور وسلفه بالشاعر الكبير، وتطلعه إلى تكوين طبقة من الشعراء في مستواه لتسجيل مفاخره وتخليد مآثره، وهذا ما حصل بالفعل، فقد ظهر عدد من فحول الشعراء، ومنهم الهوزالي الذي كان ينزع منزع المتنبي وعبد العزيز الفشتالي وغيرهما.

ومن الملاحظ في تاريخ الأدب الأندلسي والمغرب أن العناية بشعر المتنبي تقوى مع ظهور كبار الملوك الذين تحتاج وقائعهم إلى من يخلدها بشعر يكون في مستوى شعر المتنبي في وقائع سيف الدولة، فمن ذلك ظهور ابن هانئ متنبي المغرب مع المعز الفاطمي، وفي عهد المنصور بن

أبي عامر نبغ ابن دراج «وكان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام»⁽¹⁶⁸⁾ وأخيراً نجد في عهد المنصور السعدي هذه العناية بشعر المتنبي التي أنجبت الشعراء المذكورين وغيرهم .

وكان الطابع العربي لهذه الدولة المغربية الشريفة من أسباب إحياء شعر المتنبي والآداب العربية على حين غدت التركية لغة الدواوين في معظم العالم الإسلامي .

كما أن المنصور الذهبي في هذا العصر الذي تزهقت فيه الثقافة العربية والإسلامية رأى أن يحيي مجموعة من أصول هذه الثقافة، فكما كلف كاتب دولته بوضع نسخة جديدة من ديوان المتنبي كلف أيضاً علماء الحديث في عصره بعمل نسخة مقابلة ومعارضة بالأصول من صحيح البخاري «وقد ضمّن قائده أبو الحسن الشيظمي تاريخ الفراغ من هذه النسخة في آخر الأبيات التالية:

لِلَّهِ مِنْهَا دَرَّةٌ قَدْ بَدَتْ
فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالْإِحْتِفَالِ
نَسْخَةٌ مِّنْ فَاقِ الْوَرَى هِمَّةٌ
وَخَصَّه اللَّهُ بِإِثْرِ الْمَعَالِ
وَأَكْسَبَ الْمَأْثُورَ فَخْرًا بِهِ
وَأَلْبَسَ الرُّوَاةَ بُرْدَ الْجَمَالِ
الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ مُحْيِي الْهُدَى
أَبْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَفِي الْكَمَالِ
جَادَتْ بِهَا الْأَيَّامُ فِي طَالِعِ
أَفَادَ عَيْنِ الدِّينِ أَوْفَى اِكْتِحَالِ

(168) يتيمة الدهر

متى تشأ تاريخ إتحافه بالملك قل آل النبي خير آل⁽¹⁶⁹⁾

ونذب علماء حضرته إلى تخريج تفسير ابن عرفة الذي كان يؤثره، وأشار بوضع شروح ومؤلفات سمى بعضها الفشتالي في مناهل الصفا وابن القاضي في المنتقى المقصور حتى لقد اشتملت «الخزانة الكريمة العلية الإمامية الشريفة اليوم على عددٍ جم من تصانيف أهل العصر في كل فن حتى في الطب والهندسة»⁽¹⁷⁰⁾ وكان يرسل العطايا الجزيلة للمؤلفين المشاركة الذين كانوا يهدون إليه مؤلفاتهم⁽¹⁷²⁾، واشتغل هو نفسه بالتأليف، فألف كتاباً في السياسة، وجزءاً في الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ، وتقييداً في علم المعنى من فنون الشعر ومعرفة طرقه وأسمائه وألقابه، وجمع أشعار العلويين من أمهات الأدب والدواوين الشعرية، وبالجملة فقد كان المنصور مغرمًا بالشعر «لا تكاد داووينه تفارق راحته، ولا يرى في غير واديه أنسه وراحته»⁽¹⁷²⁾ ولهذا كله لا نعجب إذا رأينا منه هذا الاهتمام بشعر المتنبي «والانفراد بمعرفة ديوان أبي الطيب واستحضار حكمه وأمثاله» كما يقول الفشتالي في المناهل، وفي دياحة النسخة المنصورية أيضاً شرح لأسباب اهتمامه بالديوان.

وقد استمرت العناية برواية شعر المتنبي وحفظه في العهد العلوي حيث كان عبد القادر الفاسي والحسن اليوسي وابن سليمان الروداني وأحمد بن خالد الناصري وغيرهم من حفاظ ديوان المتنبي⁽¹⁷³⁾؛ وما يزال علماء الغرب الإسلامي إلى اليوم ينشدون شعر المتنبي في المناسبات

(169) المنتقى المقصور (مخطوط).

(170) مناهل الصفا. نشر د. كريم.

(171) ريحانة الألبا: 113.

(172) راجع مناهل الصفا. 294 - 303.

(173) ديوان المتنبي في العالم العربي: 54.

والمجالس العلمية، ومن ذلك ما أنشده أخيراً العالم السنغالي الشيخ عبد العزيز جوب في آخر درسه الديني الذي ألقاه في حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله (رمضان 1405) وكان جلالة محفوقاً بولي العهد سيدي محمد وصنوه مولاي رشيد ومن ضمهم ذلك المجلس العلمي، وبعد أن أنهى الشيخ درسه ختمه بالدعاء وإنشاد هذين البيتين وهما للمتنبي:

أما ترى ما أراه أيها الملكُ
كأننا في سماءٍ ما لها حُبُّكُ
الفرقدُ ابنُكُ والمُصباحُ صاحبُهُ
وأنتَ بدرُ الدُّجى والمجلسُ الفلَكُ

ونشير في ختام هذا الفصل إلى أن أدباء المغرب احتفلوا بذكرى المتنبي عندما احتفلت بها الأوساط الأدبية في العالم العربي سنة 1935 وقد سجلت صحف ذلك الوقت ومجلاته ما كتبه في تلك المناسبة⁽¹⁷⁴⁾.

وإذا كانت العودة إلى المتنبي في العالم العربي لم تتم إلا في مطلع النهضة الحديثة فإن مكانته في المغرب ظلت محفوظة - كما رأينا - طوال مختلف العصور.

(174) نذكر منها على سبيل المثال العدد الخاص من مجلة «المغرب الجديد» العدد المزدوج 9 - 10 فبراير - مارس 1936.

وقال المتنب الضم هـ فن كتابه تراط المتنب ح
 ونظير قول الخليل ع في قوله لا من يريه ولا يسلطه من تلاميذه
وقال المتنب ع انما الشؤم في العي ع قال علي عليه السلام لا طائفة
 الا لا اخرج احدا بقول ع وقد عا على ع لا اخرج احدا ع ومن استعدت الزخوة
وقال المتنب ع ولولا ان اكرم طمئنتي معاوي ع لكانت له ع مستطابا
 يتسوق لولا ان علي ع يمتنى العاقبة ع ايل لعلك ولا صاحبت منا ع **وقال المتنب**
 اروي شعبي ومعاوية ما شريتا فكيف ابد اعلم الشير انما اكلنا ع قال
 بقركت تكفي ع ولم يجي ع فكيف يتكول ع انما ع **وقال المتنب**
 فرا شيعت من ع اء ع وافتل ما اعلت ما شيعا ع **وقال المتنب**
 افضي بط البحر الى الله ع بحيث من ع اء ع الى ع **وقال المتنب**
 انما اقامتها كانت شرما ع وانها اقامتها كانت رگا ع **وقال المتنب**
 كم امورها صيثن ع وما قائم ع مؤنها علقن ع مبات ع **وقال المتنب**
 وكبره ع ون الشؤم ع من ع من ع **وقال المتنب**
 ليحلب ع اء ع في ع **وقال المتنب**
وقال المتنب ع **وقال المتنب**
 ينظر الى ع **وقال المتنب**
 ومن ع **وقال المتنب**
 بقول ع **وقال المتنب**
 فلا ع **وقال المتنب**
وقال المتنب ع **وقال المتنب**
 انما ع **وقال المتنب**
 وحض ع **وقال المتنب**
 الوضع ع

المراد بالمراد

١٦١

تم الكتاب بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله
 صلح تسليما كثيرا بسببته يحيى بها الله تعالى في التاسع عشر لسببنا المرحوم

نسخة من شرح الوحيد لديوان المتنبى منتسخة في سبته (مخطوط الاسكوريال).

الفصل الثالث

مؤلف روضة الأديب
في التفضيل بين المتنبى وحبیب

مؤلف الرسالة هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي المعروف بابن لبّال الشريشي، ورفع ابن عبد الملك المراكشي نسبةً إلى عبد مناف فقال: «علي بن أحمد بن علي بن فتح بن لبّال بن إسحاق بن أمية بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف»⁽¹⁾.

ولم يشر ابن عبد الملك إلى مصدره في هذه السلسلة على خلاف عادته، ولعلّه اعتمد فيها على ابن لبّال نفسه الذي كان - كما يقول - «حافظاً للتاريخ والنسب»⁽²⁾.

ويقول أبو الخطاب ابن دحية الذي عرف ابن لبّال وسمع منه بمنزله في شريش: «أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن فتح وهو لبّال بن أمية بن إسحاق القرشي الأموي»⁽³⁾ وإذا لم يكن في هذا النص المطبوع خلل فإن كلمة لبّال بما تحمله من مسحة عجمية إنما هي لقب لفتح أحد أجداد المترجم، وهذا يخالف ما رأيناه عند ابن عبد الملك من عده جدّاً آخر بعد فتح.

(1) الذيل والتكملة 5: 169.

(2) المصدر نفسه.

(3) المطرب: 97 تحقيق الأبياري.

أما الآخرون الذين ترجموا لابن لبال فهم يقفون في تعداد نسبه عن جده علي، ولكن الجميع يتفق على نسبه الأموية.

وإذا صح النسب الذي ساقه ابن عبد الملك بكون ابن لبال من عقب عبد الرحمن الداخل ومن ذرية ولده عبدالله البلنسي، وقد ذكر ابن حزم في الجمهرة أنه بقي في وقته «من ولد عبدالله البلنسي رجل يعرف بابن الخدين»⁽⁴⁾.

ولد ابن لبال بمدينة شريش سنة ثمان وخمسمائة ويستفاد من قائمة شيوخه أن جلّ دراسته كانت بإشبيلية، فقد قرأ القرآن بالقراءات السبع وسمع صحيح البخاري على أبي الحسن شريح شيخ القراء والمحدثين بإشبيلية والأندلس في زمنه⁽⁵⁾، وروى الموطأ عن أبي بكر محمد بن طاهر وأبي بكر ابن العربي بإشبيلية أيضاً⁽⁶⁾، ودرس بها النحو واللغة والأدب على أبي الحسن علي بن مسلم⁽⁷⁾ وأبي الفضل ابن الأعم⁽⁸⁾ وأبي بكر محمد ابن فندلة^(8م)، وقد نص في رسالته على قراءته على هؤلاء بإشبيلية، وسمع ببلده شريش مقامات الحريري على أبي القاسم عيسى ابن جهور الذي أخذها ببغداد عن الحريري⁽⁹⁾ نفسه. ومن شيوخه أيضاً أبو الطاهر التميمي السرقسطي مؤلف «المسلسل» و«المقامات اللزومية»⁽¹⁰⁾ وأبو الحجاج يوسف

(4) الجمهرة: 95 تحقيق عبد السلام هارون.

(5) ترجمته في الصلة: 229 والغنية: 273 وبغية الملتمس رقم 849 وغاية النهاية 1: 324 ووفيات الأعيان 7.

(6) ترجمتهما في الصلة: 557 - 558 وغيرها.

(7) ترجمته في الذيل والتكملة 5: 180، 392 والتكملة رقم 1848.

(8) ترجمة أبي الفضل حفيد الأعم في المطمح: 64 - 67 والصلة: 552 وبغية الملتمس رقم 609 وبغية الوعاة 1: 161 ونفح الطيب.

(8م) ترجمته في الصلة: 552 وبغية الملتمس رقم 210.

(9) ترجمته في الصلة: 416 وصلة الصلة رقم 79 وبغية الملتمس رقم 1140.

(10) ترجمته في الصلة: 556 والمعجم لابن الأبار: 140 وبغية الوعاة 1: 279.

القضاعي الأندلي⁽¹¹⁾ وأبو مروان ابن مسرة⁽¹²⁾ وأبو الحسن خليل بن إسماعيل⁽¹³⁾، وأبو العباس بن أبي مروان⁽¹⁴⁾ وغيرهم.

قد تهيأت لابن لبال بهذه الدراسة الجادة ثقافة عامة عريضة، وتكونت لديه مشاركة واسعة في علوم متنوعة، «وكان معتنياً بالقراءات مجوداً لها، وافر الحظ من الآداب، حافظاً للتاريخ والنسب، متقدماً في علم العربية، عاقداً للشروط ضابطاً لها»⁽¹⁵⁾.

ولما انتهى زمن الطلب والدراسة بإشبيلية عاد ابن لبال إلى بلده شريش واستقرّ به منتصباً للتدريس متطوعاً به ومشتغلاً بالتوثيق متعيشاً منه، ومهتماً بالتدوين والتأليف ونقدر أن عودته إلى شريش كانت في آخر العقد الرابع من القرن السادس أي حوالي 540 هـ وهذا التاريخ يمثل نهاية عهد المرابطين في الأندلس وبداية عهد الموحدين، وقد كانت مدينة شريش أسبق مدن الأندلس إلى الدخول في الطاعة والمبادرة إلى مبايعة عبد المؤمن فأصبح لها بذلك وضع خاص طوال عهد الموحدين، قال ابن أبي زرع: «فكان أول مدينة فتحوها من الأندلس مدينة شريش، فتحوها صلحاً، كان بها قائدها أبو الغمر من بني غانية في ثلاثة آلاف فارس من المرابطين، فخرّج بمن معه فتلقي الموحدين وبايعهم لعبد المؤمن ودخل في طاعته، فكان الموحدون يسمونهم السابقين الأولين، وحرّرت أملاكهم فلم تزل محررة إلى انقضاء أيامهم، فليس في أملاكهم رباعة وجميع بلاد الأندلس مربّعة، وكان ملوك الموحدين - إذا قدم عليهم وفود الأندلس للسلام في كل سنة - أول من ينادون من أهل البلاد أهل شريش، فيقال لهم: أين

(11) ترجمته في بغية الملتبس رقم 1446 والتكملة رقم 2076 وصلة الصلة رقم 400.

(12) ترجمته في الصلة: 348.

(13) ترجمته في التكملة: 310.

(14) ترجمته في التكملة: 58.

(15) الذيل والتكملة 5: 169.

السابقون أهل شريش يدخلون للسلام فإذا سلّموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا، فحيثذ يدخل غيرهم، وكان فتح شريش في أول يوم من شهر ذي الحجّة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة»⁽¹⁶⁾.

كان ابن لبّال في هذا التاريخ قد جاوز الثلاثين وبلغ مبلغ الرجال، وفي هذا الجو الاجتماعي الممتاز الذي أصبحت تتمتع به شريش أقبل بعزم وحزم على ما كان بصدده من التدريس ونشر العلم، واتسمت حياته منذ شبابه بسمات الفضل والخير والورع والزهد، وسرعان ما أصبح بفضل خصاله الحميدة وشيمه النبيلة «عين ذلك المصّر، وفارسه في الفقه والنظم والنثر» كما يقول ابن دحية⁽¹⁷⁾.

وهذا ما جعل أهل بلده يجمعون على ترشيحه لخطة القضاء عندهم، وهنا يحسن بنا أن نسوق كلام ابن الزبير قال: «وولي قضاء بلده شريش مكرهاً، وكان سبب ذلك أن والي إشبيلية كتب إلى أهل شريش أن يجتمعوا على رجل منهم يولّي القضاء بها فجمعهم والي البلد وأجمعوا عليه ولم يختلف عليه أحد منهم فحلف أن لا يكون قاضياً ورجا أن يبروا يمينه فلم يفعلوا، وكُتب عقدٌ بانفاقهم عليه ووجّه إلى إشبيلية فوصلهم كتاب ولايته، فهم بالمشي إلى إشبيلية ليستعفي فمنعوه واتفقوا على المشي معه في طلبه، وذكر لصاحب إشبيلية أنه ضعيف الحال فرتب له مرتباً يأخذه من المخزن مشاهرة فاشترى منه عبداً فأعتقه كفاً ليمينه وقال في ذلك:

كُنْتُ مُدُّ كُنْتُ كَارِهًا
أَنْ أَلِي خَطَّةَ الْقَضَا
لَمْ أَرِدْهَا وَإِنَّمَا
سَاقَهَا نَحْوِي الْقَضَا

(16) الأنيس المطرب: 188 ط. دار المنصور - الرباط.

(17) المطرب: 97.

وقال حين زال عن القضاء:

حُمِلْتُ عَلَى الْقَضَاءِ فَلَمْ أُرِدْهُ
وَكَانَ عَلَيَّ أَثْقَلَ مِنْ ثَبِيرٍ
فَلَمَّا أَنْ عُرِزْتُ جَعَلْتُ أَشْدُو
لَقَدْ أَنْقَذْتُ مِنْ شَرٍّ كَبِيرٍ⁽¹⁸⁾

ويشير ابن عبد الملك إلى سيرته خلال الفترة التي تقلد فيها القضاء فيقول: «وكان من أفاضل قضاة زمنه صدعاً للحق في قضائه، وقياماً بالعدل في أحكامه، لا تأخذه في الله لومة لائم»⁽¹⁹⁾. وَيَقُولُ ابن دحية: «ولي القضاء به (يعني بلده) فحمدت في ذات الله مآثره وآثاره، وسارت في العدل أخباره»⁽²⁰⁾.

ولما تخلّى عن القضاء تفرغ لما كان يؤثره من الإقراء والتدريس، وقد وصف ابن عبد الملك حاله في تعليمه ومعيشته فقال: «وكان محرّضاً على طلبه، برّاً بطلبته، معظماً لشأنه وأهله، لين الجانب لهم ناصحاً في تعليمه، متواضعاً في أحواله، متبدلاً في لبسته، أكثر لباسه جبّة صوف لا شعاع لها، يتولّى خدمته لنفسه، وشراء ما يحتاج إليه، وحمل خبزه إلى الفرن وسوقه منه تخاملاً وقهر نفس»⁽²¹⁾.

أما تلاميذه فمعظمهم من أبناء بلده شريش ومن أنجبهم أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي شارح المقامات المشهور⁽²²⁾، وكان شيخه ابن لبّال يثبت نسبه في بني أمية، وفي هذا ما يدل على اعتزاز الشيخ

(18) صلة الصلة: 109.

(19) الذيل والتكملة 5: 170.

(20) المطرب: 97.

(21) الذيل والتكملة 5: 170.

(22) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 1: 268.

بتلميذه، وقد تابع هذا التلميذ شيخه في شرح المقامات، وضمن هذا الشرح جملة من أشعار شيخه، ومن أنجبهم أيضاً الأديب الشاعر أبو عمر محمد ابن غياث الشريشي⁽²³⁾ وهو من سراة الأعلام، وحسنات الأيام، رق نسيم نسيبه، وراق ما اخترع من عجيب النظم وغريبه⁽²⁴⁾ وأبو بكر محمد ابن الغزّال الشريشي⁽²⁵⁾ وأبو الحسن علي ابن الفخار الشريشي⁽²⁶⁾، وأخذ عنه من غير أهل شريش النحوي المشهور أبو علي الشلوين الإشبيلي⁽²⁷⁾ وآخرون.

يُنعتُ ابن لبال بالقاضي الزاهد، هكذا وصفه الرعيني أكثر من مرة⁽²⁸⁾، وقال ابن الزبير: «وكان... زاهداً ورعاً فاضلاً من أفضل أهل زمانه وأورعهم». ثم قال: «وأخباره في ورعه كثيرة»⁽²⁹⁾. وظل على حاله هذه إلى أن توفي سنة 582 هـ. وهو ابن أربع وسبعين سنة. قال ابن عبد الملك: «وكان الحفل في جنازته عظيماً والثناء عليه جميلاً، ولم يزل قبره مزوراً مرجو البركة رضي الله عنه»⁽³⁰⁾.

أما آثاره الأدبية فهي:

1- شرح مفيد على مقامات الحريري. ويبدو أنه مفقود، ولعلّ شرح تلميذه أحمد بن عبد المؤمن الشريشي غطّى عليه فكتبت له الشهرة والبقاء وأحسب أنه استعان به، ولكنه لم يذكره من جملة شروح المقامات في

(23) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 6: 295.

(24) المغرب 1: 305.

(25) ترجمته في الذيل والتكملة 6: 499.

(26) ترجمته في الذيل والتكملة 5: 185.

(27) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 5: 460.

(28) برنامج الرعيني: 90، 122.

(29) صلة الصلة: 109.

(30) الذيل والتكملة 5: 171؛ هذا ويحسن التنبيه إلى أن ترجمة أبي الحسن ابن لبال كما وردت في نفع الطيب 4: 231 نقلاً عن المطمح لا علاقة لها بصاحبنا.

مقدمة شرحه ولم يصرِّح بالنقل عنه إلا مرة واحدة في آخر المقامة الكرجية عند شرح بيتي ابن سكره في كافات الشتاء فقد أورد ثلاثة أبيات للشاعر الأندلسي ابن مسعود زاد فيها كافاً ثامنة وقال: «نقلت أبيات ابن مسعود من شرح شيخنا ابن لبّال، قال (أي ابن لبّال): ولما جمعنا في أيام الشتاء ما جمعنا من الكافات قلت في ضدّها الحرّبتين جمعت فيها من الرءاء ثمانية وهي:

عِنْدِي فَدَيْتِكَ رِءَاءُ ثَمَانِيَّةٌ
أَلْقَى بِهَا الْحَرُّ وَافِي وَإِنْ بَرْدَا
رَقٌ وَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَرَيْقٌ رَشَاءٌ
وَرَفْرَفٌ وَرِيَاضٌ نَاعِمٌ وَرَدَا»⁽³¹⁾

ويستفاد من هذا النص أن شرح ابن لبّال على المقامات حافل بالمختارات الأدبية ولا سيما الأندلسية، وأنّه يشتمل على نماذج من شعر مؤلّفه، كما تدلنا نقول منه وردت في كتاب الدوحة المشتبكة على أنه عامر بالفوائد الفقهية والتاريخية، وأخيراً فإن قيام ابن لبّال بوضع شرح للمقامات ينهضُ دليلاً على ثقافته الأدبية واللغوية الواسعة.

2- مقدمة في العروض. وقف عليها ابن عبد الملك فيما يظهر ووصفها بأنّها نافعة⁽³²⁾.

3- روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبیب. وقد انفرد ابن عبد الملك بذكرها هي والمقدمة المذكورة قبلها، وهذه الروضة هي التي نقدم لها بهذه المقدّمة، وهي عبارة عن مقالة وصفها ابن عبد الملك بأنّها «مقالة نبيلة» وسنعرض لوصفها وذكر محتواها وقيمتها فيما بعد.

4- شعره ونثره: قال ابن عبد الملك: «وكان يقرض مقطعاتٍ من

(31) شرح الشريشي على المقامات 3: 42.

(32) الذيل والتكملة 5: 170.

الشعر يجيد فيها، وبينه وبين جماعة من أدباء عصره مخاطبات أدبية نظماً ونثراً تدلُّ على متانة أدبه»⁽³³⁾.

أما مخاطباته الأدبية ورسائله الإخوانية فلم يصل إلينا شيء منها فيما وقفنا عليه، وأما شعره فقد بقيت منه بعض القصائد والمقطعات في أغراضٍ متنوعة.

إن هذا الشاعر الحسيب والفقير الورع الزاهد الذي أصبح قبره في شريش مزاراً يتبرك به⁽³⁴⁾ كانت تهزه أريحية الأدب فينقاد لدواعي القول البريء وينظم في أغراض الكلام المباح فله غزليات حلوة وخمريات عذبة، ولعلّه قالها من باب الأريحية أو على سبيل الرياضة كما يعبر المعري، وله شعرٌ في وصف الطبيعة، ومنتزعات بلده شريش، كوصف التنزه في النهر بالزوارق، ووصف منتزه «الجانة» ووصف زمن العصير، وله مقطعات في الألغاز، ووصف الأدوات الحضارية كالدواة والمقص وغير ذلك.

أما شعره في الحنين إلى الديار المقدسة والشوق إلى زيارة قبر المصطفى فهو ينسجم مع تدينه وورعه وزهده.

ولعلّ من المفيد أن نثبت ما وقفنا عليه من شعره وسنسوقه مرتباً على الحروف:

حرف التاء

قال يصف التين القوطي:

كَأَنَّ جَنَى الْقَوِطِيِّ فِي رَوْنِقِ الضُّحَى
وَقَدْ حَمَلَتْهُ رَاحَةُ الْوَرَقَاتِ

(33) المصدر نفسه.

(34) المصدر نفسه.

نَهْدُ عِدَارِي زُحْزَحَتْ عَنْ مَقْرَهَا
فَقَامَتْ عَلَى الْأَطْرَافِ وَالْحَلَمَاتِ⁽³⁵⁾

حرف الحاء

وقال معارضاً البحرّي:

يا بِأبي ظبيُّ إذا ما رَنا
أثخنَ قلبي وفؤادي جِراحُ
يفترُّ عن طلعٍ وعن جِوهرٍ
وفِضَّةٍ أو حَبٍِّ أو أقاح⁽³⁶⁾

حرف الدال

وقال في راءات الصيف:

عِندي فديتك راءاتُ ثمانيةُ
ألقي بها الحرُّ إن وافى وإن بردا
رق وروح وريحانٌ وريقٌ رشاً
ورفرف ورياضٌ ناعمٌ وِرِدا⁽³⁷⁾

وقال يتشوق إلى الروضة المقدسة الطاهرة، ويسلم على محمد سيد
ولد آدم في الدنيا وسيد الناس في الآخرة:

سلامٌ ولا أقرّاً سلاماً على هِنْدِ
صرفتُ إذاً مسرايَ عن مسلك الرشدِ

(35) شرح مقامات الحريري للشريشي 3: 65 نشر خفاجي. والتين القوطي من أنواع التين
بالأندلس. انظر النفع 1: 200.

(36) المصدر نفسه 1: 62 وهو يعارض قول البحرّي.

(37) المصدر نفسه 3: 42.

على قمرٍ لو أطلعتُهُ يدُ الثرى
 لقصّر عن لألائه قمرُ السعدِ
 وأرَبى على نورِ الغزاة نورهُ
 كما يفضل الحُرُّ الكريمُ على العبدِ
 فطابَ به ترَبُ الضريحِ بطيبهِ
 فيعبقُ عن مسكٍ نديٍّ وعن نَدِّ
 ويضحكُ عن روضٍ تُداني يد الصِّبا
 به صفحة السَّوسانِ مِنْ صفحةِ الوردِ
 فطوبى لمن أضحى يمرِّغ لوعَةً
 بتربة ذاك القبرِ خدًّا إلى خدِّ
 نبي عليه من تألؤ نورهِ
 تألؤ برقي أسرجتُهُ يد الرِّعدِ
 نما من قريشٍ في ذؤابة هاشمٍ
 فما شئت من فضلٍ عميمٍ ومن مجد
 سلامٍ عليه ما تغنت حمامةُ
 وفاح ذكي المسكِ من جنة الخلدِ
 وما أنشدَ المشتاقُ إن هبَّت الصِّبا:

«ألا يا صبا نجدٍ متى هجيتِ من نجدٍ»⁽³⁸⁾

وقال يصف البهار وهو الذي يسميه أهل المشرق نرجساً:

وبهارٍ يحكى كؤوس لُجينِ
 حملتها أناملٌ من زبرجدِ

(38) المطرب: 97.

سامرتها الكواكبُ الزُّهُرُ حَتَّى
سَمَرَتْ وَسَطَهَا كَوَاكِبُ عَسَجَدُ⁽³⁹⁾

حرف الراء

وقال يصف حاله في الكبر:

قَوَسَ ظَهْرِي الْمَشِيبُ وَالْكَبَرُ
وَالدَّهْرُ يَا عَمْرُو كُلُّهُ عَبْرُ
كَأَنِّي وَالْعَصَا تَدِبُّ مَعِي
قَوْسٌ لَهَا وَهِيَ فِي يَدِي وَتَرُّ⁽⁴⁰⁾

وقال يصف نار الكانون:

فَحْمٌ ذَكَتُ فِي حِشَاهِ نَارُ
فَقَلْتُ مَسْكٌ وَجُلْنَارُ
أَوْ خَدُّ مَنْ قَدْ هَوَيْتُ لَمَّا
أَطَلَّ مِنْ فَوْقِهِ الْعِذَارُ⁽⁴¹⁾

وقال في وصف ثغر وخصر:

جَلُوتِ لَنَا شَيْئاً مِنَ الدَّرِّ عَاطِلاً
بِعَيْشِكَ لِمَ جَنَّبْتَهُ الْجَيْدَ وَالنَّحْرَا
فَقَالَتْ وَلَمْ تَكْذِبْ خَشِيتِ سَقُوطَهُ
وَأُومِتْ إِلَى فِيهَا فَنظَّمَهُ ثَغْرَا

(39) شرح المقامات للشريشي 1: 54.

(40) المصدر نفسه 1: 96.

(41) المصدر نفسه 4: 155.

كذلك إنَّ عَضَّ السَّوَارِ بِمِعْصَمِي
وحاولَ أن يُذْمِيه حَمَلْتَهُ الخَصْرَا(42)

وقال يصف الهلال وأخذه من ابن المعتز:

انظُرْ إِلَى الْهَلَالِ إِذْ
لَاخَ بِهِي الْمَنْظَرِ
كزورقٍ من فضةٍ
وسط لجينٍ أخضرٍ(43)

وقال يصف متزهاً بشريش يسمي إجانة:

أيا حبذا إجانةٌ كيفما اغتدتُ
زمان ربيع أو زمان عصيرٍ
مذائبُ ماء كاللجين على حصيٍّ
كدرٌ بلا ثقبٍ أغرٌ نثيرٍ
ورملٍ إذا ما ابتلَّ بالماء عطفه
غنيناً به عن عنبرٍ وذرورٍ
وتينٍ كما قامت على حلّماتها
نهودٌ عذارى الزنج فوق صدور
كأن قباتٍ ألخزٌ فيها عرائسُ
على سُررٍ مفروشةٍ بحريرٍ(44)

وقال من قصيدة حجازية:

(42) المصدر نفسه 1: 195

(43) المصدر نفسه 1: 94.

(44) المصدر نفسه 3: 65 وانظر ما قيل في الإجانة: المغرب لابن سعيد (شرش).

متى أقولُ وقد كلتُ ركائبنا
من السرى وارتكاب البيد في البكرِ
يا نائمين على الأكوارِ ويحكُمُ
شدوا المطي بذكر اللّهِ في السحرِ
أما سمعتم بحاديننا وقد سجّعتُ
ورق الحمائم فوق الأيكِ والسمرِ
هذي البشارة يا حجاجُ قد وجبتُ
غداً تحطونَ بين الركنِ والحجرِ⁽⁴⁵⁾

وقال يصف حاله في الكبر:

لما تقوس مني الجسمُ عن كبرِ
وابيض ما كان مُسوداً من الشعرِ
جعلتُ أمشي كأنّي نصفُ دائرةٍ
تمشي على الأرض أوقوسُ بلا وترِ⁽⁴⁶⁾

حرف الزاي

وقال مُلغزاً:

معانقةُ العجوز أشدُّ عندي
وأقتلُ من معانقة العجوزِ
وما ريق العجوز أمرُّ عندي
ولا بالذُّ من بولِ العجوزِ⁽⁴⁷⁾

(45) المطرب: 99.

(46) تحفة القادم.

(47) المطرب: 99.

العجوز الأولى: المرأة المسنة، والثانية السيف، والثالثة الخمر والرابعة البقرة، وبولها: لبنها.

حرف السين

وقال في وصف الخمر:

ومُدَامَةٍ لِبَسْتِ غِلَالَةٍ نَرْجِسٍ
وتَنَفَّسْتِ فِي الكَاسِ أَيَّ تَنَفُّسٍ
بَاكِرْتَهَا وَالوَرْدُ يوقِظُهُ النَّدَى
وَتَبَلُّ خَدَّيْهِ عَيونَ النَّرْجِسِ
وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ من وِراءِ غَمَامَةٍ
لَبِستِ من الكَافورِ أَحسنَ ملبَسِ
نَبَّهتُهَا بِيَدِ المِزاجِ فَأَصْبَحَتْ
تَرنو إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ لَم تَنعَسِ
وَتَوَرَّدَتْ حَتَّى تَوَقَّدَ كَأْسُهَا
فَحَسبْتُهَا فِي الكَفِّ جَذوةً مَقْبَسِ (48)

حرف الطاء

نُسب إليه في المنتقى المقصور هذان البيتان:

تَكَامَلتِ فِيكَ أوصافُ خُصِصتَ بِهَا
فَكُنَّا بِكَ مَسرورٌ وَمَغتَبِطٌ
فَالسَّنُّ ضاحِكَةٌ وَالكَفُّ مانِحَةٌ
وَالصدْرُ مَتسَعٌ وَالوَجْهُ مَنبِسَطٌ (49)

(48) الشريشي 2: 95.

(49) نسبهما له ابن القاضي في المنتقى المقصور وذكر ابن خلكان أنه وجدتهما منسويين إلى أبي الشيص وكان ابن تومرك ينشدهما إذا أبصر عد المون، وفيات 3: 238.

حرف القاف

وقال في محبرة عناب محلاة بالفضة:

منعلةً بالهلال مُلجمةً
مجدولةً من الشَّفَقِ
كأنما حبرها تميّع في
فُرْضَتِهَا سائلٌ من الغَسَقِ
فأنتَ مهما تُردُّ تُشَبِّهُهَا
في كلِّ حالٍ فانظُرْ إلى الأفقِ⁽⁵⁰⁾

وقال في الجَلَمَيْنِ:

ومُعْتَنِقَيْنِ ما أتُهما بعِشْقِ
وإنَّ وُصِنفا بضمٍّ واعْتِناقِ
لَعَمْرُ أَيْبِكَ ما اجْتَمَعَا لِمَعْنَى
سِوَى مَعْنَى الْقَطِيعَةِ وَالْفِرَاقِ⁽⁵¹⁾

وقال معارضاً أبيات الحريري في المقامة الثانية:

ودَعَتْهَا وَمَدَامَعِي
تنهلُّ بالدَّمْعِ الطَّلِيْقِ
فَبَكَتْ فَأَذْرَتْ أَدْمُعاً
في صفحَةِ الخَدِّ الأَنْيَقِ
ومَضَّتْ تَعَضُّ بِنانِهَا
بين التلْهُفِ والشَّهِيْقِ

(50) المطرب: 98 ونفح الطيب.

(51) المطرب: 98.

فَرَأَيْتُ دُرّاً سَاقِطاً
مِن نَرْجَسَيْنِ عَلَى شَقِيئِ
وَرَأَيْتُ مَبِيضَ اللَّجِيءِ
مِن يَعْضٍ مَحْمَرِّ الْعَقِيئِ⁽⁵²⁾

حرف اللام

وقال في محبرة أبنوس:

وَحَدِيمَةٌ لِلْعَلْمِ فِي أَحْشَائِهَا
كَأَنَّ بِجَمْعِ حَرَامِهِ وَحَلَالِهِ
لَبِست رِداءَ اللَّيْلِ ثُمَّ تَوَشَّحتْ
بِنَجْوَمِهِ وَتَوَجَّتْ بِهَلَالِهِ⁽⁵³⁾

حرف الميم

قال ملغزاً:

سَبِيئَتَانِ اثْنَتَانِ هَذِي
حَلٌّ مَبَاحٌ وَذِي حَرَامٍ
قُلْ لِدَوِي الْعَلْمِ خَبَّرُونِي
مَا الْحَلُّ مِنْهَا وَمَا الْحَرَامُ⁽⁵⁴⁾

وقال في الغزل:

(52) الشريشي 1: 61.

(53) المطرب: 98.

(54) المصدر نفسه.

ما كنتُ أحسبُ قبلَ رؤيتِهِ
أنَ البدورَ تدورُ في الأغصانِ
غازلتهُ حتّى بدا لي ثغرهُ
فحسبتهُ ذرّاً على مرّجانِ
كم ليلةٍ عانقتهُ فكأنما
عانقتُ من عطفيه غُصنَ البانِ
يَطغى ويلعبُ عند عقْدِ سواعدي
كالمُهرِ يلعبُ عندَ ثني عِنانِ(55)

حرف الياء

وقال:

بنفسي هاتيكَ الزوارقُ أُجريتُ
كحلبة خيلٍ أولاً ثمّ ثانيا
وقد كانَ جيدُ النهرِ من قبل عاطلاً
فأمسى بها في ظلمة الليلِ حالياً
عليها لزهر الشمعِ زهر كواكبِ
تخالُ بها ضمن الغديرِ عوالياً
ورُبّ مُثارٍ بالجنّاحِ وآخرِ
برجلٍ يحاكي أرنباً خاف بازياً(56)

5- روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبیب: من حسن

(55) الشريشي 3: 137.

(56) رايات المبرزين: 53 تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاصي.

الحظ وعجيب الصدفة أن تصلنا هذه الرسالة التي لو لم يسمّها ابن عبد الملك لما عرفناها ولا اهتدينا إليها. وقد وجدناها ضمن مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ورقم المجموع 3172 ك، وهو يشتمل على أوراق من الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي العددي وورقات من رائق التحلية وفاقق التورية، وورقات في سرقات البحري من أبي تمام مقتبسة من الموازنة للآمدي، وورقات من قراضة الذهب لابن رشيق، ورسالة ابن لبال تنقصها الورقة الأولى المشتملة على جزء من الديباجة كما تنقصها ورقة أخرى من صلبها وقد اختلطت أوراقها وتداخلت مع أوراق الروض المريع وقراضة الذهب ورائق التحلية، وهذا يبدو من أرقام الصفحات التي أثبتناها كما هي الآن في المجموع المذكور. وتواريخ النسخ في هذا المجموع تعود إلى سنة ثلاث بعد الألف الهجرية وقد كتب بالحروف تارة وبالأرقام تارة أخرى، ولا ذكر لاسم الناسخ، ويبدو من أخطاء النسخ المتعددة أنه ليس من أهل العلم والضبط، وقد جاء في آخر الرسالة ما يلي:

تم التأليف والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله
أجمعين، ضحوة يوم الأربعاء غرة ربيع الثاني سنة 1003.

نخرج من قراءتنا للرسالة بالملحوظات الآتية:

أ- أنها في الأصل إملاء من ابن لبال على أحد تلاميذه ولهذا نجد اسمه يذكر دائماً مصحوباً بتحليلته والدعاء له كهذه العبارة: «قال الفقيه المشاور الأستاذ أبو الحسن ابن لبال أدام الله رفعتة» وقد تكرر مثل هذا في أول كل فصل من فصول الرسالة.

ب- يتميز أسلوب الرسالة بالتزام السجع والتقيد به من أول الرسالة إلى آخرها، ومن شأن هذا الأسلوب المسجوع أن يحدّ من امتداد النفس، ويؤثر على استرسال القول، ويخرج بالنقد من مجال التفصيل والتحليل إلى

مجال الإجمال والتعميم، وهذا هو الأسلوب الغالب في الرسائل والمقامات النقدية الأندلسية والمغربية كرسائل الانتقاد لابن شرف ومقامات السرقسطي وغيرهما.

ج- جل هذه الرسالة آراء وأقوال لشيخ ابن لبّال وشيوخ شيوخه أو نقول من بعض كتب النقد وأمّهات الأدب، فأما الشيخ فهم علي بن مسلم الإشبيلي وأبو بكر بن فندلة والأعلم الشتمري وأبو الفضل ابن الأعلم وأبو مروان ابن سراج.

وأما كتب الأدب والنقد التي نقل منها فهي العمدة لابن رشيق والأماشي لأبي علي القالي والذخيرة لابن بسّام ومقامات السرقسطي والموضحة للحاتمي والكامل للمبرد وغيرها.

وله تعقيبات على هذه الأقوال والنقول تفتتح دائماً بمثل هذه العبارة: «قال الفقيه الأستاذ المشاور أبو الحسن ابن لبّال أدام الله عزه» وهي تعقيبات يؤيد بها مذهبه في المفاضلة بين الشاعرين.

د- الرسالة ليست موازنة منصفة بين أبي تمام والمنتبي أو مفاضلة عامة بينهما، وإنما هي من أولها إلى آخرها تفضيل صريح للمنتبي على الطائي، ولذلك اقتصر ابن لبّال على الآراء والأقوال التي تشهد لكلامه وتخدم وجهه نظره، ويبدو أن لرسالة ابن لبّال علاقة ما برسالة عنوانها: «نزهة الأديب، في سرقات المنتبي من حبيب» وقد ذكرها البديعي في الصبح المنبي، ونسبها إلى من سماه بابن حسنون المصري⁽⁵⁷⁾، ويفترض بلاشير أنه من أهل القرن الخامس⁽⁵⁸⁾ وظن د. عبدالله الجبوري أنه هو عبدالله بن الحسين بن حسنون البغدادي نزيل مصر⁽⁵⁹⁾، ولم يتبّه إلى أن هذا توفي

(57) الصبح المنبي 1: 426 (بهامش شرح العكبري).

(58) انظر: ديوان المنتبي في العالم العربي وعند المستشرقين. ترجمة أحمد بدوي ص 32.
(59) له ترجمة في تاريخ بغداد 9: 442- 443 وغاية النهاية 1: 415. وانظر كتاب المنتبي في آثار الدارسين.

سنة ست أو سبع وثلاثمائة أي قبل أن يظهر المتنبي، ويبدو لي أن في الاسم تحريفاً وأن كلمة المصري محرفة عن الحميري وأن الأمر ربّما يتعلق بابن حسنون الحميري⁽⁶⁰⁾ معاصر ابن لبال، ولكن هذا مجرد افتراض لأن التأليف المذكور وهو مفقود لم يشر إليه في مكان آخر.

ومهما يكن الأمر فإن ابن لبال في تفضيله أبا الطيب على أبي تمام مسبق في الأندلس بأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي مؤلف كتاب «الانتصار لأبي الطيب» وهو كتاب ضائع يدل اسمه والنقول القليلة على إعجاب صاحبه بالمتنبي وتعرضه لبعض معائب أبي تمام⁽⁶¹⁾، ويبدو من رسالة ابن لبال أنه لم يقف على هذا الكتاب فلو اطلع عليه لاحتج بكلامه أو أشار إليه، والظاهر من رسالة ابن لبال وغيرها أن تفضيل المتنبي على أبي تمام هو الاتجاه الغالب عند الأندلسيين.

هـ - وهو يفضل المتنبي على أبي تمام بما يلي :

- أنه أطبع من أبي تمام في رأي النقاد وهو بذلك أشعر «لأن ما كان من الشعر طبعاً لا تكلفاً جاء أحسن وما كان منه تكلفاً جاء أصعب وأخشن»⁽⁶²⁾. وألفاظ هذا الكلام تشي بوقوف ابن لبال على ما ذكره الجرجاني في موضوع المطبوع والمصنوع أو المتكلف من الشعر والتكلف الذي يعاب به شعر أبي تمام وإن لم يشر إلى ذلك.

- لما في شعره من «الغزل المطرب، والتشبيب المونق المعجب، حتى ليذهب بالورع، وربما أوقع من ليست له حصانة فيما يعلق به من

(60) ترجمة أبي بكر ابن حسنون الحميري في الذيل والتكملة 6: 452. والتكملة: 574 وغاية النهاية 2: 421. وفي ترجمته أنه لازم ابن القفال في العربية والأدب ولكن لم يذكر له فيها تأليف، ويستفاد من ترجمته أنه اشترك مع ابن لبال في بعض شيوخه.

(61) انظر أحكام صنعة الكلام.

(62) انظر النص.

الدَّرَنَ والطَّبَع»⁽⁶³⁾ ولهذا كان الأعلام الششمري ينهى طلبته عن قراءة شعر أبي الطيب في شهر رمضان .

- «ولما فيه من الاستغراق في المدح والمبالغة والغوص على المعاني الرائقة والأغراض البديعة الفائقة»⁽⁶⁴⁾ وبسط ما ذكره فيقول: «وكلما جاوز الشاعِر في المدح وغلا، وتربّع منصة المبالغة وعلا، وأرقّ الغزل، وأضاع نفسه بين العذر والعَدْل، وتجاوز الصدق إلى الكذب، والجدّ إلى اللعِب، كان أشعر، وأسمع بدواعي ما ينتحله وأبصر؛ ألا ترى أن الشعر لو كان كذبه صدقاً وباطله حقاً، وكان الوصف فيه على الظاهر لا على التأويل لسخف»⁽⁶⁵⁾. وواضح أن ابن لبّال يؤيد هنا أصحاب الرأي القائل: «أعذب الشعر أكذبه». ويذهب مع المعجبين بالمبالغة والغلو، ومن المعروف بأن أبا الطيب هو «أكثر الناس غلواً، وأبعدهم فيه همّة، حتى لو قدر ما أخلى منه بيتاً واحداً وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غني وله في غيره مندوحة»⁽⁶⁶⁾.

- أن الشعراء يفضلون أبا الطيب على أبي تمام وهم أعرف بصناعتهم، «فمِن أعلم الناس بالشعر الشعراء لأنه من صناعتهم، ألا ترى أنّ من عامل خيَاطاً فأفسد عليه ثوبه أو أبي هو من إنصافه إن كان لم يساومه فاختلفا في ذلك أو تشاجرا وارتفعا إلى حاكمٍ من الحكام إنما يوجّه حكمهما في القيمة إلى أهل تلك الصنعة وكذلك العطار والنجار والخراز وغير ذلك»⁽⁶⁷⁾.

ونلمح في هذا الكلام مسحة الفقيه الأندلسي القاضي ابن لبّال، وقد

(63) انظر النص .

(64) انظر النص .

(65) انظر النص .

(66) الممددة 2: 63.

(67) انظر النص .

جلب في هذا الموضوع أحكام بعض الشعراء وأقوالهم في غيرهم وتطرق إلى اللفظ والمعنى والطبع والصنعة بين أبي تمام والمنتبي ورد على الحاتمي في تحامله على أبي الطيب.

- شعر المنتبي أقرب إلى الوضوح في معناه والسهولة في لفظه من شعر أبي تمام، ولهذا كان الأديب اللغوي ابن سراج القرطبي لا يقرئ في المجلس الواحد من شعر أبي تمام إلا ثلاثة أبيات، بينما كان يقرئ من شعر المنتبي خمسة أبيات.

وإذا كان ابن لبّال سار على هذا النحو في رسالته بتفضيله المنتبي على أبي تمام فإنه لم يشأ أن يختم رسالته دون أن يضع أبا تمام في المرتبة التي يراها فقال: «ومع هذا فلا أخلي أبا تمام من فضيلة، ولا أعريه عن خصلة جميلة، بل أعتقد أنه شاعر إحسان، وفارس هذا الشأن، وهو مع أبي الطيب كفرسي رهان، في عدة أبيات، وكثير من المقطعات»⁽⁶⁸⁾.

وبعد فإن هذه الرسالة لا تأتي بجديد في ميدان النقد الأدبي، وهي ترجع في معظمها إلى التراث النقدي الذي كان متداولاً في القرن السادس الهجري بالأندلس، وتكمن قيمتها عندنا في كونها تمثل حلقة من حلقات الصراع النقدي حول أبي تمام والمنتبي، وقد كانت هذه القضية تشغل الخاصة والعامة في الأندلس كما يبدو من حكاية أدباء بطليوس الذين اختلفوا في الموضوع واستقر رأيهم على أن يسألوا رجلاً جاهلاً عن أي الشاعرين أفضل «فأيهما أجرى الفال على لسانه، أجمعنا على إحسانه واستحسانه، فخرجوا متناحين خارج المدينة وإذا بحراث يحرث...» فسألوه أي الرجلين أشعر المنتبي أم حبيب، فقال أشعرهما الذي يقول:

(68) انظر النص.

لك يا منازل في القلوب منازل
أقفرت أنت وهنّ منك أوأصبل⁽⁷⁹⁾

هكذا كانت هذه القضية الأدبية تشغل بال الناس يومئذ على نحو ما
ينشغل بعض الناس في زمننا بالمفاضلة بين فريقين في كرة القدم!
ولهذه الرسالة قيمة أخرى تتجلى في اطلاعنا على شيء من تقاليد
الدرس الأدبي في الأندلس كأوقاته وحدوده وما يتعلق بذلك مما سبقت
الإشارة إليه.

(69) انظر النص .

الفصل الرابع

رَوْضَةُ الْأَدِيبِ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْمُتَنَبِّيِّ وَحَبِيبِ

... فصنفت في التفضيل بينهما هذا الدفتر الذي رسمت فيه ما
قيدت عن شيوخه وقلدت⁽¹⁾، وأثبتته من حفطي في صُحفي وخذلت، مع
ما تكلم فيه العلماء، وأثبتته في تواريخهم المتأخرون والقدماء.

فأول ما أذكره ما قال الأستاذ النحوي أبو الحسن علي بن مسلم⁽²⁾
عندما سألناه وقت قراءتنا عليه شعر حبيب وأبي الطيب، قلنا له: يا أستاذ،
بالذي يُبقيك للعلم ترفع شرائعه، وتملك عصيه وطائعه، أيهما أطيّب
شِعراً، وأنفس دُرّاً، فقال: حبيب أصنع، وأبو الطيب أطبع. وهذا لعَمري
فرق بين دال على أن المتنبّي أشعر، لأن ما كان من الشعر طبعاً لا تكلفاً
جاء أحسن، وما كان منه تكلفاً جاء أصعب وأخشن، ولأن غير المطبوع إذا
تكلف ضد طباعه في شيء عليه تعدّر، وأبى وتنكر، [فاضطّر] إلى
التصنع، ونفر عن الطبع إلى التطبع، ولله دُر أبي الطيب حيث يقول:

وأسرع مفعولٍ فعلتَ غيراً
تكلفُ شيءٍ في طباعك ضده⁽³⁾

(1) وقلدت: جمعت، يقال: قلدت أقلد قلداً أي جمعت ماء إلى ماء.

(2) هو أبو الحسن علي بن محمد بن مسلم مولى المعتمد بن عباد، كان من جلة النحويين،
وشهر بجملة التأديب وإنجاب التلاميذ، وكان حياً سنة 539 هـ له ترجمة في التكملة رقم
1848 والذيل والتكملة 5: 392 (وص 180) وينبغي أن تكون قراءة ابن لبال على هذا الشيخ
في إشبيلية خلال العقد الرابع من القرن السادس.

(3) الديوان 2: 142 وضع البرقوقي.

وكذلك قوله:

لأنَّ جِلْمَكَ شَيْءٌ لَا تَكْلِفُهُ
لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ (4)

وما أحسن قولَ سالمِ بنِ وابصة: (11).

يا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شِيمَتِهِ
إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ (5)

وأنشدوا لأم الهيثم:

وَمَنْ يَتَّخِذُ خَيْمًا سِوَى خَيْمِ نَفْسِهِ
يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خَيْمُهَا (6)

وقال ذو الإصبع:

(4) المصدر نفسه.

وللمتنبي أيضاً في هذا المعنى:

بِرَأْدِ مَنْ الْقَلْبَ نَسِيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاوِلِ
وله كذلك فيه:

ومكأف الأيام ضدَّ طباعها

(5) نسبه أبو تمام في الحماسة لسالم بن وابصة الأسدي ولكن صدر البيت في الحماسة كما يلي:

عَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ

ونسبه الحصري في زهر الآداب إلى العرجي ورواه هكذا:

ارْجِعْ إِلَى خَلْقِكَ الْمَعْرُوفِ وَارْضَ بِهِ إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ
وسالم بن وابصة تابعي دمشقي شاعر توفي في آخر خلافة هشام بن عبد الملك. انظر الأعلام للزركلي 3: 116 ط. أولى.

(6) في لسان العرب: أبو عبيد: الخيم: الشيمة والطبيعة والخلق والسجية وأنشد:

وَمَنْ يَتَّخِذُ مَا لَيْسَ مِنْ خَيْمِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خَيْمُهَا
وورد البيت غير مسوَّب أيضاً في عيون الأخبار 3: 5: والعقد 3: 3.

وسمعه المبرد من أم الهيثم الكلابية، وعن الكامل ينقل المؤلف وقال المرصفي في رغبة الأمل 1: 90: نسبه بعض الناس لسليمان بن الماحر.

كُلُّ امْرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِمْتِهِ
وإن تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ (7)

وقال قدامة :

رَأْسُ الْخَطَابَةِ الطَّبَعُ، وَعَمُودُهَا الدَّرْبَةُ، وَجَنَاحُهَا اللَّفْظُ. وَرُؤُوسُ الْأَشْيَاءِ أَنْفُسُهَا وَأَعْلَاهَا، وَأَحْقُّهَا بِالْفَضْلِ وَأَوْلَاهَا. وَقَالَ ابْنُ رَشِيقٍ فِي كِتَابِ الْعَمْدَةِ (8).

ومن الشُّعْرِ مَطْبُوعٌ وَمَصْنُوعٌ، فالْمَطْبُوعُ الَّذِي وُضِعَ أَوْلَى وَعَلَيْهِ الْمَدَارُ، وَالْعَرَبُ لَا تَنْظُرُ فِي أَعْطَافِ شِعْرِهَا بَأَنَّ تَجَنَّسَ أَوْ تُطَابِقَ أَوْ تُمَاطِلَ بَلْ تَنْظُرُ فِي فَصَاحَةِ الْكَلَامِ وَجَزَالَتِهِ مَعَ بَسْطِ الْمَعْنَى وَإِبْرَازِهِ. وَإِنَّمَا اسْتَطْرَفُوا مَا جَاءَ مِنَ الصَّنْعَةِ فِي الْبَيْتِ وَالْبَيْتَيْنِ فِي الْقَصِيدِ النَّادِرِ بَيْنَ الْقَصَائِدِ، وَأَمَّا إِذَا كَثُرَ فَهُوَ عَيْبٌ يَشْهَدُ بِخِلَافِ الطَّبَعِ وَإِثَارِ الْكُلْفَةِ.

قال الفقيه المشاور الأستاذ أبو الحسن بن لُبَّالِ أَدَامَ اللَّهُ رَفَعَتَهُ: وسألنا الوزيرَ أبا بكرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ فَنْدَلَةَ (9) كَاتِبَ الرَّشِيدِ (10) وَقَتَّ قِرَاءَتَنَا عَلَيْهِ عَامَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ [وَخَمْسِمِائَةٍ] فَقَالَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا كَتَبَ لِلرَّشِيدِ، وَرَكَضَ مَعَ أَعْيَانِ الْكِتَابِ فِي سَاحَةِ الْقَصْرِ الْمَشِيدِ: يَا بَنِيَّ، مَنِ

(7) ذُو الْإِصْبَعِ الْعَدَوَانِيُّ حَرِثَانُ بْنُ الْحَارِثِ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مَشْهُورٌ، وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ مَشْهُورَةٌ يِعَاتَبُ فِيهَا ابْنَ عَمِّهِ. انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام 2: 184 وقد جمع شعره في ديوان نشر بالعراق.

(8) انظر النص في العمدة 1: 129 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وقد أورده ابن لبال بتصرف واختصار، وهذا إما لأنه ينقل عن بعض مختصرات العمدة أو لأنه يعتمد على محفوظه وذاكrote وهذا ملاحظ في عدد من نقوله.

(9) أَبُو بَكْرٍ ابْنُ فَنْدَلَةَ هَذَا مِنْ بَيْتِ إِشْبِيلِيٍّ مَشْهُورٍ، كَانَ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ الْأَعْلَمِ الشُّنْتَمَرِيِّ، وَكَانَ أَدِيبًا لُغَوِيًّا نَحْوِيًّا مُحَدِّثًا شَاعِرًا فَصِيحًا. ولد سنة 444 هـ وتوفي سنة 533 هـ. انظر ترجمته في صلة ابن بشكوال: 552 - 553 وبنية الوعاة رقم 271.

(10) الرَّشِيدُ هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمُعْتَمِدِ، كَانَ وَلِيَّ عَهْدِ أَبِيهِ، تَوَفِّيَ فِي حُدُودِ 530 هـ بِقَلْعَةِ مَهْدِيِّ بْنِ تَوَالَا حَيْثُ كَانَ مُنْفِيًّا وَقَدْ نَيْفَ عَلَى 70 سَنَةً انظر ترجمته في الحلة السيرة 2: 68 - 70.

الفرق بينهما أنّ شيخنا أبا الحجاج يوسف الأعلم الششمري⁽¹¹⁾ كان إذا دخل شهر (12) رمضان يُقرئنا شعر حبيب، وينهانا عن شعر أبي الطيب، وهذا إفراط في تفضيل أبي الطيب على حبيب، ونهاية وبلاغ في تقديمه عليه، [و] منعه إياهم من قراءته في رمضان لما فيه من الاستغراق في المدح والمبالغة والغوص على المعاني الرائقة والأغراض البديعة الفائقة، والغزل المطرب، والتشبيب الموقن المعجب، حتى ليذهب بالورع، وربما أوقع من ليست له حصانة فيما يعلق به من الدرر والطبع، وكلما جاوز الشاعر في المدح وغلا، وترجع منصفة المبالغة وعلا، وأرق الغزل، وأضاع نفسه بين العذر والعذل، وتجاوز الصدق إلى الكذب، وأجد إلى اللب كان أشعر، وأسمع بدواعي ما ينتجله وأبصر. ألا ترى أنّ الشعر لو كان كذبه صدقا، وباطله حقا، وكان الوصف فيه على الظاهر لا على التأويل لسخف؛ كما قيل إنّ بعض الأمراء قال لشاعر - أظنه ابن هانئ - اصنع لي شعرا ولا تكذب فيه، فقال:

الليل ليل والنهار نهار
والبغل بغل والجمار جمار
والديك ديك والدجاجة مثله
وكلاهما طير له منقار⁽¹²⁾

فلم يطب - لما خرج عن الشعر - في الأسماع، ومجته النفوس والطباع، فلما قال:

ألف السقم جسمه والأنين
وبراه الهوى فما يستبين

(11) هو شيخ الأندلس في وقته في الدراسات الأدبية والنحوية واللغوية وأكثر الأندلسيين شرحاً للأشعار الجاهلية والإسلامية. انظر ترجمته ومراجعتها في وفيات الأعيان 7: 81 تحقيق د. إحسان عباس.

(12) انظر على سبيل المثال في هذا: التقريب لابن حزم: 206 - 207.

لا تَرَاهُ الظُّنُونُ إِلَّا ظُنُوناً
فَهُوَ أَخْفَى مِنْ أَنْ تَرَاهُ الظُّنُونُ (13)

قد سمعنا أنينه من قريب
فاطلبوا الشيخ حيث كان أنين
لم يعش أنه جليد ولكن
ذاب سقماً فلم تجده المنون (13)
حسن ذلك في المسامع، وذهب طربه بكل سامع.

ولما في الشعر من الكذب لم يعطه النبي ﷺ، وحاش لله أن يكون
كاذباً، هذا في أحد الأقوال، وقد قيل إنما منعه صلى الله عليه وسلم لأنه
لو كان شاعراً ما صدق فيما أتى به؛ ألا ترى أنه قد قيل: «شاعر تتربص به
رب المنون»؛ وكان صلى الله عليه وسلم لا يقيم وزناً ولا يستطيع من
الشعر قافية.

قال الفقيه الأستاذ المشاور أبو الحسن علي بن لبال أدام الله عزه:
وسألت الوزير الفقيه الكاتب القاضي أبا الفضل ابن الأعلم (14) بشريش

(14) هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن يوسف الشنتمري، حفيد الأعلم المشهور ولد بإشبيلية سنة 478 هـ وروى عن أبيه عن جده أبي الحجاج الأعلم جميع رواياته وتأليفه، وهو من أعلام الدولتين اللتونية والمومنية وقد ولي القضاء ببلدة وشتمرية الغرب، وبها استشهد سنة 546 هـ أو التي بعدها، ولم يذكر المؤلف تاريخ اجتماعه به في شريش واكتفى بالإشارة إلى أنه كان عند عودته من حضرة أمير المؤمنين، أما أمير المؤمنين هذا فهو عبد المؤمن بن علي، وقد قدم عليه أبو الفضل مع وفد أهل الأندلس لمبايعته، وكان هذا الوفد يتألف من نحو الخمسمائة «من الخطباء والفقهاء والقضاة والأشياخ والقواد» وكان في هذا الوفد المؤرخ ابن صاحب الصلاة الذي وصف خروجه من إشبيلية في 15 ذي الحجة سنة 545 هـ وأشار إلى مرور الوفد بشريش وجزيرة طريف والقصر الكبير ثم سلا حيث استقبلهم عبد المؤمن في رحمة دار ابن عشرة في أول يوم من عام 546 هـ وحكى ابن الملجوم أنه لقي أبا الفضل الأعلم بمراكش في سنة 645 هـ. انظر هذه الوفادة في الأيس =

شذونة حرسها الله في دار الفقيه المشاور القاضي أبي غالب أيمن بن الأيمن عند وروده من حضرة سيدنا أمير المؤمنين عن القرق بين أبي الطيب وحبيب - وقد كنت قرأت عليه بإشبيلية مدة يسيرة حين طلبي فيها، واقتبسي للعلم في أقطارها ونواحيها، فكان لي عليه بذلك إذلال، وله إلي هس من ذلك السبب وإقبال، فقال لي: الكتاب يفضلون حبيب والشعراء يفضلون أبا الطيب، وهذا لعمري من تفضيل أبي الطيب على أبي تمام، لأن كل أحد أعلم ببضاعته⁽¹⁵⁾ وليس للكتاب نهاية في علم الشعر لأنه ليس من صناعاتهم وإن كان لهم به بعض المعرفة لأنهم بالكتابة أبصر، وباعهم في علم (14) الشعر أضيق وأقصر.

ومما يزيد هذا وضوحاً قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب إلى سعد بن أبي وقاص: شاووز في أمرك عمرو بن معدى كرب وطلحة بن خويلد، فإن كل قوم أعلم ببضاعتهم وصناعاتهم⁽¹⁶⁾؛ ومن أمثال العرب: الخيل أعلم بفرسانها⁽¹⁷⁾؛ فمن أعلم الناس بالشعر الشعراء لأنه من صناعاتهم؛ ألا ترى أن من عامل خياطاً فأفسد عليه [ثوبه] أو أبى هو من إنصافه إن كان لم يساومه فاختلفا في ذلك أو تشاجرا وارتفعا إلى حاكم.

= المطرب: 192 والبيان المغرب (قطعة منشورة بمجلة المعهد المصري بمدريد جـ 20 ص 94) والعبر لابن خلدون 6: 489 والاستقصا 2: 119.

وترجمة أبي الفضل حفيد الأعلام فتوجد في التكملة: 241 - 242 وبغية الملتمس: 239 والمغرب 1: 396 - 397 ونفح الطيب 4: 31، 73 - 74، 86. تحقيق د. إ. عباس. والمطمح. 64 ورايات المبرزين: 34 والمطرب لابن دحية: 218. وخريدة القصر (قسم المغرب والأندلس) 3: 469 - 472 ط. تونس. ومعجم السفر: 117 - 119 تحقيق د. إحسان عباس. أما الفقيه المشاور القاضي أبو غالب أيمن بن أيمن فلم نقف على ترجمته، وقد يكون من أسرة بني أيمن الدين منهم وزير بني الأفطس أبو عبدالله محمد بن أيمن وولده أبو الحسن محمد بن أيمن. انظر الدخيرة والمغرب 1: 366 (ط. الثالثة).

(15) هكذا في الأصل، وسيكرها فيما بعد.

(16) انظر في أنه يرجع في كل صناعة إلى أهلها الموازنة 1: 395 - 396.

(17) انظر المثل وتخريجه في كتاب الأمثال لأبي عبيد: 204 تحقيق د. عبد المجيد قطامش.

من الحُكَّامِ إِنَّمَا يُوجِّهُهُ حُكْمُهُمَا فِي الْقِيَمَةِ إِلَى أَهْلِ تِلْكَ الصَّنِيعَةِ وَكَذَلِكَ
 الْعَطَّارِ وَالنَّجَّارِ وَالْخَرَّازِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ وَرَوَى أَبُو عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيُّ (18) أَنَّ بَعْضَ
 خُلَفَاءِ بَنِي أُمِيَّةٍ قَالَ لَجَرِيرٍ لَمَّا كَانَ شَاعِرًا: أَخْبِرْنِي مَنْ أَشَعَّرَ النَّاسَ فَقَالَ:
 ابْنُ الْعِشْرِينَ يَعْنِي طَرْفَةَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي ابْنِ أَبِي سَلْمَى وَالنَّابِغَةَ،
 فَقَالَ: كَانَا يَنْبِرَانِ الشُّعْرَ وَسُدِّيَانِهِ؛ قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ، قُلْتَ
 اتَّخَذَ الْخَبِيثُ الشُّعْرَ نَعْلَيْنِ يَطْوُهُمَا كَيْفَ شَاءَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي ذِي
 الرِّمَّةِ، قَالَ: قَدَّرَ مِنَ الشُّعْرِ عَلَى مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي
 الْأَخْطَلِ، قَالَ: مَا بَاحَ بِمَا فِي صَدْرِهِ مِنَ الشُّعْرِ حَتَّى مَاتَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ
 فِي الْفَرَزْدَقِ، قَالَ: بِيَدِهِ نَبْعَةُ الشُّعْرِ قَابِضًا عَلَيْهَا، قَالَ: مَا أَبْقَيْتَ لِنَفْسِكَ
 مِنْهُ شَيْئًا قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا مَدِينَةُ الشُّعْرِ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا
 وَيَعُودُ إِلَيْهَا وَأَنَا نَسَجْتُ فِي الشُّعْرِ نَسْجًا مَا نَسَجَهُ أَحَدٌ، قَالَ، فَمَا النَسِيجُ
 قَالَ: نَسَبْتُ فَاطِرَتِي، (15) وَهَجَوْتُ فَادَيْتِي، وَمَدَحْتُ فَاسْنَيْتِي، وَرَمَلْتُ
 فَأَغُورَتِي، وَرَجَزْتُ فَابْحَرَتِي، فَأَنَا قُلْتُ مِنَ الشُّعْرِ ضَرْبًا لَمْ يَقُلْهَا أَحَدٌ.

قَالَ الْفَقِيهُ الْمَشَاوِرُ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ لِبَالٍ أَدَامَ
 اللَّهُ عِزَّهُ: وَحَدَّثَنِي غَيْرٌ وَاحِدٌ أَنَّ قَوْمًا أَدْبَاءَ خَرَجُوا مِنْ مَجْلِسِ الْمُتَوَكَّلِ
 يَبْطُلِيُوسَ وَقَدْ أَجْرُوا ذَكَرَ حَبِيبٍ وَالْمُتَنَّبِيَّ حَتَّى كَثُرَ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَهُمْ
 الصُّخْبُ. وَمَالَ بِهِمْ حُبُّ التَّفْضِيلِ عَنِ الطَّرْبِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِيلُوا بِنَا إِلَى
 رَجُلٍ جَاهِلٍ نَجْعَلُ كَلَامَهُ فِي ذَلِكَ فَالًا فَأَيُّهُمَا أُجْرَى الْفَالُ عَلَى لِسَانِهِ،
 أَجْمَعْنَا عَلَى إِحْسَانِهِ وَاسْتِحْسَانِهِ فَخَرَجُوا مَتَنَاجِينَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَإِذَا بَحْرَاتٍ
 يَحْرُثُ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ الرَّبِيعِ، وَالْأَرْضُ تَرْفُلُ مِنَ الزَّهْرِ فِي مِثْلِ الْوَشْيِ الصَّنِيعِ
 فَقَالُوا لَهُ وَهُمْ يَطْنُونَهُ جَاهِلًا، وَعَمَّا انْتَبَهُوا لَهُ نَائِمًا غَافِلًا، أَيُّهَا الْحَرَاثُ: أَيُّ
 الرَّجُلَيْنِ أَشَعَّرَ، الْمُتَنَّبِيَّ أَمْ حَبِيبٌ؟ فَكَرَّزَ عَصَاهُ وَقَالَ: اسْمَعُوا مِنِّي وَخُذُوا
 عَنِّي، أَشَعَّرَهُمَا الَّذِي يَقُولُ:

(18) انظر النص في الأمالي 2: 79. 180.

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ
أَقْفَرْتَ أَنْتِ وَهَنَّ مِنْكَ أَوَاهِلُ

فَاسْتَنْبَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَجْهَلُوا، وَرَفَعُوا مِنْهُ مَا وَضَعُوا، وَفَكَّرُوا عِنْدَمَا
انْفَتَلُوا عَنْهُ وَرَجَعُوا، وَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا بَدَأَ بِهَذَا الْقَصِيدِ، إِلَّا لِمَعْنَى مُفِيدٍ،
وَمَا رَمَى عَنْ قَوْسِهِ إِلَّا بِالسَّهْمِ السَّدِيدِ، فَكَشَفَ لَهُمُ الْفِكْرَ، وَأَبْدَى لَهُمُ
الذِّكْرَ، أَنَّهُ أَرَادَ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ فِي أَثْنَاءِ الْقَصِيدَةِ (16):

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ
فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ (19)

فَرَفَعُوا لِلْمُتَوَكِّلِ (20) قِصَّتَهُ، وَوَصَفُوا لَهُ صِفَتَهُ، فَقَالَ: آه هُوَ
ابْنُ [مِقَانًا] (21) أَغْفَلْنَاهُ وَاللَّهِ وَأَضَعْنَا، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَجْلِسُوا إِلَيْهِ،
وَيَقْرَأُوا عَلَيْهِ، وَأَثْبَتَهُ فِي دِيْوَانِهِ، وَالْحَقُّهَ بِإِخْوَانِهِ.

(19) لم أقف على هذه الحكاية في مكان آخر، ولم يشر المؤلف إلى حكاية مماثلة تحكي عن
المعري وهي أن الشريف المرتضى كان يبغض المتنبي ويتعصب عليه، فجرى يوماً
بحضرتة ذكر المتنبي فتقصه المرتضى وجعل يتبع عيوبه فقال المعري: لو لم يكن
للمتنبي من الشعر إلا قوله: لك يا منازل في القلوب منازل. لكفاه فضلاً، فغضب
المرتضى وأمر فسحب برجله وأخرج من مجلسه وقال لمن بحضرتة: أتدرون أي شيء
أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة، فإن للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها، فقيل: النقيب
السيد أعرف، فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ
تعريف القدماء بأبي العلاء 1: 76، 287، 354.

(20) هو عمرو ولد المظفر أحد ملوك بني الألفطس، انظر ترجمته وأخباره في المطرب 21 - 33
والبيان المغرب والذخيرة ونفح الطيب والحلة السيرة 2: 96 - 107.

(21) في الأصل: مفسد أو مسد، بدون نقط، وأغلب الظن أنه الشاعر ابن مقان كما أثبت، فهو
الذي اشتغل بالحرث والفلاحة ببلده القبداق بعد أن أعياه التجوال في أقطار الأندلس،
وفي ذلك يقول من قصيدة يصف فيها حاله:

تَرَكْتُ الْمُلُوكَ الْخَالِعِينَ بِرُودِهِمْ عَلَيَّ وَسَيَّرِي فِي الْمَوَاجِبِ وَالنَّقْعِ
وَأَصْبَحْتُ فِي قَبْدَاقٍ أَحْصَدْتُ شَوْكَهَا بِمَزْرَعَةٍ رَعِشَاءَ نَابِيَةِ الْقَطْعِ
انظر ترجمة ابن مقان ومصادرها في الذخيرة ق 2: 786 - 796. تحقيق د. إحسان عباس.

قال الفقيه المشاور الأستاذ أبو الحسن علي بن لُبَّال: وَعَلَى ذِكْرِ هَذَا ما ذَكَرَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي كِتَابِ الذَّخِيرَةِ فِي أَحْبَابِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، قَالَ فِي فَصْلِ مِنْ كِتَابِهِ: إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرَفٍ قَالَ يَوْمًا لِلْمَأْمُونِ يَحْيَى بْنِ ذِي النُّونِ أَيَّامَ خِدْمَتِهِ إِيَّاهُ، وَاسْتِشْفَافِهِ صُبَابَةَ عُمُرِهِ فِي ذِرَاهِ، وَقَدْ أُجْرُوا ذَكَرَ أَبِي الطَّيِّبِ، فَذَهَبَ فِي تَأْيِينِهِ كُلِّ مَذْهَبٍ، وَقَالَ: إِنَّ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَا فَارِقَ الْعِزَّةَ وَالْعُلَا أَنْ يُشِيرَ مِنْ شَعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ إِلَى أَيِّ قَصِيدَةٍ شَاءَ أُعَارِضُهُ بِقَصِيدَةٍ تُنْسِي اسْمَهُ، وَتَعْفِي رَسْمَهُ، فَتَغَافَلَ عَنْهُ ابْنُ ذِي النُّونِ عَلِمًا بِضِيْقِ جَنَابِهِ، وَاشْفَاقًا مِنْ فَضِيحَتِهِ وَانْتِشَابِهِ فَالْحَحَّ عَلَى ابْنِ ذِي النُّونِ حَتَّى أُحْرَجَهُ وَأَعْرَاهُ فَقَالَ لَهُ، دُونَكَ قَوْلُهُ:

لِعَيْنِكَ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِي

فَخَلَا بِهَا ابْنُ شَرَفٍ يَوْمًا فَوَجَدَ مَرْكَبَهَا وَعَرَاءً، وَمَرِيرَتَهَا شَرًّا وَلَكِنَّهُ أَبْلَى عُدْرًا وَأَرْهَقَ نَفْسَهُ مِنْ أَمْرِهَا عُسْرًا (17)، فَمَا قَامَ وَلَا قَعَدَ، وَلَا حَلَّ وَلَا عَقَدَ، وَسُئِلَ ابْنُ ذِي النُّونِ: أَيُّ شَيْءٍ أَقْصَدَهُ إِلَى هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، فَقَالَ لِأَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ يَقُولُ فِيهَا:

بَلَعْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورَ رُبَّةً
 أَنْزَلْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ
 إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُوَ بِلُحْيَةٍ أَحْمَقِ
 أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ (22)

وهذه غريبةٌ ولَوْ صَدَرَتْ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمَأْمُونِ، فَضْلًا عَنْ مُتَنَزِعِ لَقَبِهِ يَحْيَى بْنِ ذِي النُّونِ.

وقَدْ قِيلَ بُدِيءُ الشَّعْرِ بِكِنْدَةَ وَخُيِّمَ بِكِنْدَةَ، أَيُّ بُدِيءٍ بِأَمْرِيءِ الْقَيْسِ

(22) انظر هذا الخبر في الذخيرة ق 4: 23 - 24 تحقيق د إحصان عباس وثمة حكاية مماثلة لهذه تنسب الواقعة للخالدين مع سيف الدولة. انظر الصبح المنبي

وَحْتِمَ بِأَبِي الطَّيِّبِ لِأَنَّهَما كِنْدِيانٌ⁽²³⁾. وقد اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى تَفْضِيلِ أَمْرِيءِ القَيْسِ لَطَبْعِهِ وَسَلَاةِ كَلَامِهِ عَلَى قَدَمِهِ، وَقِلَّةِ تَكَلُّفِهِ عَلَى أَعْرَابِيَةِ خُلُقِهِ وَشَيْبِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُ الصَّابِيِّ: بُدِيَءَ الشَّعْرُ بِمَلِكٍ، وَحْتِمَ بِمَلِكٍ، يَعْنِي بُدِيَءَ بامرئ القيس، وَحْتِمَ بِأَبِي فِرَاسِ الحَمْدَانِيِّ، فَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ أَبَا فِرَاسٍ كَانَ مِنْ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ وَأَرَادَ التَّصْنُوعَ لَهُ بِذَلِكَ؛ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ قَائِلَ هَذَا إِنَّمَا هُوَ الصَّاحِبُ. وقد أنسى ذكره المتنبّي، ولولا قُرْبُهُ مِنَ الرِّيَاسَةِ مَا ذُكِرَ مَعَهُ كَمَا قَدْ أَنْسَى أَبُو الطَّيِّبِ ذِكْرَ الخُبْزِ أَرْزِي والصَّنَوْبَرِيِّ، وَكَانَ أَشِيخَ مِنْهُ وَأَقْدَمَ. هكذا ذَكَرَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي كِتَابِ العُمْدَةِ⁽²⁴⁾.

وقال أبو الطاهر يوسف بن عبدالله التميمي في مقاماته في تصنيف الشعراء، قال: فما تقول في الطائي الأكبر، قال نعم ما صنع وحبر، وبس ما أفصح عن المعاني وعبر، حتى أذن في شعره وكبر، ومن التحسين والتنجيد (18) ما يُزري بالمبرز المجيد، وقد أباي الناس إلا تقديمه، وإن مرقوا بالدم أديمه؛ قال: فما تقول في أبي الطيب قال: ذو الكلام الطيب، والطبع الصيب، لهجت بأمثاله الأفواه، وغذيت بشعره الأمواه، وسار بشعره الرفاق، ووقع على تفضيله الإصفاق⁽²⁵⁾.

(23) أضاف الأندلسيون إليهما كندياً ثالثاً هو الرمادي، قال الحميدي في ترجمة يوسف بن هارون الكندي الرمادي: «ونفق عند الكل حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون: فتح الشعر بكندة، وختم بكندة. يعنون امرأ القيس والتمني ويوسف بن هارون، وكانا متعاصرين». جذوة المقتبس: 347.

(24) انظر يتيمة الدهر 1: 35 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وفي عبارة المؤلف شيء من القلق والاضطراب، وها هو كلام ابن رشيق: «وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر إلا أبو فراس وحده، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه، وكان الصنوبري والخبزرزي مقدمين عليه للسن ثم سقطا عنه». العمدة 1: 101.

(25) هذا من المقامة الموفية ثلاثين، وهي مقامة الشعراء في مقامات السرقسطي اللزومية، وفي عبارة المؤلف شيء من التصرف، كما أن الكلام عن المتنبّي في المقامات يأتي بعد ذكر

فَمَدَحَ صَنَعَةَ أَبِي تَمَامٍ بِالشَّعْرِ وَتَمَيَّقَهُ إِيَّاهُ، وَذَمَّ مَعَانِيَهُ فِي ذَلِكَ وَجَفَاهُ، فَلَيْتَهُ لَوْ ذَمَّ صِنَاعَتَهُ، مَدَحَ مَعَانِيَهُ وَبِرَاعَتَهُ، وَإِلَّا فَهَلْ تَرَوِي غُلَّةَ العَاطِشِ خُضْرَةَ أَشْجَارٍ، وَبَهْجَةَ كَمَائِمِ وَأَزْهَارٍ، بِضَفَّةِ نَهْرٍ مَرَّ المَدَاقِ، مُقَعِّعِ المُلُوحَةِ وَالحِرَاقِ، فَإِذَا صَادَفَ مَاءَ زُلَالَا، قَدِ التَّحَفَ مِنْ شَجَرٍ بِهِ ظِلَالَا، شَفَى عِلَّتَهُ، وَأَرَوِي بُوْرودِهِ إِيَّاهُ عُلَّتَهُ، وَكَذَلِكَ هُوَ شَعْرُ أَبِي الطَّيِّبِ وَاللَّهِ لَقَدْ هُوَ العَذْبُ الزُّلَالِ، وَالحَخْصِرُ السَّلْسَالِ، يَلْتَحِفُ مِنْ رَوْتِ طَبْعِهِ بِظِلَالِ.

قال الفقيه المشاور الأستاذ أبو الحسن علي بن لبّال أدام الله رفعتَه، وقال ابنُ رشيقي⁽²⁶⁾: المَعْنَى مَعَ اللَّفْظِ فِي الشَّعْرِ كَالرُّوحِ فِي الجَسَدِ، فَإِذَا اخْتَلَّتْ مِنَ الرُّوحِ شَيْءٌ فِي الجَسَدِ ضَعُفَ بَعْضُ الجَسَدِ، وَجَاءَ نَاقِصًا وَظَهَرَتْ دِمَامَتُهُ كَشَلَلِ اليَدِ وَالرَّجْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِذَا بَطَلَ بِرِيحٍ أَوْ بِعَارِضٍ يَعْرِضُ فِيهِ، فَإِذَا ذَهَبَ الرُّوحُ مِنْهُ وَهُوَ المَعْنَى بَقِيَ اللَّفْظُ لَا مَنَفَعَةَ فِيهِ كَالجَسَدِ الخَالِي مِنَ الرُّوحِ.

وقيل⁽²⁷⁾ إِنَّ المَعْنَى لِلْفَظِّ كَالصُّورَةِ لِالثُّوبِ، فَمَهْمَا كَانَتِ الصُّورَةُ حَسَنَةً فِي الثُّوبِ الحَسَنِ، كَانَ ذَلِكَ أَعْلَى لِلنَّاطِرِ وَأَوْقَعُ فِي الخَاطِرِ، وَمَهْمَا كَانَا قَبِيحَيْنِ، كَانَا كَذَلِكَ فِي النَّفْسِ وَالْعَيْنِ، فَالصُّورَةُ الحَسَنَةُ فِي الثُّوبِ القَبِيحِ أَحْسَنُ، مِنَ الصُّورَةِ القَبِيحَةِ فِي الثُّوبِ الحَسَنِ، لِأَنَّهَا هِيَ المَعْنَى، وَمَوْقِعُهَا فِي القَلْبِ أَحْلَى وَأَسْنَى.

قال الفقيه المشاور الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن لبّال أعزّه

البحري وابن الرومي وابن المعتز. المقامات اللزومية: 229، 232 تحقيق د. حسن الوراكلي. نسخة مرقونة.

(26) ينقل المؤلف هنا عن العمدة بتصرف وتلخيص. انظر نص ابن رشيقي بتمامه في العمدة 1: 124.

(27) جاء في العمدة 1: 127: «وبعضهم - وأظنه ابن وكيع - مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها، وتضاءلت في عين مبصرها».

الله تعالى، وعلى ذكر «حتى أذن في شعره وكبر» هجاء بعض الشعراء
فقال:

أراد حبيب أن يحوك قصيدة
بمذح أمير المؤمنين فأذنا
فقلنا له لا تعجلن بإقامة
فلسنا على طهر فقال ولا أنا (28)

وعلى ذكر طبع أبي الطيب وصناعة حبيب ما مثله العلماء بين أهل
السنة والصوفية، وذلك أن ملكاً من الملوك أمر فارسياً ورومياً أن يري كل
أحد منهما أبداع صناعته، فبنى لهما حائطين ليصور كل واحد في حائطه
أبداع ما يعرف من صناعته وضرب بينهما سترًا لئلا يرى أحدهما ما يصنع
الأخر، وقال لهما: ليصنع كل واحد منكما أحسن ما يتقن من التصوير
والنقوش والتزويق، فجعل الفارسي يحكم في ناحيته بدائع الصور،
ويضاهي في لبة الروض قلائد الزهر، والرومي لا يزيد بعد تلبس الحائط
بالجص على الدلك فيه [بالآلة؟] وقد طبعها، وأتقنها وأبداعها، ليتقبل بذلك
كل ما صنع الفارسي ونقشه، فهذا يصور ويتقن، وذاك يذل ويضعن، فلما
تم لهم العام، وحان من عملهم التمام، قال لهما المليك: ليرنا كل واحد
منكما ما صنع، لأخبر أيكما أبداع، في صناعته وأبرع؛ فأزالا الستر الذي
بينهما فعكس ذلك الرومي كل ما صنع الفارسي لنفسه، ولم يزل ذلك على

(28) جاء في الوافي لصالح بن شريف الزندي: ولما أنشد للمعتصم قول أبي تمام:
الله أكبر جاء أكبر من جرت وتحيرت في كنه الأوهام
قال بعض من حضر:

أراد حبيب أن يقول قصيدة بمذح أمير المؤمنين فأذنا
فقلت له لا تعجلن بإقامة فلسنا على طهر فقال ولا أنا
(مخطوط الوافي) وقد نسب البيتان في الموشح لمروان بن أبي الجنوب يقولهما في
علي بن الجهم (الموشح: 527) ونسبهما ابن المعتز في الطبقات: 415 لأبي العيناء.

جصّه، وأتى بالأمر من فصّه، فغلب الرومي⁽²⁹⁾.

وكذلك أبو الطيّب برقة طبعه، ورؤنق شعره، وصقال لفظه، وفِرند معناه، يضمّن في شعره صناعة كلّ شاعر مع ما أعطيه من الطبع الرؤنقي، والنور الأُفقي.

قال الفقيه المشاور الأستاذ أبو الحسن علي بن لُبّال أدام الله عزّته: وأما قصّة الحاتمي⁽³⁰⁾ مع أبي الطيّب وردّه عليه، وتفضيلُ كلام حبيبٍ على كلاميه فكما قال عمّر بن أبي ربيعة:

حَسَدًا حُمِّلَنه مِنْ أَجْلِهَا
وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

وكما قال الآخر:

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيَهُ
فَالنَّاسُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ
كَضَرَّائِرِ الْحَسَنَاءِ قَلْنَ لَوَجْهِهَا
حَسَدًا وَبَغِيًّا إِنَّهُ لَدَمِيمٌ⁽³¹⁾

وقال أبو الطيّب:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَاحِحًا
وَأَفْتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

(29) لم أتمكن من الوقوف على هذه الحكاية في المصادر التي بين يدي
(30) قصة الحاتمي مع أبي الطيب مفصلة في الموضحة التي حققها الدكتور محمد يوسف نجم، وانظر تحليلاً لقصة الحاتمي مع المنسي في تاريخ النقد الأدبي للدكتور إحسان عباس: 263 - 270.

(31) ينسب هذان البيتان إلى أبي الأسود اللؤلؤي.

ولكن تأخذ الأذهان منه

على قدر القرائح والعلوم

وكما قال ابن بسام (21): والحسد موروث، وقديم لا حديث، في قصة صاعد اللغوي مع الزبيدي وابن العريف والعاصي بين يدي المنصور ابن أبي عامر إذ دخل عليه بباكورة ورّد فقال المنصور لصاعد صفها، فقال:

أتك أبا عامر ورده
يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر
فغطت بأكامها رأسها

في قصة طويلة، فحسده كل من حضر، وقال: هذا شعر قديم
مشتهر (32).

والذي عاب الحامي على أبي الطيب قد احتج أبو الطيب بمثله من شعر حبيب، وأتى بالعجب العجيب، وليس هذا كله بحجة لأن الشاعر كالغواص تارة يخرج بكرة، وتارة بأجرة، وتارة بسبجة، وأخرى ببعرة مدخرجة، ولا بأس أن ينزل من القول الفصل، إلى المنطق الفسل، في البيت والبيتين من القصيدة، كما تنظم السبجة بجانب الفريدة، ولولا البؤس ما طابت النعماء، وفي حالك الظلام يعرف حسن الضياء، وبضدها تتميز الأشياء.

قيل لبشار بن برد. يا أبا معاذ: كم بين قولك:

يا أطيّب الناس ريقاً غير مختبر
إلا شهادة أطراف المساويك

(32) قول ابن بسام وقصة صاعد التي أشار إليها المؤلف في الذخيرة ق 4: 17 - 19.

يا رَحْمَةَ اللهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا
حَسْبِي بَرَاثِحَةُ الْفَرْدَوْسِ مِنْ فَيْكِ
وَيِّنْ أَنْ تَقُولِ:

إِنَّمَا عَظْمٌ سُلَيْمِي خَلَّتِي
قَصَبُ السُّكَّرِ لَا عَظْمُ الْجَمَلِ
وَإِذَا قُرِّبَ مِنْهَا بَصَلٌ
غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ⁽³³⁾

فقال: إنما الشاعر كالبحر يقذف مرةً بصدفة، ومرةً بحشفة؛ وقيل له
أيضاً كيف تقول:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضْرِيَّةً
هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرْتُ دَمًا
إِذَا مَا رَفَعْنَا وَاحِدًا مِنْ جَمَاعَةٍ
عَلَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَا

وهذا فيه من جزالة اللفظ ما لا يخفى على أحد، وأنت تقول:

حَبَابَةٌ رَبَّةُ الْبَيْتِ
تُصَّبُ الْخَلُّ فِي الزَّيْتِ
لَهَا سَبْعُ دَجَاجَاتٍ
وَدَيْكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

(33) في زهر الآداب للحصري: قيل لبشار: كم بين قولك.

قد زرتنا مرةً في الدهرِ واحدةً عُودِي وَلَا تَجْعَلِهَا بِيضَةَ الدَّيْكِ
وبين قولك:

إنما عظم سليمان خلتني نصب السكر لاعظم الجميل
فقال: إنما الشاعر المطبوع كالبحر، مرة يقذف صدفة ومرة يقذف جيفة.

فقال إنَّما أقولُ لكلِّ واحدٍ على قَدْرِهِ، وأنا إذا قلت هذا علفتُ
دجاجها ورخمت بيضها وأطعمتني .

وقال أبو العباس المبرد⁽³⁴⁾: وقد يضطرُّ الشاعرُ المُفْلِقُ والخطيبُ
المصْغَعُ والكاتبُ البليغُ فيقعُ في كلامهم اللفظُ المستنكر والمعنى
المستغلق، فإذا انعطفت عليه جنبنا الكلامَ غطتا على عواره وسترتا من
شبهه .

وإن شاء قائلٌ أن يقول بأنَّ الكلامَ القبيحُ في الكلامِ الحسنِ أظهرُ،
ومجاورتهُ له أشهرُ كانَ ذلك، ولكن يُغتفرُ الشيءُ القبيحُ للحسنِ والبعيد
للقریب .

وقال المعري: جيّد قول الشعر وإن قلَّ يغلب (23) على رديته وإن
كثُر ما لم يكن الشعرُ له صناعةً، ولطبعه مرناً وعادة⁽³⁵⁾ .

وكلامُ أبي الطيّبِ كلُّه حسن، ولكنَّ الحُرَّ مُمتَهَن،
ورديء أبي الطيّبِ في جيده كالقطرة في البحر، أو الذرة في التبر، فهلاً نظَّر
الحائمي هذا النَّظْرَ، وترك القليلَ للكثيرِ وغفر، وقارَن هذا العيبَ بعيبِ
صاحبه⁽³⁶⁾ فسَتر، ألا ترى أنَّ الشُّجاعَ البطلَ ربَّما خامَ⁽³⁷⁾، وحادَ عن
الإقدامِ، إلى الإحجامِ، وأثرَ الفِرارِ، على القَرارِ، فلا يكونُ ذلكُ كلُّه عيباً
إذا عُرِفَتْ بسالتهُ، ويُلَيِّ كَرُهُ في الحَرْبِ ومجاولتهُ. ألا ترى إلى قولِ
زُفر بن الحارثِ وكانَ فرَّ يومَ مَرَجِ راهِطَ عن أبيه وأخيه فقال:

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَأْتَهُ
بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بَلَائِيَا

(34) انظر الكامل 1: 27 ت. محمد أبو الفضل والسيد شحاته .

(35) من خطبة سقط الزند؛ وفيه: «والجيد من قيل الرجل...» قال الخوارزمي: عنى بالقليل
الشعر. انظر شروح سقط الزند 1: 24.

(36) يعني به أبا تمام .

(37) خام: جبن وأحجم

ولم تر مني زلّة غير هذه

فراري وتركي صاحبي ورائيا⁽³⁸⁾

وقال عمرو بن معدي كرب ولقي بني عبس وفيهم زهير بن جديمة
العبسي ففر عنهم فقال:

أجاعلة أم الثوير خزاية

علي فراري إذ لقيت بني عبس

لقيت أبا شأس وشأساً ومالكاً

وقيساً فجاشت من لقاتهم نفسي

وليس يعاب المرء من جبن يومه

إذا عرفت منه الشجاعة بالأمس⁽³⁹⁾

ومثل هذا كثير.

قال الفقيه المشاور الأستاذ أبو الحسن علي بن لبّال أدام الله عزته (24)
وقال الفقيه الأستاذ النحوي ابن مسلم⁽⁴⁰⁾ عند سؤالنا إياه، واقتباسنا منه ما
حفظه من العلم ووعاه: إن الوزير الفقيه الأديب اللغوي أبا مروان بن
سراج⁽⁴¹⁾ كان لا يقرئ من شعر أبي تمام إلا ثلاثة أبيات، وكان يقرئ من
شعر أبي الطيب خمسة أبيات. وهذا أيضاً شاهد على طبع أبي الطيب، فقد
قيل⁽⁴²⁾: خير الشعر ما وراك نفسه، وشر الشعر ما سئل عن معناه، والله درّ
ابن عمّار حيث يقول يمدح المعتضد بالفصاحة:

(38) العقد الفريد 1: 146.

(39) المصدر نفسه 1: 146 - 147 وفي الأبيات تحريف في الأصل.

(40) تقدم ذكره والتعريف به.

(41) ترجمته ومصادرها في الذخيرة.

(42) لم أهتم إلا إلى صاحب هذا القول.

رَقِيقٌ حَوَاشِي الطَّبَعِ يَجْلُو بَيَانُهُ

وَجُوهَ الْمَعَانِي وَأَضِحَاتِ الْمَبَاسِمِ⁽⁴³⁾

فَلَمْ يَمْدَحْهُ بِاسْتِغْلَاقِ اللَّفْظِ، وَلَا يُبْعِدُ الْعَوْرَ وَضَعْفَ الْمَعْنَى، بَلْ
مَدَحَهُ بَرَقَةَ اللَّفْظِ وَبَيَانَ الْمَعْنَى.

قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ⁽⁴⁴⁾: لَا يَكُونُ الْكَلَامُ بَلِيغًا حَتَّى يُسَابِقَ مَعْنَاهُ لَفْظُهُ
وَلَفْظُهُ مَعْنَاهُ، وَلَا يَكُونُ لَفْظُهُ أَسْبَقَ إِلَى سَمْعِكَ، مِنْ مَعْنَاهُ إِلَى قَلْبِكَ.

وَسَأَلَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِي حَمَامَةَ الدَّوسِيِّ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْضَ
مُلُوكِ حِمْيَرَ فَقَالَ: مَنْ أْبْلَغَ النَّاسَ؟ فَقَالَ: مَنْ جَلَا الْمَعْنَى الْعَزِيزِ، فِي
اللَّفْظِ الْوَجِيزِ، وَطَبَّقَ الْمَفْصَلَ قَبْلَ التَّخْرِيزِ.

وَقِيلَ إِنْ أَفْصَحَ الْكَلَامَ وَأَبْلَغَ الْبَلَاغَةَ كَلَامٌ إِذَا:

سَمِعْتَهُ ظَنَنْتَ أَنَّكَ تَصْنَعُ

مِثْلَهُ فَإِذَا رُمْتَهُ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهِ⁽⁴⁵⁾

وَقَدْ قِيلَ: خَيْرُ الْكَلَامِ مَا فَهَمْتَهُ الْعَامَّةُ وَلَمْ تُنْكِرْهُ الْخَاصَّةُ⁽⁴⁶⁾.

(43) لم نقف على هذا البيت، ويبدو أنه من قصيدته المشهورة:

عَلَيَّ وَإِلَّا مَا بُكَاءَ الْغَمَائِمِ وفي وَإِلَّا مَا نِيأحُ الْحَمَائِمِ.

وهي قصيدة تنيف على 90 بيتاً ولم نقف عليها كاملة، ومنها في مدح المعتضد:

إِذَا رَكَبُوا فَاَنْظَرُهُ أَوَّلَ صَاعِنِ وَإِنْ نَزَلُوا فَارْصَدَهُ آخِرَ طَاعِمِ.

أَبَى أَنْ يَرَاهُ اللَّهُ إِلَّا مَقْلُدًا حَمِيلَةَ سَيْفٍ أَوْ حَمَالَةَ غَارِمِ.

هذا وللمعتضد ديوان شعر جمعه ابن أخيه إسماعيل. انظر الحلة السراء 2: 43 والمعجب
والذخيرة.

(44) انظر العمدة 1: 245 وفيها: «من حلَّى المعنى المزيز» وقد تكلف المحقق في تخريجها،

والصواب ما ورد هنا وفي نسخ خطية من العمدة.

(45) ؟؟.

(46) في المستطرف 1: 51: قال أبو عبدالله وزير المهدي: «البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به

الخاصة». وفي التقريب لحد المنطق لاس حزم: «البلاغة ما فهمه العامي كفهم

الخاصي». التقريب: 204.

وقد قيل: إنَّ أبلغَ البلاغة ما لَمْ يُوْتِ السامع من إفهام المسمع ولا المسمع من فهم السامع، ذكر هذا عدة من أصحاب الكلام كقدامة وغيره⁽⁴⁷⁾.

وقد قيل: إنَّ خَيْرَ الكلام لمحة دالة⁽⁴⁸⁾ وهذا كثير لأنَّ الكلام إذا كان قليلَ الفضول، سهل الألفاظ غيرَ وحشيها، وخرَج من اللُّغة الغربية، إلى الألفاظ المُستعملة العجبية، كان أسلس وأقرب إلى الحُسن.

قالَ الفقيهُ المشاورُ الأستاذُ أبو الحسنِ علي بن لبال رَجَمه اللهُ: وقال الجاحظ: كما لا ينبغي أن يكونَ اللَّفظُ عامياً، ولا ساقطاً سوقياً كذلك ينبغي أن لا يكونَ وحشياً إلا أن يكونَ المتكلم بدوياً أعرابياً⁽⁴⁹⁾.

وقال بعضهم لحبيب في مجلس حافلٍ وأراد تَبَكِيته: لَمْ تقولُ من الشعرِ ما لا يُفهم، فقالَ لَهُ حبيب: وأنتَ لِمَ لا تفهم ما يُقال⁽⁵⁰⁾، والمَطبوع لا يُعرِّض نفسه إلى هذا الطَّعن باستِغراق اللفظ وإبهام المَعنى كأبي الطَّيب، ولذلك كان ابنُ سراج يُقرئ من شعرِ المتنبِّي أكثرَ من شعرِ حبيب لسهولة لفظه وبيان معناه.

وقال أبو العباس المبرِّد في مثلِ هذا: «فمن ألفاظ⁽⁵¹⁾ [العرب البينة القريبة المفهمة، الحسنة الوصف، الجميلة الرصف، قول الحطيثة:

وذاك فتى إن تآته في صنيعه
إلى ماله لا تآته بشفيع

(47) في البيان والتبيين 1: 101: وكان الإمام إبراهيم بن محمد يقول: «يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع» وقد استحسِن الجاحظ هذا القول واعرَضه التوحيدي. انظر البصائر 1: 362-363.

(48) الكامل 1: 17.

(50) ينسب السؤال إلى الشاعر أبي العميل. انظر وفيات الأعيان.

(51) ما بين معفتين صفحة بيضاء في الأصل، وقد قَدَّرت أن ابن لبال نقل فيها كلام المبرِّد في الكامل الذي أوردته ورقة ابن ورفاء التي نقلتها من المتنقى المقصور لابن القاضي.

وكذلك قول عنترة:

يخبرك مَنْ شهِدَ الوقيعةَ أنني
أغشى الوغى وأعفَّ عند المُغنمِ

وكما قال زهير:

على مُكثريهم رزق مَنْ يعترِيهمُ
وعند المُقلِّينَ السَّماحةُ والبذلُّ

ومما وقع كالإيماء قول الفرزدق:

ضربتُ عليك العنكبوتُ بنسجها
وقضى عليك به الكتاب المنزل

فتأويل هذا أن بيت جرير في العرب كالبيت الواهي الضعيف، فقال
فقضى عليك به الكتاب المنزل، يريد قول الله تبارك وتعالى: وإن أوهن
البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون؛ ومن كلامه المستحسن قوله
لجرير:

فهل ضربةُ الرُّومي جاعلةٌ لَكُمْ
أباً عن كليب أو أباً مثلَ دارِمِ

ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني قوله:

وما مثله في الناس إلا مملِكاً
أبو أمه حيُّ أبوه يقاربُهُ

مدح بهذا الشعر إبراهيم بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن
مخزوم وهو خال هشام بن عبد الملك فقال: وما مثله في الناس إلا مملِكاً
يعني بالمملك هشاماً أبو أمّ ذلك المملِك أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا
الكلام على وجهه لكان قبيحاً وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن

يقول وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مَمْلُكٌ أبو أمّ هذا المملك أبو أم هذا الممدوح فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجته بما أوقع فيه من التقديم والتأخير⁽⁵²⁾.

ومن الوحشي المتكلف، والركيك المستضعف، والمعقد البارد رقعة ابن ورقاء ونصها:

«صين امرؤ واعين امرؤ دعا لامرأةٍ مقسئنة أولعت بأكل الطرموق فأصابها منه اسمثال أن يهب لها الله اطرغشاشاً وابرغشاشاً».

وطرحها في المسجد فما⁽⁵³⁾ قرأها أحد إلا لعنه ولعن أمه.

قال الفقيه المشاور الأستاذ أبو الحسن علي بن لُبَّالِ أدامَ اللهُ رَفَعْتَهُ: معنى صين من الصيانة، وأعين من الإعانة أي أعانه الله، وقوله مُقْسِئِنَةٌ، المُقْسِئِنَةُ الشَّدِيدَةُ الكِبَرِ، يقال اقْسَأَنَّ العُودَ إِذَا يَبَسَ واشتدَّ يَبَسُهُ وَقَوْلُهُ الطَّرْمُوقُ، وَهُوَ الطَّفَلُ، فَإِذَا قَدَّمْتَ المِيمَ عَلَى الرَّاءِ قَلَّتِ الطَّرْمُوقُ، وَهُوَ الخُفَّاشُ، وَالطَّفَلُ بِتَحْرِيكِ الفَاءِ وَهُوَ الصَّوَابُ، وَلَا يُقَالُ بِالْإِسْكَانِ، وَقَوْلُهُ: بِالْإِطْرَغَشَاشِ وَالْإِبْرَغَشَاشِ، يُقَالُ: إِطْرَغَشَ الرَّجُلُ وَإِبْرَغَشَ، وَقَشَقَشَ إِذَا أَفَاقَ مِنْ مَرَضِهِ، وَالْمُقَشَّقِشَتَانِ: الْمُعْوَذَتَانِ قَالَ الشَّاعِرُ:

أَعِيذُكَ بِالْمُقَشَّقِشَتَيْنِ مِمَّا
أَحَازِرُهُ وَمِنْ شَرِّ الْعُيُونِ⁽⁵⁴⁾

فهذا وإن كان كلاماً عربياً يُفْبَحُ فِي الْمَسَامِعِ، وَيُثْقِلُ عَلَى كُلِّ سَامِعٍ، لِحُشُونَتِهِ وَقَلَّةِ اسْتِعْمَالِهِ، وَلَنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ قُدْوَةٌ، وَكَفَى بِهِ لِلْمُتَأَسِّي بِهِ إِسْوَةٌ.

(52) الكامل 1: 17 - 18 .

(53) المنتقى المقصور لابن القاضي . مخطوط . ولم أتمكن من الوقوف على الحكاية في غيره .

(54) ورد البيت غير مسوب في كتاب ألف باء للبلوي 2 : 402 .

قَالَ الْفَقِيهُ الْمَشَاوِرُ الْأَسْتَاذُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ لِبَالٍ:

وَمَعَ هَذَا فَلَا أُخْلِي أَبَا تَمَامٍ مِنْ فَضِيلَةٍ، وَلَا أُعْرِيهِ عَنْ خَصْلَةٍ جَمِيلَةٍ،
بَلْ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ شَاعِرٌ إِحْسَانٍ، وَفَارِسٌ هَذَا الشَّانِ، وَهُوَ مَعَ أَبِي الطَّيِّبِ كَفْرَسِيِّ
رِهَانٍ، فِي عِدَّةِ أَبْيَاتٍ، وَكَثِيرٍ مِنَ الْمُقَطَّعَاتِ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ فِي
وَصْفِ الْقَلَمِ:

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَابِهِ
تَصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكَلِيِّ وَالْمَفَاصِلِ
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لِعَابِهِ
وَأَرِي الْجَنَى اشْتَارْتُهُ أَيْدٍ عَوَاسِلِ
لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّائِي لَوْلَا نَجِيئُهَا
لَمَا اخْتَلَفْتَ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمَحَافِلِ
لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا
بِآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ
فَصِيحُ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبُ
وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَعَتْ
عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوُّضَتْ
لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضُ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ
إِذَا اسْتَعْزَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ
أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
وَقَدْ رَفَدْتَهُ الْخِنْصِرَانِ وَسَدَّدَتْ
ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثَ الْأَنَامِلُ

رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنَهُ وَهُوَ مَرَهَقٌ
ضَنْبِيَّ وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاجِلٌ⁽⁵⁵⁾

وهذه لعمري قطعةٌ بديعةٌ النَّسجِ، رائقةٌ الدَّرَجِ، لم يُحَكَّ عَلَى مِثَالِهَا
وَلَا نَسِجَ عَلَى مِثَالِهَا.

وَأُرْبَى عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ فِي قَوْلِهِ:

خَبَّتْ نَارُ حَرْبٍ لَمْ تَهْجُهَا بِنَانُهُ
وَأَسْمَرُ عُرْيَانٌ مِنَ الْغُصْنِ أَضْلَعُ
نَحِيفُ الشَّوَى يَعْذُو عَلَى أُمَّ رَأْسِهِ
وَيَحْفَى فَيَقْوَى عَدُوَّهُ حِينَ يُقْطَعُ
يَمْجُ ظَلَامًا فِي نَهَارٍ لِسَانُهُ
وَيُفْهَمُ عَنْ مَنْ قَالَ مَا لَيْسَ يُسْمَعُ⁽⁵⁶⁾

وهذه لعمري قطعةٌ تدلُّ عَلَى طَبْعِ عَفْوٍ، وَمَاءِ صَفْوٍ وَلَكِنِ الْأُولَى
أَعْلَى، وَالْثَانِيُّ بِالتَّقْدِيمِ وَأَوْلَى.

قَالَ الْفَقِيهُ الْمَشَاوِرُ الْأَسْتَاذُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ لُبَّالِ أَدَامَ
اللَّهِ عَزَّتْ بِمَنِّهِ وَكَرَّمَهُ: وَأَنَا أَرْغَبُ مِمَّنْ تَصَفَّحَ كَلَامِي، وَتَحَقَّقَ مِنْهُ سَرْدِي
وِنِظَامِي، فِي هَذَا التَّأْلِيفِ الَّذِي خَرَفْتُ فِيهِ حِجَابَ السَّخْفِ، وَلَمْ أُسْتَيِّرْ فِيهِ
مِنَ الْعَقْلِ بِسِجْفٍ، فَتَعَرَّضْتُ فِيهِ لِلْأَلْسِنَةِ، وَنَبَّهْتُ لِعِرْضِي مَنْ كَانَ عَنْهُ ذَا
سِنَّةٍ، وَبَلَّغْتُ النَّاقدَ سُورًا، وَلَمْ أُرِدْ ذَلِكَ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ
مَفْعُولًا.

(55) الأبيات من قصيدة أبي تمام التي مطلعها:

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ وَقَلْبِكَ مِنْهَا مَدَّةُ الذَّهْرِ أَهْلٌ
انظرها في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي جـ 3 ص 122 وما بعدها. وقد كان لها
التفضيل والتقديم على سائر شعر أبي تمام عند الأندلسيين انظر طبقات الزبيدي: 306 - 307
والعقد الفريد 4: 192.

(56) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي جـ 2 ص 421.

فَعَلَى مَنْ اعْتَزَى إِلَى عِلْمٍ، وَوُصِفَ بِذِكَاةٍ وَفَهْمٍ، أَنْ يَنْظُرَ بَعَيْنِ
الْإِغْضَا، وَيَتَصَفَّحَ تَوَالِيفَ مَنْ مَضَى، فَكَمْ فِي الدَّفَاتِرِ، مِنْ سَخِيفٍ فَاتِرٍ،
وَلَوْ اقْتَصَرَ الْمُتَأَخَّرُونَ عَلَى عِلْمِ الْمُتَقَدِّمِينَ لَذَهَبَ عِلْمٌ كَثِيرٌ، وَأَدَبٌ غَزِيرٌ،
وَأَمَّا الْجَاهِلُ فَمَنْ ضَاقَ فِي الْعِلْمِ ذَرْعُهُ، وَقَصَرَ بِهِ فَهْمُهُ وَطَبَعُهُ، حَتَّى يَظُنَّ
أَنْ لَا عِلْمَ إِلَّا مَا وَعَاهُ، وَلَا تَحْقِيقَ إِلَّا مَا نَدَبَهُ فَهْمُهُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَدَعَاهُ، فَمَا
دُرِّي جَهْلُهُ، وَأَشَدُّ مَا جَنَى عَلَى عِلْمٍ مَا سَطَّرَهُ السَّخِيفُ عَقْلُهُ.

وَإِذَا خَفِيَتْ عَنِ الْعَبِيِّ فَعَاذِرٌ
أَلَّا تَرَانِي مُقَلَّةً عَمِيَاءَ⁽⁵⁷⁾

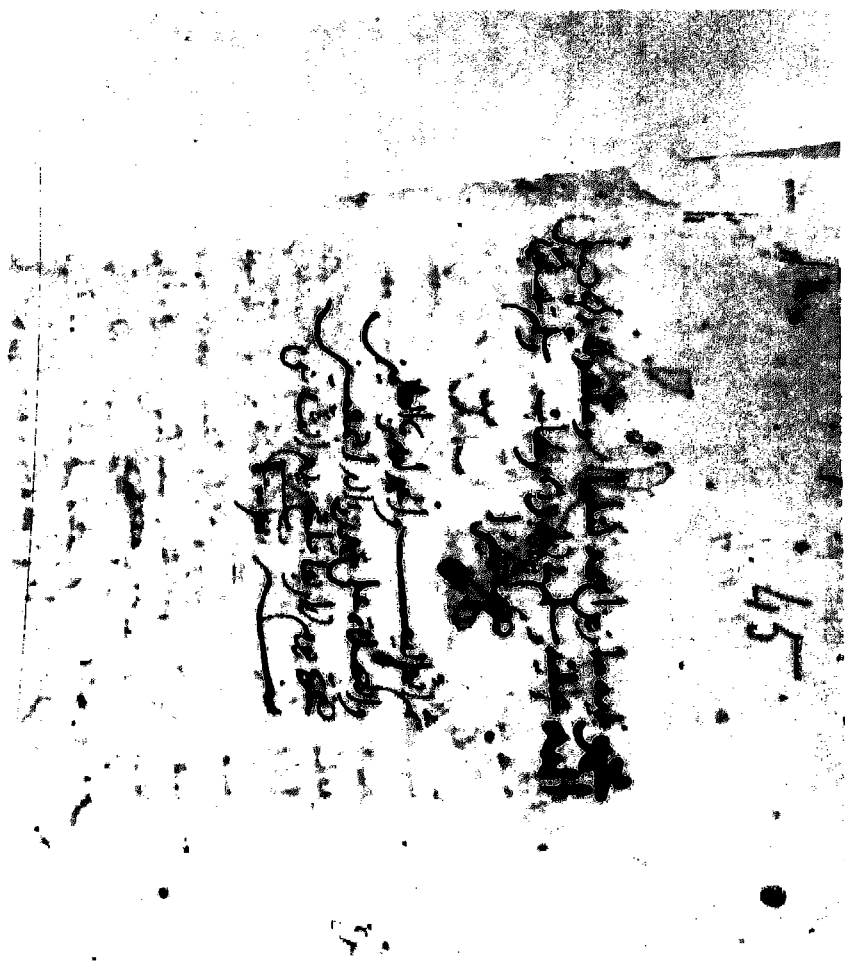
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ
مَا زُيِّنَ بِاسْمِهِ كِتَابٌ، وَمَا عَدَّبَ ذِكْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَفْوَاهِ
وِطَابِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

تَمَّ التَّالِيفُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ
ضَحْوَةَ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ غُرَّةِ رَبِيعِ الثَّانِي
سَنَةِ 1003 هـ

(57) المصدر نفسه 1: 18.

الفصل الخامس

مخارَات مِنْ نَسْخَةِ دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّي السَّعْدِيَّةِ



آخر رسالة روضة الأديب في المخطوط.

مقدمة الديوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَيَّ مَا مَنَحَ مِنَ الْعَوَارِفِ، وَمَا أَلْهَمَ مِنَ الْمَعَارِفِ، وَسَنَى
مِنَ اللَّطَائِفِ الْأَنْبِيَّةِ الْمَطَارِفِ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيَّ رَسُولِهِ مُنْقِذِ الْأُمَّةِ
وَهَادِيهَا، وَخَيْرِ مَنْ يَحْدُو لِمَعَالِمِهِ الْمُشْرِفَةِ بِالْمَهْرِيَّةِ الْقَوْدِ حَادِيهَا، وَعَلَى آلِهِ
ذُوَابَةِ الْمَجْدِ الْفَارِعَةِ، وَعَصَابَةِ الرِّسَالَةِ الْبَارِعَةِ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَلُّوا قَتَامَ
الشَّرِكِ عَنْ وَجْهِ السَّمْحَاءِ، وَرَوَّضُوا بَعَوَارِضَ الْإِيمَانِ بِطَاحِ الْبَطْحَاءِ؛ وَالرِّضَا
عَنِ الْإِمَامِ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ مُطَّلِعِ شَمُوسِ الْحَقِّ بَعْدَ أَفْوَلِهَا، وَمُعِيدِ
مَعَالِي الْخِلَافَةِ إِلَى أُصُولِهَا.

وعن نجليه الإمام الخليفة المهدي سورة الملك وفاتحة كتابه، ومُحْيِي
مَعَالِمِ الْخِلَافَةِ الْمُؤَهَّلَةِ بِالْمَلُوكِ الصَّيْدِ أَعْقَابِهِ، وَمُصَلِّتِ سَيْفِ النُّصْرِ الَّذِي
دَانَتْ لَهُ الْفَتْوحُ الْمُتَوَالِيَةُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الْأَقْطَارُ الدَّانِيَةُ وَالْقَاصِيَةُ؛ وَدَوَّحَتْ
الشَّرْفَ الَّتِي بَسَقَتْ بِالْمَجْدِ وَالْعُلَا أَفْنَانُهَا وَأَوْرَقَتْ بِالْعَدْلِ الْمُتَفَيِّئِ الْظَّلَالِ
عَلَى التَّبْسِيطِ أَعْصَانُهَا؛ وَالذِّعَاءِ بِنُجْحِ الْأَمَالِ، الْفَسِيحَةِ الْمَجَالِ، وَالسَّعْدِ
الَّذِي لَا يَزَالُ لِسَانُهُ بِالْبَشَائِرِ وَالتَّهَانِي طَلَقَ الرَّوِيَّةَ وَالْأَرْتَجَالَ، لِمَوْلَانَا أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ بْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَصْمَةَ الدِّينِ وَهَضْبَةَ
شَرْفِهِ الْعُلْيَا، وَبِهَجَةِ الْمَلِكِ وَزَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَعْجُوبَةَ الدَّهْرِ وَآيَتِهِ، وَمُنْتَهَى
الْفَخْرِ وَغَايَتِهِ، الْعَزِيزِ الْوَجُودِ، وَعَيْنِ كُلِّ مَوْجُودٍ:

عُقِمَ النِّسَاءُ فَمَا يُلِدْنَ شَبِيهَهُ
إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقِمُ
جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ وَمَاثِرُهُ عَنِّ أَنْ تُحْصَى، وَيُنْفَدُ فِي جَانِبِهَا تَعْدَادُ الْكَوَاكِبِ
وَالْحَصَى:

وَمَنْ لِي بِحَضْرِ الْبَحْرِ وَالْبَحْرِ زَاخِرُ
وَمَنْ لِي بِإِحْصَاءِ الْحَصَى وَالْكَوَاكِبِ
مَاضِي الْعَضْبِ، وَحَامِي ذَمَارِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَسْلِ وَالْقُضْبِ وَمَجْلَى
سُدُو الرِّيبِ، وَنَاصِرِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ عَنِ الرَّبِّ:

فَمَنْ كَانَ أَوْ مَنْ قَدْ يَكُونُ كَأَحْمَدٍ
نِظَامًا لِحَقِّ أَوْ نِكَالًا لِمُلْحَدٍ
بَاهَتْ مَنَاقِبُهُ الْغُرَّ الشَّمُوسَ سَنَى وَسَنَاءً، وَأَنْبَتَتْ سَحَابِبُ جُودِهِ الْوَكَاةَ
فِي كُلِّ أَرْضٍ ثَرْوَةً وَعَنَاءً، إِنْ ضَحِكَ أَبْكَى بِالْبَدْلِ مَالَهُ، وَأَنْجَحَ لِلْمَعْتَفِي
أَمَالَهُ:

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا
غَلِقَتْ لَضَحْكِيهِ رِقَابُ الْمَالِ
عَلِمَ الْمَجْدِ وَبَيَّتْ شَرَفَهُ، وَرَفِيعُ عِمَادِ الْعُلَى وَمُشِيدُ غُرْفِهِ، وَوَلِي
السَّمْحَاءِ وَنَصِيرُهَا، وَبَدْرُ الْخِلَافَةِ الَّذِي أَزْدَمَى بِهِ مَنَبْرُهَا وَسَرِيرُهَا:

وَوَارِثُ الْمُلْكِ عَنِ شَمِّ غَطَارِفَةِ
بِهِمْ أَنْوْفُ الْخُطُوبِ الشُّمِّ تَجْتَدِعُ
مَأْمَنُ الْخَائِفِ، وَكَعْبَةُ الطَّائِفِ، وَسَعَادَةُ الزَّاجِرِ الْعَائِفِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ
الَّتِي أَطْبَقَ عَلَى الْخَلْقِ سَمَاوَهَا، وَأَظْلَمَهُمْ لَوَاؤَهَا؛ رَأَتْ أَيَّامُهُ الْغُرَّ فَعَادَتْ
مَوَاسِمَ، وَتُغَوَّرُ الْأَمَانِي بِهَا مَفْتَرَةٌ وَبِوَاسِمَ:

تَلُوخٌ فِي دَوْلَةِ الْأَيَّامِ دَوْلَتُهُ

كَأَنَّهَا مَلَّةٌ الْإِسْلَامِ فِي الْمِلَلِ

جَنَّةُ الْوَاوِدِ، وَمَنَاخُ الرَّائِدِ، وَمُجْزَلُ الْفَوَائِدِ، وَمُكْمِلُ الصَّلَّةِ بِالْعَائِدِ،
أَجْزَلُ الْمُلُوكِ نَدَى وَبَاسًا، وَأَكْرَمُهُمْ مَحْتِدًا وَنَفْسًا، وَأَمْنُهُمْ إِسْجَاحًا وَعَفْوًا،
وَأَبْعَدُهُمْ فِي الْمَجْدِ وَالْعِلَا شَاوًا:

تَعِيبَ الْمُلُوكِ مِرَاهِنِينَ وَرَاءَهُ

فَتَنَّاكَصُوا لَا يَلْحَقُونَ الشَّمَالَا

بَهَرَتِ الْعُقُولَ وَالْأَلْبَابَ آيَتُهُ، وَأَرَبَتِ عَلَيَّ كُلَّ غَايَةٍ فِي الْفَضْلِ غَايَتُهُ،
وَتَجَاوَزَتْ فِي كُلِّ مَائِرَةٍ الْمُنتَهَى، وَاسْتَعْلَى بِهَمَّتِهِ الْبَعِيدَةَ الْمَرْمَى عَلَى هَامَةِ
السُّهَى؛ وَغَادَرَتْ فِضَائِلُهُ وَفَوَاضِيلُهُ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً، وَغَدَّتْ بِمَنَاقِبِهِ الْأَمْثَالَ فِي
أَقْطَارِ الْمَعْمُورِ سَائِرَةً:

مَنْ لِلْمَدَائِحِ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ

وَقَدْ أَنَا فُتُّ عَلَى شُهْبِ السَّمَاءِ عَدَدَا

لَا زَالَ ظِلُّهُ الْمَمْدُودُ عَلَى الْبَسِيطَةِ مَنْشُورًا، وَذِكْرُهُ فِي دِيْوَانِ الْفَخْرِ
مَسْطُورًا، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ.

وَبَعْدُ فَإِنَّ دِيْوَانَ أَبِي الطَّيِّبِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُتَنَبِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا
كَانَ بِحَسَبِ رِقَّةِ الْغَزَلِ وَالنَّسِيبِ كَالرَّوْضِ بَاكِرُهُ الْحَيَا، وَجَزَالَةِ الْفَخْرِ
وَالْمَدِيحِ كَالرَّعْدِ اصْطُكَّتْ بِصَلْصَلَتِهِ مَسَامِعُ الدُّنْيَا، إِلَى مَا ضَمَّنَهُ مِنْ حَكَمٍ
تَقَفَتْ مِنْهَا الْفَرِيدَةُ فِي مَيْدَانِ الْمُحَاوَرَةِ مَوْقِفِ الرِّسَالَةِ الْبَارِعَةِ، وَتَنْهَضُ
لِلْمُسْتَشْهِدِ فِي مَقَامِ بِهَا فِي مَقَامِ الْمُنَاضِلَةِ بِالْحِجَّةِ الْبَالِغَةِ وَالشَّهَادَةِ
الْقَاطِعَةِ، وَأَمْثَالِ، يَرُوقُ لَضَرْبِ الْمَثَلِ بِهَا تِمَثَالِ، وَوَعِيدِ يَدِكَ الْجِبَالِ تَهْدِيدُهُ
دَكًّا وَيُصْبِكُ الْإِعْدَارُ بِهِ مَسَامِعَ الْمُرْجِفِينَ صَكًّا، وَاسْتِعْطَافِ يَبْعَثُ الرَّحْمَةَ
فِي الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ، وَيَسْتَنْزِلُ بِلَطَافَتِهِ الْعُضْمَ مِنْ قُنَنِ الشَّوَاهِقِ الرَّاسِيَةِ،

صارت المُلُوكُ بحفظه مولعةً، وَحِكْمُهُ وأمثاله في صدورهم مُودعةً وكان أشدَّهُم به ولوعاً، وَأَخْنَى عَلَيْهِ ضُلُوعاً، أَشْبَهُهُم لَطَافَةً بِرَقِيَّتِهِ، وَأَلْهَجَهُم لِسَاناً بِحِكْمَتِهِ، وَأَنْضَاهُمْ يَوْمَ الرُّوعِ لَسِيفِ جَزَائَتِهِ، وَأَجْرَاهُمْ فِي الإِقْدَامِ فِي حُومَةِ الهِيَاجِ وَالكِفَاحِ عَلَى دِلَالَتِهِ، وَأَحْسَنَهُمْ إِيرَاداً لأمثاله، وَأَرْشَقَهُم لِثَغْرَةِ السَّدَادِ بِسِيَاهِ الرَأْيِ المَصِيبِ وَنِبَالِهِ، وَأَنْفَذَهُم فِي المَلْحِدِينَ لِوَعِيدِهِ، وَأَعْظَمَهُم عَلَى المُؤْمِنِينَ مِنْ رَعَايَا اللّهِ وَعَبِيدِهِ، مَلِكِ المُلُوكِ، وَفَخْرِ المَالِكِ وَالمَمْلُوكِ، مَوْلَانَا الإِمَامِ الخَلِيفَةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ. وَنَاصِرِ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللّهِ مُحَمَّدَ الشَّيْخِ المَهْدِيِّ قَدَسَ اللّهُ نَفْسَهُ، وَطَيَّبَ بِأَنْفَاسِ المَغْفِرَةِ وَالرُّحْمَى رَمْسَهُ، كَانَ كَثِيراً مَا يَتَعَاطَاهُ عَلَى شَغْفٍ، وَيُعْرَبُ بِذَوْقِهِ السَّلِيمِ عَنِ حِكْمِ أُنَيْقَةِ القُرْطِ وَالشَّنْفِ، وَيَجَلِّي بِمَدَارِسِ الإِدْرَاكِ غُرْرَهُ، وَيَسْتَخْرِجُ بِفَهْمِهِ الثَّاقِبِ مِنْ بُحُورِ مَعَانِيهِ الزَّاجِرَةِ دُرْرَهُ، حَتَّى اشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَفْظاً وَدِرَايَةً، وَرَفَعَ لِلشُّهْرَةِ بِمَعْرِفَتِهِ الرَّايَةَ، وَمَا زَالَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يُوصِي بِحِفْظِهِ وَدِرَايَتِهِ إِلَى أَعْقَابِهِ الكِرَامِ وَبَنِيهِ، وَيُشِيرُ بِذَلِكَ عَلَى كُتَابِهِ وَعُلَمَاءِ وَقْتِهِ وَذَوِيهِ، فَكَانَ أَجْرَى بَنِيهِ عَلَى سَمْتِهِ فِي ذَلِكَ الطُّلُقِ، وَأَحْرَزَهُمْ فِيهِ لَخْضَلِ السَّبِقِ، أَجْرَاهُمْ فِي الجُمْلَةِ عَلَى هَدْيِهِ، وَأَكْثَرَهُمْ اقْتِدَاءً بِصَالِحِ عَمَلِهِ وَمَشْكُورِ سَعْيِهِ، بَيْتَ قَصِيدِهِمْ وَوَاسِطَةَ عَقْدِهِمْ، وَقُطْبُ المَعَالِي الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُ شَرَفِهِمْ وَمَجْدِهِمْ، مَوْلَانَا الإِمَامِ الخَلِيفَةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ.

فإِنَّهُ اليَوْمَ أَيْدَهُ اللّهُ كَالخَلِيفَةِ أَبِيهِ كَلَفَ بِمُطَالَعَتِهِ وَمُغْرَمَ وَوَلُوعَهُ المُنِيفِ قَدْ طَافَ بِمُعَاطَاتِهِ وَأَحْرَمَ، وَمَا زَالَ عَلَى المَدَى مُطْلِعاً لِشُمُوسِ حِكْمِهِ وَنَوَادِرِهِ فِي كَرِيمِ نَادِيهِ، وَمُجِيلاً لِقِدَاحِ المُحَاوَرَةِ فِيهِ مَعَ جِهَابَةِ هَذَا الشَّانِ وَأَهْلِ وَاوَدِيهِ، حَتَّى فَازَ مِنْ سِيَاهِ المَعْرِفَةِ بِمَعَانِيهِ وَأَسَالِيهِ وَمَبَانِيهِ بِالقُدْحِ المَعْلَى، وَصَارَ فِي حِفْظِهِ وَحِفْظِ الأَدَبِ عَلَى الجُمْلَةِ وَدِرَايَتِهِ آيَةً تُتْلَى، ثُمَّ لَمَّا غَدَا بِالتَّفَنُّنِ فِي ذَلِكَ عَلَى هَامِ الكَوَاكِبِ نَازِلاً، وَصَوَّرَتْ مِنْهُ الدِّرَايَةَ لِلْمَعَارِفِ الجَمَّةِ شَخْصاً مَائِلاً، وَأَقْدَرَتْهُ المَلَكَةُ فِيهَا عَلَى التَّصَرُّفِ المَطْلُوقِ، وَفَتَحَتْ لَهُ إِلَى الإِجَادَةِ فِي الاِخْتِيَارِ كُلِّ وَصِيدٍ مُغْلَقٍ، نَظَرَ إِلَى هَذَا الدِّيَوَانِ نَظَرَ مُشْفِقٍ عَلَى بَضَاعَتِهِ، وَغَيُورٍ عَلَى صِنَاعَتِهِ، فَرَأَى أَيْدَهُ اللّهُ عَدَمَ تَرْبِيَتِهِ،

وإغفال تبويبه، وحلوه جمعه من ضابط، وعرو موصوله من صلة وربط، نقصاً في إحسانه، وحصره في لسانه، وعاهة في شخصه وإنسانه إذ يعسر بذلك على مطالعه الاهتداء إلى قصده، والعثور بديهته على ما يشاء من هزله وجدّه. وعلى أن بعض الفضلاء وإن كان قد فوّق إلى هذا الغرض نباله، وأشرع إليه نصاله، وجرى في ترتيبه على حسب ما في وسعه ومقدوره، ونظم في قِلادة جمعه ما التقطه من فرائده وشذوره، فقل أن وجد في ترتيبه لشعره المشهور، مستقصياً في جمعه لنظمه الذي صححه أئمة المنظوم والمثور، إذ كان اقتصر على ما صحت عنده روايته، ووقف في الاجتهاد حيث وفت في مجال الدراية رأيه.

فأثر أيده الله الإتيان في ذلك بالجمع المتناهي، وجبر ما أغفله الساهي، بأن أمر خلد الله سلطانه، ومهد أوطانه، باستقصاء ما اشتملت عليه خزائنه الحافلة العلمية، واحتوت عليه من نسخ هذا الديوان العتيقة المنسوبة المروية، وأشار بتحرير نسخة منها تشتمل على نظمه المروي المجاز، وشعره الذي ليس في صحة روايته احتمال ولا مجاز، وأمر أيده الله ونصره، وأسعد آصاله وبكره، بترتيبها على حروف المعجم على طريقة المغاربة واصطلاحهم والجرى في وضعها على بيانهم وإيضاحهم، ليرتفع بهذا التحرير العجيب عن شعره المروي الشك والأزتياب، ويسهل بهذا الترتيب اهتداء المطالع إلى محل الحاجة من الكتاب، فلبى العبد المأمور دعوته، ونهج إلى الوفاء بما اقترحت همة العالية جادته المثلى وشريعته، ورمى إلى هذا الغرض عن قوس ذكائه ونبله ففرطسه، وأذكى على علم الإجادة فيه للطالبيين والراغبين قبسه، فنجح فيه بحمد الله القصد، وأنجز الوعد، وساعد النية الصالحة فيه السعد، والله المسؤول في إثابة المولى الكريم الخليفة على اعتنائه الجميل في إحياء العلم ونشره وأن ينفعه بذلك منفعة يجدها أسنى القربات يوم عرض الخلق وحشره، وأصلي على سيد الأولين والآخرين صلاة دائمة إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

- 2 -

الطَّرر

طرر حرفي الألف والباء(*)

قافية الألف المتحركة

1- فالسَّلمُ يكسرُ من جناحي مالِه
بنوَالِه ما تجبر الهيجاءُ
من قول أبي تمام:

إذا ما أغاروا فاحتوا مالَ مُعسرٍ
أغارَتْ عليه فاحتوته الصَّنائعُ⁽¹⁾
2- وهبني قلتُ هذا الصُّبحُ ليلٌ
أيغمي العالمون عن الضِّياءِ
هذا البيت ينظر إلى قول ابن الرومي:

أسقط المدحَ فيكَ أن لم يُبَيِّنْ منْ
ك خَفِيًّا وهَلْ لصبحٍ خفاءُ⁽²⁾
3- تطيعُ الحاسدينَ وأنتَ مرءٌ
جُعلتُ فداءه وهُمُ فدائي

(*) اقتضرت هنا على طرر حرفي الألف والباء وفي النية إخراجها كلها فيما بعد إن شاء الله.
(1) ديوان أبي تمام 4: 588.
(2) ديوان ابن الرومي 1: 41. دار المعرفة - بيروت.

من قول الحصني:

فدتك نفسي ويفدني أعاديكا
بل كلُّ من فوق ظهر الأرض يفديكا⁽³⁾
4- مضت الدهورُ وما أتينَ بمثله
ولقد أتى فعجزنَ عن نظرائه

مأخوذ من قول حبيب:

هيات لا يأتي الزمان بمثله
إن الزمان بمثله لبخيل⁽⁴⁾
وأخذه حبيب من قول الأول:

عقم النساءُ فما ولدن مثاله
إن النساءُ بمثله عُقمُ
5- أنتَ أعلى محلَّةً أن تُهنِّي
بمكانٍ في الأرض أو في السماء

ينظر إلى قول ابن الرومي:

أنتَ أعلى من أن يقولَ لك القا
ثُلُ يهنيك إن وليت ولاية
6- ولك الناسُ والبلادُ وما يسـ
رَحُ بين الغبراءِ والخضراءِ

(3) انظر المنصف: 329 .

(4) ديوان أبي تمام 4: 102 .

من قول عدي:
ولك الأهلُ والبنونَ وما تَمَّ
لِكَ من ثابتٍ ومن مُستاقٍ
7- وبِمِسْكِ يُكْنَى به لَيْسَ بِالْمَسِّ
ك وَلَكِنَّهُ أَرِيحُ الثَّنَاءِ

من قول العطوي:

فليسَ نسيماً المسكِ ما تجدانِهِ
ولكنَّه ذاك الثناء المُخلدُ
8- فارمِ بي ما أردت مني فإني
أسدُ القلبِ آدميِّ الرواءِ

ينظر إلى قول أبي تمام:

أسرى بنو الإسلامِ فيه وأدَلجوا
بقلوبِ أسدٍ في صدورِ رجالٍ⁽⁹⁾

قافية الباء

9- يزورُ الأعادي في سماءِ عِجاجةٍ
أَسْتَه في جانبيها الكواكبُ

ينظر إلى قول بشار:

(9) ديوان أبي تمام وسرقات المتنبي للشتريني: 8.

كَأَنَّ مُثَارَ النَّعْرِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا
وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ⁽¹⁰⁾
10 - طَلَعْنَ شَمُوساً وَالْغُمُودَ مَشَارِقُ
لَهْنٍ وَهَامَاتُ الرَّجَالِ مَغَارِبُ
ينظر إلى قول عبدالله بن المعتز:

مُتَرَدِّباً نَصِلاً إِذَا
لَاقَى الضَّرِيبَةَ لَمْ يَرَاقِبْ
فَكَأَنَّهُ فِي الْحَرْبِ شَمْسُ
وَالرُّؤُوسُ لَهُ مَغَارِبُ⁽¹¹⁾
11 - دَمَعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا
لَأَهْلِيهِ وَشَفَى أُنَى وَلَا كَرَبَا
هذا البيت يشبه قول الواثلي:

سَأَشْكُرُ الدَّمْعَ إِنْ الرَّبْعَ كَانَ لَهُ
حَقٌّ فَقَامَ لَهُ عَنْهُ بِوَأَجِبِهِ⁽¹²⁾
12 - سَقَيْتَهُ عِبْرَاتٍ ظَنُّهَا مَطْرًا
سَوَائِلًا مِنْ جَفُونِي ظَنُّهَا سُحْبًا
هذا ينظر إلى قول أبي تمام حبيب:
مَطْرٌ مِنَ الْعِبْرَاتِ خَدِّي أَرْضُهُ
حَتَّى الصَّبَاحِ وَمَقْلَتَايَ سَمَاوُهُ⁽¹³⁾

(10) ديوان بشار 1-318 . . .

(11) ديوان ابن المعتز 3: 246 والمنصف: 318.

(12) المنصف: 388.

(13) ديوان أبي تمام 4: 148 والمنصف: 388، 531.

13- بيضاء تُطمعُ فيما تحت حُلَّتْها
وعَزَّ ذلكَ مطلوباً إذا طُلبا

يشبه قول الآخر:

سألتك حاجةً فأجبتَ عنها
بأسرعَ ما يكونُ من الجوابِ
فلَمَّا رمَتْها رمتُ الثريّاً
وأبعد ما يكون من السحاب⁽¹⁴⁾

14- كأنها الشمسُ يُعبي كَفَّ قابضِهِ
شُعاعُها ويراهُ الطرفُ مُقترباً

يشبه قول ابن أبي عيينة:

فقلتُ لأصحابي هي الشمسُ ضوءُها
قريبٌ ولكن في تناولها بُعدُ⁽¹⁵⁾
15- لو حلَّ خاطِرُهُ في مُقعدٍ لَمْشى
أو جاهلٍ لصحا أو أخرسٍ خَطباً

يشبه قول الآخر:

ومقعدٍ قومٍ قد مشى من شراينا
وأعمى سَقَيْنَاهُ ملياً فأبصرا⁽¹⁶⁾
16- إذا بدا حجبتَ عينيكَ هيبتهُ
وليسَ يحجبُهُ سترٌ إذا احتجبا

(14) الوساطة: 261 المكبري 1: 112.

(15) المنصف: 391.

(16) المنصف: 392 (بدون نسبة).

ينظر إلى قول البحتري :

وإن أتى دونه الحُجَّابُ فما
تُحجَّبُ عَنَّا آلاءُ حُجِّبِهِ⁽¹⁷⁾

وكان صدر بيت أبي الطيب من قول الفرزدق:

يُغضِي حياءً وَيُغضِي من مهَابِتِهِ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حينَ يبتَسِمُ
17- تحلو مذاقته حتى إذا غَضِبَا
حالتُ فلو قطرت في الماءِ ما شربَا

ينظر إلى قول ابن المعتز:

لَوْ أَنَّ ما تبتليني الحادِثاتُ بِهِ
يصبُّ في الماءِ لَمْ يشربْ من الكَدْرِ⁽¹⁸⁾
18- وتغبط الأرضُ منه حيث حلَّ بِهِ
وتحسُدُ الخيلُ منها أيها ركبَا

قوله وتحسد الخيل من قول الآخر⁽¹⁹⁾:

ومن له تخشعُ الملوكِ وَمَنْ
تُزهِى به الخيلُ حينَ يركبُها
19- هزَّ أَللواءُ بنو عَجَلٍ بِهِ فَعَدَا
رأساً لَهُمْ وُعَدَا كُلُّ لَهُمْ ذنبَا

(17) ديوان البحتري 1: 281 والمنصف: 15.

(18) المنصف: 395.

(19) هو ابن دريد كما في المنصف: 396 والبيت ليس في الديوان.

قوله فغدا رأساً وما بعده من قول الحطيئة:

قومٌ هم الأنفُ والأذنانُ غيرهم
ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا⁽²⁰⁾
20- مبرقي خيلهم بالبيض متّخذي
هام الكُماة على أرماجهم عذبا

قوله متخذي هام الكُماة وما بعده يشبه قول بعضهم:

من كلّ ذي لمة غطت ظفائرها
صدر القناة فقد كادت ترى عذبا
21- مراتب صعّدت والفكر يتبعها
فجاز وهو على آثارها الشُّها

قوله فجاز وما بعده يشبه قول ابن الرومي:

وسمت همّتي فجاورت العيو
ق بعداً أو جازت العيوقا⁽²¹⁾
22- مكارم لك فت العالمين بها
من يستطيع لأمرٍ فائت طلبا

هذا البيت يشبه قول البحري:

أيها المبتغي مساجلة الفتح
تبغيت نيل ما لا يُنال⁽²²⁾

(20) المنصف: 398، 426.

(21) ديوان ابن الرومي 4 1713 والمنصف: 399.

(22) ديوان البحري

23 - بكلّ أشعثَ يلقى الموتَ مُبتسماً
حتى كأنّ له في قتله أرباً

قوله حتى كأن وما بعده يشبه قول أبي تمام:

يستعذبون مناياهم حتى كأنهم
لا ييأسون من الدنيا إذا قُتلوا⁽²³⁾

24 - بأبي الشموس الجانحات غواربا

قوله الجانحات غواربا يشبه قول البحري:

شمس تآلت والفراق غروبها
عنا وبدر والصدور غوارب⁽²⁴⁾
25 - ونصبني غرض الرماة تُصيبني
محنّ أحد من السيوف مضاربا

يشبه قول الآخر:

في كل يومٍ لها نبلٌ مفرقة
كأنني غرضٌ تنحوهُ أو هدْفُ⁽²⁵⁾
26 - فكأنما كُسي النهارُ بها دجى
ليل واطلعت الرماح كواكباً

من قول بشار:

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه⁽²⁶⁾

(23) ديوان أبي تمام 3: 17 والمنصف: 257، 326.

(24) ديوان البحري.

(25) البيت منسوب للحصني في المنصف: 432.

(26) ديوان بشار 1: 318 والمنصف: 317.

27- أُسْدٌ فَرَأَتْهَا الْأَسْوَدُ يَقُودُهَا
أُسْدٌ تَصِيرُ لَهُ الْأَسْوَدُ ثَعَالِيَا

من قول عبدالله بن المعتز:

أُسْدٌ فَرَأَتْهَا الْأَسْوَدُ وَلَا تَطَأُ
إِلَّا عَلَى الْأَسَادِ يَوْمَ حُرُوبِهَا⁽²⁷⁾

وعجزه من قول بعضهم:

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ كَانَ قَبْلَكَ ضَيْغَمًا
حَتَّى إِذَا مَا خِيفَ عَاوِدُ ثَعْلَبًا⁽²⁸⁾
28- فِي رَتْبَةٍ حَجَبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا
وَعَلَا فَسَمَّوَهُ عَلِي الْحَاجِبَا

يشبه قول ابن الرومي:

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَّاهُ صَاعِدًا
دَرَى كَيْفَ يَرْقَى لِلْمَعَالِي وَيَصْعَدُ⁽²⁹⁾
29- كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا
جُودًا وَيَبِيعُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبَا

يشبه قول مسلم:

هُوَ الْبَحْرُ يَغْشَى هَوَا الْأَرْضِ فَيُضُّهُ
وَيَدْرِكُ أَطْرَافَ الْبِلَادِ سَوَاحِلَهُ⁽³⁰⁾

(27) ديوان ابن المعتز: 1: 394 والمنصف: 437.

(28) البيت منسوب للمريمي في المنصف: 437.

(29) ديوان ابن الرومي 2: 591 والمنصف: 437.

(30) ديوان مسلم بن الوليد: 146 والمنصف: 438.

30 - شادوا مناقبهم وشدت مناقباً
وجدت مناقبهم بهن مثاليًا

يشبه قول أبي تمام:

مَسَاعٍ لَأَقْوَامٍ مَتَى تَقْرِنُوا بِهَا
محاسن أقوام تكن كالمعايب⁽³¹⁾

ويشبه قول أبي المعتصم:

إذا نحن عددنا محاسنه اغتدى
محاسن أهل الأرض فيها مساويا⁽³²⁾
31 - تدبيرُ ذي حُنك يفكر في غدٍ
وهجوم غرٌّ لا يخاف عواقبا

يشبه قول البحري:

ملكٌ له في كلِّ يومٍ كَرِيهَةٌ
إقدامٌ غرٌّ واعتزامٌ مجرّب⁽³³⁾
32 - خُذْ مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ
لا تَلْزَمْنِي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبَا

ابن الحاجب:

جَهَدْتُ فَلَمْ أَبْلِغْ صِفَاتِكَ كُلَّهَا
فقلْتُ على مقدار ما احتمل الوُسْعُ⁽³⁴⁾

(31) ديوان أبي تمام 1: 191 والمنصف: 439.

(32) المنصف: 439.

(33) ديوان البحري 1: 81 والمنصف: 439.

(34) المنصف: 440.

33- أبا سعيد جنب العتابا
فربّ رائبي خطأ صوابا

ينظر إلى قول منصور النمري:

لعلّ له عذراً وأنت تلومُ
وكم لائمٍ قد لام وهو مُليم⁽³⁵⁾
والمليم الذي أتى ما يلام عليه قال الله تعالى: فالتقمه الحوت وهو
مليم.

34- ما يجيلُ الطرفَ إلا حمدتُهُ
جهدها الأيدي وذمتُهُ الرقابُ

معنى هذا البيت أنه يصل أوليائه وقاصديه فيملاً أيديهم معروفاً
ويقتل أعداءه فتذمه رقابهم والبيت ينظر إلى قول العكوك:

وما مددت مدي طرفٍ إلى أحدٍ
إلا قضيت بأرزاق وآجال⁽³⁶⁾

وبهذا البيت احتج المأمون في قتل العكوك فإنه لما سمع قوله
في أبي دُلف:

كل ما في الأرض من عرب
بين باديه ومحتضره
مستعيرٌ منه مكرمةً
يكتسيها يوم مفتخره

(35) المنصف: 202.

(36) ديوان العكوك: 66.

أمر بطلبه وكتب لجميع الأقطار بحبسه فحبس وعقل بالشامات وأتي به إليه فقال له كيف تجعلنا نكتسب المكارم من ممدوحك ولكن لم استحلّ دمك بهذا وإنما أستحلّه بقولك: وما مدت مدى طرف البيت. أخرجوا لسانه من قفاه فقتل سنة ثلاث عشر ومائتين.

35 - طاعن الفرسان في الأحداق شَرّاً
وعجاجُ الحرب للشمس نِقابُ

يشبه قول الأفوه الأودي:

تخلى الجماجمَ والأكفَّ سيوفنا
ورماحنا بالطعن تنتظم الكلا
36 - لما نسبتَ فكنت ابناً لغير أب
ثم اختُبرت فلم ترجع إلى أدب

ألمّ فيه بقول الأول:

ليس له ما خلا اسمه نسب
كأنه آدم أبو البشر⁽³⁷⁾
37 - ضروبُ الناسِ عُشاقُ ضروباً
فأعذرهمُ أشقَّهمُ حبيباً

هذا البيت ينظر إلى قول سعيد ابن حميد:

قَدْ عَشِقْتُ الَّذِي إِذَا اعْتَذَرَ الْعَا
شِقُّ فِيهِ فَعَذْرُهُ مَقْبُولُ

(37) المصنف: 579.

38- وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادِي
فَهَلْ مِنْ زُورَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا

يشبه قول طاهر بن الحسين:

أَطِيبُ الطَّيِّبَاتِ قَتْلُ الْأَعَادِي
وَإِخْتِيَالِي عَلَيَّ مَتُونِ الْجِيَادِ
39- شَدِيدُ الْخُنْزَوَانَةِ لَا يُبَالِي
أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أَوْ أُصِيبَا

البيت من قول سعد بن ناشب المازني:

إِذَا هُمْ لَمْ يَرْدَعْ عَزِيمَةَ هَمِّهِ
وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبَا⁽³⁸⁾

وكانه أيضاً من قول عباس بن مرداس:

أَكْرَهُ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي
أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمَّ سِوَاهَا⁽³⁹⁾
40- كَانَ الْفَجْرَ حِبُّ مَسْتَزَارُ
يُرَاعِي مِنْ دُجْنَتِهِ رَقِيبَا

البيت ينظر إلى قول الأول:

وَقَدْ لَاحَ لِلْسَارِي سَهِيلُ كَأَنَّهُ
عَلَى كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ رَقِيبُ

وقول ابن المعتز:

(38) الحماسة 1: 73 وهو برواية أخرى منسوبة إلى مالك بن الربيع في المنصف: 608

(39) المنصف: 608.

في ليلةٍ ما راعني فيها سوى
شبه النجوم كأعين الرقباء⁽⁴⁰⁾

وزاد عليهما أبو الطيب ذكر الحب فجاء بيته أكمل.

41- أقلبُ فيه أجفاني كأنني
أعدُّ به على الدهرِ الذنوبا

هذا يساوي قول بعضهم:

أنا أحصي لك النجومَ ولكن
لذنوب الزمانِ لستُ بمحصي⁽⁴¹⁾
42- إلى ذي شيمةٍ شغفتُ فؤادي
فلولاهُ لقلتُ بها النسبِبا

ينظر إلى قول أبي تمام:

طابَ فيه المديحُ والتدحُّ حتى
فاقَ وُصفَ الديارِ والتشبيبا⁽⁴²⁾
43- قسا فالأسدُ تفزعُ من يديهِ
ورقٌ فنحنُ نَفزعُ أنْ يذوبا

قوله ورق إلى آخره ينظر إلى قول أبي تمام:

فقصرنا دونك الأبصار
خوفاً أنْ تذوبا⁽⁴³⁾

(40) ديوان ابن المعتز 2: 13 والمنصف: 608.

(41) لم يرد في المنصف: 609.

(42) ديوان أبي تمام 1: 161. ولم يرد في المنصف.

(43) ديوان أبي تمام ولم يرد في المنصف.

44- أشدُّ من الرياحِ الهوجِ بطشاً
وأسرُعُ في الندَى منها هُبُوباً

ينظر إلى قول أبي تمام:

رياحُ كريحِ العنبرِ المَحضِ في الندَى
ولكنَّها يومَ اللِّقاءِ زَعازِعُ⁽⁴⁴⁾

وقول ابن أبي زرعة:

نَسِيمُ الصِّبَا لِلطَّالِبِ العُرفِ رِيحُهُ
وللكاشحينِ الخُزْرِ نكباءُ عاصِفُ⁽⁴⁵⁾
45- إِذَا نُثِلْتُ كَنائِنُهُ اسْتَبَنَّا
بأنصليها لأنصليها نُدُوباً

ينظر إلى قول الآخر:

نَجْلٌ يُتَّبَعَنَّ السَّهَامُ بِمِثْلِهَا
فلهنَّ مِنْ تَحْتِ النُّدُوبِ نُدُوبُ⁽⁴⁶⁾
46- وما رِيحِ الرِّياضِ لها ولكِنِ
كَسَّاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرْبِ طَيِّباً

هذا البيت ينظر إلى قول المسيب:

وما المسكُ تَرَبُّ مَقاماتِهِمْ
وتَرَبُّ قَبورِهِمْ أَطيبُ

(44) ديوان أبي تمام ولم يرد في المنصف.

(45) لم يرد في المنصف.

(46) المنصف: 609.

47- فلا زالت ديارك مُشرقاتٍ
ولا دانيت يا شمسُ الغروبِ

عجزه ينظر إلى قول ابن الرومي:

فيا بدرًا ينيرُ بلا أفولٍ
ويا شمساً تضيءُ بلا غروبٍ⁽⁴⁷⁾

48- لأصبح آمناً فيك الرّزايا
كما أنا آمِنُ فيك العيوبِ

هذا البيت ينظر إلى قول بعضهم:

أسالمُ قدّ سلمت من العيوبِ
ألا فاسلمم كذاك من الخطوبِ

49- الطيب ممّا غنيت عنه
كفى بقربِ الأميرِ طيباً

يقرب من قول ابن الرومي:

فتى لا يعدّ الطيبَ ضربةً لازبٍ
ولكنه من نفسه متعطرٌ

50- إذا نظر البازُ في عطفه
كسته شعاعاً على المنكبِ

ينظر إلى قول أبي نواس:

يقلّب طرفاً طُحُور القنّدى
يُضيءُ خده

(47) البيت لابن الرومي الديوان ا: 224.

51- أعيّدوا صباحي فهو عند الكواعبِ
وردّوا رُقادي فهو لحظ الحبائبِ

هذا البيت بجملته في عجز بيت أبي تمام:

قرى دارهم مني الدموعُ السوافكُ
وإن عادَ صبحي بعدهم وهو حالِكُ
52- فإن نهاري ليلةٌ مدلهمةٌ
على مُقلّةٍ من فقدكم في غياهِبِ

البيت ينظر إلى قول أبي تمام:

عادتْ لَهُ أيامُهُ مسوّدّة
حتّى توّهّمَ أنهنَّ ليالي

وإنما أخذه أبو تمام من قول الآخر:

صبّت عليّ مصائبٌ لو أنّها
صُبّت على الأيامِ عُدنَ لياليا

53- تخوّفني دون الذي أمرتْ به
ولم تدرِ أنّ العارَ شرُّ العواقبِ

ألّم فيه بقول القائل:

وموتٌ لا يكونُ عليّ عاراً
أحبّ إليّ من ذُعاقِ
54- إليّ لعمري قصْدُ كلِّ عجيبةٍ
كأنّي عجيبٌ في عيونِ العجائبِ

ينظر إلى قول أبي تمام:

على أنها الأيامُ قد صرْنَ كلَّها
عجائبٌ حتى ليسَ فيها عجائبُ
55- فقد غيَّبَ الشُّهَادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ

هذا مليح، فأما مسلم فإنه يقول:

نَفَضْتُ بِهِ الْأَمَالَ أُخْلَاسَ الْعَنَا
وَاسْتَرْجَعْتُ نُزَاعَهَا الْأَمْصَارُ
56- رَمَوْا بِنَوَاصِيهَا الْقَيْسِي فَجُبْنَهَا
دوامي الهوادي سالماتِ الجوانبِ
ينظر إلى قول أبي تمام:

مَسْلَمَةٌ فِي الْحَرْبِ أَكْفَالُ خَيْلِنَا
وَدَامِيَةٌ لِبَاتُهَا وَصُدُورُهَا
57- أَوْلَيْكَ أَحْلَى مِنْ حَيَاةٍ مَعَادَةٍ
وَأَكْثَرَ ذِكْرًا مِنْ دَهْوَرِ الشَّبَابِ
ينظر إلى قول بعضهم:

ذَكَرْتُكَ ذِكْرَةَ جَذِبْتَ ضَلُوعِي
إِلَيْكَ كَأَنَّهَا ذَكَرِي تَصَابِي
58- وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًا
وَيُذْرِكُ مَا لَمْ يُذْرِكُوا غَيْرَ طَالِبٍ
ينظر إلى قول ابن الرومي:

تَطَاوَلَ أَمْلَاكَ وَقَصَّرَ جِهْدُهُمْ
وَنَالَ الثَّرِيًّا عَفْوَهُ وَهُوَ جَالِسٌ (48)

(48) ديوان ابن الرومي 3: 1224.

وقال آخر:

أَتَرْجُو أَنْ تُدَانِي سَعْيَ قَوْمٍ
وَهُمْ سَبَقُوا أَبَاكَ وَهُمْ قُعُودُ
وقال ابن الحاجب:

ما نالَ من شرفٍ رئيسُ قائماً
ما ناله بندي يديه قاعداً
59- وَيُحَدِّدِي عَرَانِينَ الْمُلُوكِ وَإِنَّهَا
لِمَنْ قَدَمِيهِ فِي أَجْلِ الْمَرَاتِبِ
هذا من قول كثير:

وَسَعَى إِلَيَّ بَعِيبٌ عَزَّةَ نَسْوَةٍ
جَعَلَ الْإِلَاهُ خَدُودَهُنَّ نِعَالَهَا
60- يَدُّ لِلزَّمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
لِتَفْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ
ينظر إلى قول أبي تمام:

إِذَا أَلْعِيشُ لَاقَتْ بِي أَبَا دُلْفٍ فَقَدْتُ
تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ
61- يَرَى أَنْ مَا مَا بَانَ مِنْكَ لَضَارِبٍ
بِأَقْتَلِ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبِ
ينظر إلى قول أبي تمام:

فَتَى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ مَقْتَلُ
وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعُيُوبَ الْمُقَاتِلُ
62- أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ
تَعَزَّرَ فَهَذَا فَعَلَهُ بِالْكَتَائِبِ

يشبه قول بعضهم:

فعلتُ بمالكٍ فيه كَفَكٌ مثَلما
فعلتُ سيوفُك في الظلا والهامِ
63- حمالةُ ذا الحُسامِ على حُسامٍ
وموقعُ ذا السَّحابِ على سحابِ

صدر البيت من قول ابن الرومي:

سيفٌ ترداه سيفٌ غير ذي طَبَعٍ
كأنما الرُّمَحُ يمشي في حمائله
وعجزه من قول البحري:

سقى جوده جود السحابِ ومن رأى
حيا ماطر تسقيه ديمة ماطرٍ
64- وما ينفكُ منك الدهرُ رَطْباً
ولا ينفكُ غيثُك في انسكابِ

هذا ينظر إلى قول العكوك:

وحميدٌ يَجوُدُ في كلِّ حينٍ
ولقَطَرِ النداءِ وقتٌ وحينُ
65- فديناك أهدى الناسِ سهماً إلى قلبي
واقتلهم للدارعينِ بلا حَرْبِ

ينظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة:

بنفسي من أشتكي حُبّه
ومن إن شكا الحبَّ لم يكذبِ

وَمَنْ لَا سِلَاحَ لَهُ يَتَّقِي
وَإِنْ هُوَ قَاتَلَ لَمْ يَغْلِبْ
66- تفرّد بالأحكامِ في أهله الهوى
فأنت جميلُ الخلقِ مستحسنُ الكذبِ

ينظر إلى قول مسلم:

تكذبُ في الوعدِ كلما وعدت
حتى صرتُ أشتهي الكذبا
67- وإني لممنوع المقاتل في الوغى
وإن كنتُ مبدول المقاتلِ في الحبِّ

ينظر إلى قول أبي ذُلف:

إننا بأسيا فإنا نعلو أكابرنا
قهرًا وتقتلنا الولدانُ بالمُقل (49)
68- لا يحزن الله الأمير فإني
سأخذ من حالاته بنصيب

هذا البيت ينظر إلى قول أبي تمام بل منه:

وسألت عن حالي فسأل عن حاله
دونني فحالي قطعةٌ من حاله
69- يعز عليه أن يخلّ بعبادةٍ
وتدعو لأمرٍ وهو غير مُجيب

ينظر إلى قول الديك في جاريته:

(49) المنصف: 534.

أَلَا تُجِيبِينَ مَنْ يَدْعُوكِ بِاسْمِكَ يَا
مَنْ كَانَ عَزَّ عَلَيْهَا أَنْ أُنَادِيهَا

وقال متمم بن نويرة:

وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِاسْمِكَ لَا تَجِبُ
وَكُنْتُ حَرِيًّا أَنْ تُجِيبَ وَتَسْمَعَا
70- كَفَى بِصَفَاءِ الْوُدِّ رِقًّا لِمِثْلِهِ
وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلْيَبِ

ينظر إلى قول ابن دريد:

حَرٌّ تَعَبْدُهُ اصْطِنَاعُكَ عِنْدَهُ
وَلِشَرِّ أَحْرَارِ الرِّجَالِ عَيْدُهُ
71- عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ إِنْ كَانَ نَافِعًا
بِشَقِّ قُلُوبٍ لَا بِشَقِّ جُيُوبِ

أخذه من قول أبي تمام:

شَقَّ جُيُوبًا مِنْ رِجَالٍ لَوْ اسْطَا
عَوَا لِشَقِّ مَا وَرَاءَ الْجُيُوبِ

وقال الوأواء:

لَيْسَ بِالْحَزَنِ أَنْ تَشَقَّ جُيُوبُ
إِنَّمَا الْحَزْنُ أَنْ تَشَقَّ الصُّدُورُ

وأنشد ابن الرومي لنفسه:

وَمِنْ دُونِ مَا أَلْقَاهُ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى
تُشَقُّ جُيُوبٌ بَلْ تُشَقُّ قُلُوبُ

72- إذا استقبلت نفسُ الكريم مُصابها
بُخْبِثِ ثُنْتُ فاستدبرتهُ بطيبٍ

ينظر إلى قول عبد الصمد بن المعذل:

دللت نفسي لروعات الردى
وفجعات البين حَتَّى ما تروع (؟)

ويشبه قوله:

وها أنا ما أبالي بالرزايا
لأنِّي ما انتفعت بأنَّ أبالي
73- فَدَيْنَاكَ مِنْ رِبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبًا
فإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالغَرْبَا

سلك أبو الطيب مسلك أبي نواس:

ترى حيثُما كانتُ من البيتِ مشرقا
وما لم تكنُ فيه من البيتِ مغربا
74- نزلنا عنِ الأكوارِ نَمشي كرامَةً
لَمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نَلَمَّ بِهِ رَكْبًا

ينظر إلى قول أبي تمام:

دارُ أجلِ الهوى عن أن ألمَّ بها
في الركبِ إلَّا ودَمَعِي مِنْ مَنَائِحِهَا
75- ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت
على عينه حتى يرى صدقها كذبا

كقول الحكيم: ترداد حركات الملك تحيل الكائنات عن حقائقها.

76- وَخَلَّى الْعَدَارَى وَالْبَطَارِقَ وَالْقُرَى
وَشُعَّتْ النَّصَارَى وَالْقُرَابِينَ وَالصُّلْبَا

ينظر إلى قول أبي تمام:

أَحْدَى قُرَابِيئَتُهُ صَرْفَ الرَّدَى وَمَضَى
يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ عَلَى الْهَرَبِ
77- وَيَخْتَلِفُ الرَّزْقَانِ وَالْفَعْلُ وَاحِدٌ
إِلَى أَنْ تَرَى إِحْسَانَ هَذَا لَذَا ذَنْبَا

هذا من قول ابن دريد:

أَرَى السَّبَبَ الْمَدَنِيَّ السَّعِيدَ إِلَى الْغِنَى
بِهِ يَمْنَعُ الْمَرْءُ الشَّقِيَّ وَيُحْرَمُ
78- تَصُدُّ الرِّيحُ الْهَوْجَ عَنْهَا مَخَافَةً
وَتَفْرَعُ فِيهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقَطَ الْحَبَا

ينظر إلى قول الآخر:

وَكَانَتْ لَا يَطِيرُ الطَّيْرُ فِيهَا
وَلَا يَسْرِي بِهَا لِلجَنِّ سَارِ
79- لِأَمْرِ أَعَدَّتْهُ الْخِلَافَةُ لِلْعَدَى
وَسَمْتَهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمِ الْعَضْبَا

يجانس قول مسلم:

حَاطَ الْخِلَافَةَ سَيْفٌ مِنْ بَنِي مُضِرِّ
أَقَامَ قَائِمُهُ مَنْ كَانَ ذَا مِيلِ
80- وَلَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ
كَرِيمِ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطٌّ وَلَا سَبَا

[مأخوذ] مما أنشده أبو تمام في حماسته :

يا أيُّها المُتمنِّي أن يكونَ فتىً
مِثْلَ ابنِ زَيْدٍ لَقَدْ خَلَى لَكَ السُّبُلَا
اعْدُدْ ثَلَاثَ خِلالٍ قد عرفن به
هل سَبَّ مِنْ أَحَدٍ أو سُبَّ أو بِخِلا

وفيما أنشده أبو تمام زيادة وهي نفي البخل عن ممدوحه .

81- وإن كان ذنبي كلَّ ذنبٍ فإنَّه
محا الذَّنْبُ كلَّ المحو من جاء تائباً

من قول الأول:

إذا اعتذَرَ الجاني محا العذْرُ ذنبُهُ
وكلُّ امرئٍ لا يقبَلُ العُذْرَ مذنبُ
82- وَكَيْفَ تَنوُبُكَ الشُّكُوَى بداءٍ
وأنتَ المستغاثُ لِمَا يَنوُبُ

ينظر إلى قول بعضهم:

وأنتَ طبيبٌ للخطوبِ فداوها
إذا حدثت أدواؤها بدوائها

وقد أخذه من قول جرير:

إذا مرضت قلوبهم شفاها
نطاسيُّ بدائهمُ طبيبُ

وقد أخذ منه أيضاً أبو تمام:

كان داء الإِشْرَاقِ سَيْفُكَ واشـ
تَدَّتْ شِكاةُ الْهُدَى فَكُنْتُ طَبِيباً
84- ففَرَّظْهَا الْأَعْنَةَ راجِعَاتٍ
فإنَّ بَعِيدَ ما طَلَبْتَ قَرِيبُ

من قول بعضهم:

تَرى بَعِيدَ الشَّيْءِ كَالقَرِيبِ
84- بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الوَضَاءِ تُمَسِي
جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ ما تَغِيبُ

عجزه من قول البحري:

كَالبَدْرِ إِلَّا أَنها لا تَجْتَلِي
كَالشَّمْسِ إِلَّا أَنها لا تَغْرُبُ
85- وَلِلْحَسَادِ عَذْرُ أن يَشْحَوُا
عَلَى نَظَرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يذُوبُوا

ينظر إلى قول بعضهم:

وَاعذِرْ حَسودَكَ فِيمَا قَدْ حَكَاهُ لَنَا
إِنَّ الْعُلَا حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الحَسَدُ
86- فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ
عَلَيْهِ تَحَسَدُ الْحَدَقُ القُلُوبُ

من قول بعض الأعراب:

أَنافِسْ مِنْ نَاجَاكَ مَقْدَارَ لَفْظَةٍ
وَبِعْتادُ نَفْسِي إِنْ نَأَيْتَ حَينُها

وإن وجوهاً تصطفيها بنظرة
إليك لمحسودٌ عليك عيونها
87- وما تركوك معصيةً ولكن
يُعافُ الورْدُ والموتُ الشرابُ

ينظر إلى قول القائل:

كهجر الحائِماتِ الورْدَ لَمَّا
رَأَتْ أَنَّ المنيَةَ في الورودِ
تفيض نفوسُهُم غمًّا وتحشى
جِماماً فهَيَ تنظر من بعيدِ
88- فقاتلَ عن حريمهم وفروا
ندى كفيك والنسبُ القرابُ

ينظر إلى قول منصور النمري:

عطفَ بأحلام الملوك وناشدتُ
لهم رحمٌ ما زلتَ منها ترممُ
89- تُكفِّفُ عنهم صمَّ العوالي
وقد شرفتُ بظعنهم الشعابُ

ينظر إلى قول بعضهم:

رددت القنا ظمآنَ عنهم وأغمدتُ
على جفنها بيضُ السُيوفِ البواترِ
90- وليس مصيرهنَّ إليك شيئاً
ولا في صونهنَّ لديك عابُ

ينظر إلى قول النابغة الذبياني:

قَدْ عَيَّرْتَنِي بَنُو ذِيَّانَ خَشِيَّتَهُ
وهل علي بأن أخشاه من عار
91- وكيف يتم بأسك في أناسٍ
تُصِيبُهُمْ فَيُؤْلَمُكَ الْمُصَابُ

من قول منصور النمري في الرشيد وبني علي:

وما بطشت كفاك منهم بمُذنبٍ
بطشت به إلا وقلبك يالَمُ
92- وإنهم عبيدك حيث كانوا
إذا تَدَعَوْ لِحَادِثَةٍ أَجَابُوا

ينظر إلى قول ابن أبي عيينة:

وَمِنْ قَحْطَانَ كُلِّ أَخِي حِفَاظٍ
إِذَا يُدْعَى لِحَادِثَةٍ أَجَابَا
93- وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفْهَاءُ قَوْمٍ
وَحَلٌّ بَغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ

ينظر إلى قول امرئ القيس:

وَقَاهُمْ جَدَّهُمْ بَنِي أَبِيهِمْ
وَبِالْأَشَقِيْنَ مَا كَانَ الْعَذَابُ

ومثله لغيره:

رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَجْنِيهَا رِجَالُ
وَيُضَلِّي حَرَّهَا قَوْمٌ بَرَاءُ
94- فَمَسَّاهُمْ وَيُسْطَهُمْ حَرِيرُ
وَصَبَّحَهُمْ وَيُسْطَهُمْ تَرَابُ

ينظر إلى قول أبي تمام:

راحوا مُلوكاً ضِرابكم
يومَ الوغى خولاً للأعبد الخول
95- ومن في كفه منهم قناةً
كمن في كفه منهم خِصابٌ

من قول زهير بن أبي سلمى:

وما أدري وسوف إخال أدري
أقوم آل حصنٍ أم نساء
ومنه أخذ أيضاً مسلم قوله:

بوجوه لا يعرف العتق فيها
وصدورٍ فيها قلوب النساء
96- أجلُّ قدرِك أن تسمي مؤنَّةً
ومن يصفك فقد سَمَاك للعربِ

ينظر إلى قول ابن الرومي:

يا مَنْ إذا ناديتُه بصفاته
دونَ اسمه بالغتُ في تعريفه
97- طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ
فزعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ

ينظر إلى قول مسلم:

وأحادعُ السَّمع الذكي وقد أتى
خبر ألم بصادقٍ لا يُدفعُ

98- ومن مضت غير موروثة خلائقها
وإن مضت يدها موروثة النّشب

ينظر إلى قول ابن الرومي:

ومن كثرت في مالي شركاؤه
غدا في معانيه قليل المشارك

99- يعلمن حين تحيا حسن مبيها
وليس يعلم إلا الله بالشنب

ينظر إلى قول الشاعر:

لا والذي يسجد الأنام له
ما لي بما دون ثوبها خبر
ولا بفيها ولا هممت به
ما كان إلا الحديث والنظر
100- وأكرم الناس لا مستنياً أحداً
من الكرام سوى آبائك النجب

من قول النابغة:

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه
ولا أحاشي من الأقوم من أحد
101- وعاد في طلب المتروك تاركه
إننا لنغفل والأيام في طلب

قوله: إنا لنغفل، ينظر إلى قول ديك الجن:

نغفل والأيام لا تغفل
وما لنا من زمن موئل

102- ولا يعن عدواً أنت قاهره
فإنهن يصدن الصقر بالخرَب

قال ابن الرومي:

ما انفك تدبيره يجري على مهل
حتى غدا الصقر منصوراً على الخرب
103- وطوعاً له وابتهاجاً به
وإن قصر الفعل عما وجب

ينظر إلى قول ابن المعتز:

يقصر جهدي عن شكره
ولست أقصر عن حبه
104- أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وأثنى وبياض الصبح يغري بي

هذا البيت صحيح المبنى مليح المعنى ولكنه موجود في شعر
عبدالله بن المعتز:

لا تلق إلا بليل من توصله
فالشمس نمامة والليل قواد
105- أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

عاب أبو الطيب مضغ الكلام وغيره يستحسنه ويمدح به النساء لأنه
منهن أوقع في النفوس من الفصاحة والإعراب، وقد قال أسماء بن خارجة:

منطق عاقل وتلحن أحياء
ناً وخير الكلام ما كان لحناً

106- وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مَمُوهَةً
تَرَكَتْ لَوْنَ مَشِيْبِيْ غَيْرَ مَخْضُوبِ

هذا ينظر إلى قول ابن الرومي:

كذب الغواني في سوادِ عذاره
وكذبنه في ودهنِ كذاكا
107- ليت الحوادث باعتني الذي أخذت
مني بحلمي الذي أعطت وتجريبي

ينظر إلى قول أبي تمام:

حلمتني بزعمهم وأراني
قبل هذا التحليم كنت حليما
108- فما الحداثة من حلمٍ بمانعةٍ
قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

هذا البيت يساوي قول منصور النمري:

وما قصرت بالرأي منه حداثة
ولا منعتة أن يقال حليم
وقال آخر:

إن الحداثة لا تقصر
بالفتى المرزوق ذهنا
لكن تزكي ذهنه
في فوق أكبر منه سنا
109- مجرباً فهماً من قبل تجربة
مهذباً كماً من قبل تهذيب

ينظر إلى قول ابن الرومي :

حازم الرأي ليسَ عن طول حزم
ولبيبٌ وليس عن تَلْبِيبِ
110- كأن كل سؤالٍ في مسامِعِهِ
قميصُ يوسف في أجفان يعقوبِ

هذا البيت مأخوذ من قول الواصل:

كأن كل سؤالٍ في مسامِعِهِ
قميص يوسف في أجفان والِدِهِ
111- إذا غزته أعاديهِ بمسألةٍ
فقد غزته بجيشٍ غير مغلوبِ

ينظر إلى قول أبي تمام:

إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشرٍ
أغارَتْ عليه فاحتوته الصنائع
112- أضرتْ شجاعته أقصى كتائبِهِ
على الحمامِ فما موتٌ بمرهوبِ

ينظر إلى قول العكوك:

فتى علمَ الإعطاء كل مبخلٍ
واقدام يوم الرّوع كلّ جانٍ
113- بلى يروع بذي جيشٍ يجدلُهُ
ذا مثله في أحّم النّقع غريبِ

ينظر إلى قول أبي تمام:

غاديتهم بالمشرقين بوقعة
صدعت صواعقها جبال الروم
114- يهوي بمنجردٍ ليست مذاهبه
للبس ثوبٍ ومأكولٍ ومشروبٍ

من قول امرئ القيس:

ولو أنما أسعى لأدنى معيشة
كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجدٍ مؤثّل
وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي
115- حتى وصلت إلى نفسٍ محجّبة
تلقى النفوسَ بفضلٍ غير محجوبٍ

ينظر إلى قول أبي تمام:

من البيض محجوبٍ عن السوء والخنا
ولا تحجب الأنواء من كفه الحجب
116- وكيف أكفرُ يا كافورُ نعمتها
وقد بلغنك بي يا كلّ مطلوبٍ

مأخوذ من قول أبي نواس:

وإذا المطي بنا بلغن محمداً
فظهورهن على الرجال حرام
قربنا من خير من وطىء الحصى
فلها علينا حرمةٌ وذمامٌ

117- أنت الحبيب ولكنني أعودُ به
من أن أكونُ مُجِبًّا غَيْرَ مُحَبِّبٍ

ينظر إلى قول أبي تمام:

كم من عدوٍّ قال لي متمثلاً:
كَمْ من ودودٍ ليسَ بالمودودِ⁽⁵⁰⁾

وقال غيره:

ومن الضيم في هوى البيضِ عندي
أن يودَّ الإنسانُ مَنْ لا يودُّه
118- أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشُّوقُ أَغْلَبُ
وأعجبُ من ذا الوصلِ والهجرُ أعجبُ

صدر هذا البيت من قول الخبزري:

أغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ غالبِي
وأكتُمُ ما بي عن خليلٍ وصاحبِ
119- ويومٍ كليلِ العاشقينِ كمنتهُ
أراقبُ فيه الشمسَ أيا ن تغربُ

من قول ابن المعتز:

أدهم مصقول سواد الجسم
قد سمدت جبهته بنجم
120- وأخلاق كافورٍ إذا شئتُ مدحهُ
وإن لم أشأ تملني علي وأكتبُ

(50) ديوان أبي تمام 1: 391 وفيه: ولكم عدو.

ينظر إلى قول ابن الرومي :

فلقد وجدتُ لَمَنْ مدحتُ مآثراً
مِنْ مثلها يَفنى المديحُ وينسخُ
فجميع ما حليته من منطق
حسن فَمِنْ أفعالِهِ مُستسلخُ
121- إذا تركَ الإنسانُ أهلاً وراءَهُ
ويَمَمَ كافوراً فما يتغربُّ

ينظر إلى قول البحتري :

ومثل نذاك أدهلني خليلي
وأكسبني سلوي عن بلادي
122- تزيد عطاياهُ على الغيثِ كثرةً
وتلبث أمواه السحابِ فتنضبُ

ينظر إلى قول أبي تمام :

ثم انصرفت ولم تلبث وقد لبثت
سماءٌ عدليك فيهم تمطرُ الدِّمَا
123- أحنّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم
وأين من المشتاقِ عنقاءُ مُغربُ

عجزه من قول الحارث :

تقطعت الأرحامُ إلا أقلها
وطارتُ بذاك الودِّ عنقاءُ مُغربُ
124- فإن لم يكن إلا أبو المسكِ أوهم
فإنك أحلى في فؤادي وأعدبُ

هذا البيت من قول البحري:

أَتَّخِذُ الْعِرَاقَ هَوًى وَدَاراً
وَمَنْ أَهْوَاهُ فِي أَرْضِ الشَّامِ
فَلَوْلَا عِزَّةُ الْمَلِكِ الْمَرْجِيِّ
لَأَثَرْتُ الْمَسِيرَ عَلَى الْمُقَامِ
125- وكل امرئ يولي الجميل محبب
وكل مكان ينبت العز طيب

صدر هذا البيت من قول ابن أبي القين:

وَمُحِبِّينَ إِلَى الْقُلُوبِ سَمَاحَةً
إِنَّ الْكَرِيمَ إِلَى الْقُلُوبِ مُحِبِّبٌ
126- وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً
لَمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

هذا البيت ينظر إلى قول ابن الرومي:

.....

مَنْ بَتُّ فِي نِعْمَائِهِ أَتَقَلَّبُ
127- وَكَنتَ لَهُ لَيْثُ الْعَرِينِ لِشَبِيلِهِ
وَمَالِكٌ إِلَّا الْهِنْدَوَانِي مَخْلَبٌ

عجزه ينظر إلى قول البحري:

كَالِإِثِّ إِلَّا أَنْ هَذَا ضَارِبٌ
بِمَهْنَدٍ ذَكَرٍ وَذَاكَ بِمَخْلَبٍ
128- لَقِيتُ الْقَنَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ
إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرَبُ

ينظر إلى قول المعكوك:

فَتَى يَتَّقِي مَأْثُورَ مَا يَتَّقِي الْفَتَى
ويغشى المَنايا والرِّمَاحُ دوامي
129 - وقد يتركُ النَّفسَ التي لا تهابُهُ
ويخترم النَّفسَ التي تتهيبُ

ينظر إلى ما أنشده معاوية في بعض بني:

كَأَنَّ الْجَبَانَ يَرَى أَنَّهُ
يدافع عنه الفرارُ الأجلُ
فقد تُدركُ الحادِثاتُ الجبانَ
ويسلمُ منها الشجاعُ البطلُ
130 - ويُغنيكَ عما ينسبُ الناسُ أَنَّهُ
إليكُ تناهى المكرماتُ وتنسبُ

هذا من قول عامر بن الطفيل:

فما سَوَّدتني عامِرٌ عن ورائةٍ
أبى الله أن أسمو بأُمَّ ولا أبِ
131 - فشرقَ حتَّى ليسَ للشرقِ مشرقُ
وغربَ حتَّى ليسَ للغربِ مغربُ

ينظر إلى قول أبي تمام:

وغربتُ حتَّى لم أجدُ ذكراً مغربِ
وشرقتُ حتَّى قد نسيتُ المغاربا
132 - إذا قلتُهُ لَمْ يمتنعَ من وُصولِهِ
جدارُ مَعلى أو جِباءُ مطنَّبِ

ينظر إلى قول ابن الجهم:

فسارَ مسيرَ الشمسِ في كلِّ بلدةٍ
وهبَّ هبوبَ الريحِ في البرِّ والبحرِ
133- لياليَ عندَ البيضِ فَوَدَّايَ فِتْنَةً
وفخرُ وذاك الفخرُ عندي عابُ

هذا معكوس قول بعضهم:

أصبحتُ شيخاً له صمتٌ وأبهةُ
يدعونني البيضُ عمّاً تارةً وأباً
وتلك دعوةُ إجلالٍ وتكرمةٍ
وددت أني معتاضٌ بها لَقْباً
134- جَلَا اللَّوْنُ عَنْ لَوْنِ هَدْيِ كُلِّ مَسْلِكِ
كما أنجَابَ عن ضوئِ النهارِ ضبابُ

ينظر إلى قول الفرزدق:

والشَّيبُ ينهضُ في الشَّبابِ كأنَّهُ
ليلٌ يصيحُ بجانيه نهارُ
135- وإني لنجمٌ تهتدي صحبتي به
إذا حالَ من دون النجومِ سحابُ

ينظر إلى قول ابن دريد:

لم يهده النّجم ولكنّه
بسّيره نجم الهدى مقتدي
136- غني عن الأوطان لا يستفزني
إلى بلدٍ سافرتُ عنه إيابُ

ينظر إلى قول علي بن الجهم:

لا يمنعك خفض العيشِ تطلبه
نزوع نفسٍ إلى أهلِ وأوطانِ
تلقى بكلِّ بلادٍ إن حلتُ بها
أهلاً بأهلٍ وجيرانا بجيران
137- تركنا لأطراف القنا كلَّ شهوةٍ
فليسَ لنا إلاَّ بهنَّ لعابِ

ينظر إلى قول الأول في عامر ابن الطفيل:

ولاعبَ أطرافَ الأسنّةِ عامراً
فصارَ له حظُّ الكتيبةِ أجمعِ
138- أعزَّ مكانٍ في الدنا سرجِ سابحِ
وخير جليسٍ في الزمانِ كتابُ

ينظر إلى قول الجاحظ:

نعمَ المحدثُ والجليسُ كتابُ
تلهو بهِ إن خانكَ الأحبابُ
لا يفشين سراً إذا حدثتهُ
ويفادُ منه حكمةً وصوابُ

ولابن المعتز:

جعلتُ كتبي أنيسي لأني
لستُ أرضى إلاَّ بكلِ نفيسِ
139- تجاوز قدرَ المدحِ حتى كأنه
بأحسن ما يُثنى عليه يعابُ

ينظر إلى قول البحري :

جلّ عن مذهب المديح فقد كا
دَ يصيرُ المديحُ فيه هجاءُ

وقال الخبزري :

من كان مادح من كانت فضائله
تقابلُ المدحَ فضلاً فهو هاجيه
140- وأكثرُ ما تلقى أبا المسكِ بذلةً
إذا لم تصن إلا الحديدَ ثيابُ

ينظر إلى قول أبي المعتصم :

يصانُ إلا عن ظبا
البيضِ وأطرافِ القنا
وصونها مبتذلٌ
للموتِ في يومِ الوغى
141- أيا أسداً في جسمه روحٌ ضيغمٌ
وكم أسدٍ أرواحهنّ كلابُ

مأخوذ من قول أبي تمام :

أسرى بنو الإسلام فيه وأذلجوا
بقلوبِ أسدٍ في صدورِ رجالِ
142- لنا عند هذا الدهر حق يلطه
وقد قلّ إعتابٌ وطالَ عتابُ

من قول أبي العتاهية :

إذا استعتب المرء الحوادث لم يجد
لمستعتب عند الحوادث إعتابا
وأصل هذا من قول أبي ذؤيب:

أمن المَنونٍ وريبها تتوجعُ
والدهرُ ليس بمعتبٍ من يجزَعُ
144- ولا ملك إلا أنت والملكُ فضلةُ
كأنك سيفٌ فيه وهو قرابُ

ينظر إلى قول مسلم:

واني وإسماعيلَ يوم وداعه
لكا لغمدٍ يوم الرّوعِ فارقه النّصلُ
145- وفي النّفسِ حاجاتٌ وفيك فطانةُ
سكوتي بيانٌ عندها وخطابُ

ينظر إلى قول العرزمي:

وإذا طلبتَ إلى كَرِيمٍ حاجةً
فلُقيهُ يَكْفِيكَ والتسليمُ

وقول الآخر:

أروحُ بتسليمٍ عليكِ وأغتدي
وحسبُك بالتسليمِ مِنِّي تقاضيا
146- وإنّ مديحَ الناسِ حقٌّ وباطلُ
ومدحُك حقٌّ ليس فيه كذابُ

هذا البيت يشبه قول أبي القين:

إذا قال فيهم مَدِحٌ قَالَ صادقاً
وما كلُّ ذي مَدْحٍ إِذَا قَالَ صادقاً
وقال ابن دريد:

إذا مَدِحُ أَثنَى عليك فَإِنَّهُ
يقول ولو أَرَبِي بما يتقولُ
147- إِذَا نلتُ منك الوُدَّ فالكلُّ هَيِّنٌ
وكل الذي فوق الترابِ ترابُ
من قول الأول:

لكل اجتماع من خليلين فرقةٌ
وكلُّ الذي فوق الترابِ تُرابُ
148- وما كنت لولا أنت إلا مهاجراً
له كلُّ يومٍ بلدةٌ وصحابُ
من قول أبي البصير:

يا فتحُ دعوةً بائعٍ أوطانهُ
بذراك لولا أنت لم يتغرب
149- ولكنك الدنيا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ
فما عَنكَ لي إِلا عَلَيْكَ ذهابُ
يشبه قول القائل:

روحي وقلبي في يديك وإنما
أنت الحياة فأين عنك المَهْرَبُ
150- لا جزعاً بل أنفاً شابهُ
أن يقدرَ الدهرُ على غَضْبِهِ

ينظر إلى قول البحري:

ما كنت أحسب أن بحرك يُرتقى
بالنائب ولا جماك يُرام
قدّر عدت فيه الحوادث طورها
وتجاوزت أقدارها الأيام
151- وإن من بغداد دار له
ليس مقيماً في ذرى عصبه

ينظر إلى قول الحصني:

وقوفك تحت ظلال السيوف
أقر الخلافة في دارها
152- لا بد للإنسان من ضجعة
لا تقلب المضجع عن جنبه

يقرب من قول أبي تمام:

أنوح بن عمرو إن ما حُمّ واقع
وللأجنب المستعليات مصارع
وقال مسلم:

فاصعد إلى الغرفات يومك واقع
بالشاميتين لكل جنب مضرع

وقال البحري:

هجود لم يسئل بهم حفي
ولم تقلب لضجعتهم جنوب

153- أستغفر الله لشخص مَضَى
كَانَ نِدَاءً مِنْتَهَى ذَنْبِهِ

سلك فيه أبو الطيب مسلك النابغة في قوله:

ولا عيبَ فيهمَ غيرَ أنَّ سيوفهم
بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

فجعل عيب السيوف من قراع الكتائب كما جعل أبو الطيب ندى
المتوفاة ذنبها.

154- يريد من حب العلى عيشه
ولا يريد العيش من حُبِّه
ينظر إلى قول الحماني:

لولا الصنائع لم أحفلُ متى هتفت
باسمي المنون ولولا الخرد العينُ
155- يحسبُهُ دافنُهُ وحدُهُ
ومجدُهُ في القبرِ من صحِّهِ

من قول زياد الأعجم:

إن السَّماحةَ والمروءةَ ضَمَّنَا
قَبْرًا بِمَرٍ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
156- وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ
كَأَنَّهَا النَّوْرُ عَلَى قُضْبِهِ

قوله كأنها النور على قضبه ينظر إلى قول أبي تمام:

لَمَّا رَأَى أَدْبًا فِي غَيْرِ ذِي كَرَمٍ
قَدْ ضَاعَ أَوْ كَرَمًا فِي غَيْرِ ذِي أَدَبٍ

سما إلى الرتبة العليا فاجتمعا
في فعله كاجتماع النور والعشب
157- ما كان عندي أن بدر الدجى
يوحشه المفقود من شهيه
ينظر إلى قول أبي تمام:

كان بني نبهان يوم وفاته
نجوم سماءٍ حرّ من بينها البدر
158- ولم أقل مثلك لأعني به
سواك يا فرداً بلا مشيه
ينظر إلى قول البحتري:

متى كان يأبى قدره أن يرى له
شبيه مساوٍ أو نظيرٍ مشاكلٍ

توقيفات المنصور السعدي
(اختياراته) (*)

- وَلَكَ الزَّمانُ مِنَ الزَّمانِ وَقايةً
ولك الجِمامُ مِنَ الجِمامِ فِداءً
- وهبني قلتُ هذا الصُّبحُ ليلٌ
أُيَعْمَى العالَمونَ عن الضياءِ
- شَغَلتَ قَلْبِي بِلَحْظِ عَينِي
إِليكَ عَن حُسنِ ذا الغِناءِ
- إِنَّ القَتيلَ مُضَرَّجاً بِدُموعِهِ
مِثْلُ القَتيلِ مُضَرَّجاً بِدِمائِهِ
- المَوْتُ أَعذَرُ لي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بي
والبِرُّ أوسَعُ والدُّنيا لِمَن غَلَبَا
- أرى كُلَّنا يبغي الحِياةَ بِسَعِيهِ
حَرِيباً عَلَيها مُسْتَهاماً بِها صَبَّبا
- ضُروبُ النَّاسِ عُشاقُ ضُروباً
فأعذرهم أَشَقَّهُمُ حَبِيبا

(*) آثرنا جمع الأبيات التي وقف عليها المنصور في هذه النسخة لما قد يكون لها من دلالة على ذوق المنصور واتجاهه.

- وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الْأَجِبَةَ قَبْلَنَا
وَأَعْيَا دَوَاءَ الْمَوْتِ كُلِّ طَيِّبٍ
- فَرَبِّ كَثِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ
وَرُبِّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَثِيبٍ
- وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نَوْرَهَا
وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ
- وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعَ لَنَا
فَوَادًا لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبًّا
- نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمَشِي كِرَامَةً
لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبًا
- أَيُّدْرِي مَا أَرَابِكَ مَنْ يُرِيبُ
وَهَلْ تَرْقَى إِلَى الْفَلَكَ الْخَطُوبُ
- يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ
كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحِيهَا الْعُقَابُ
- وَمَا جِهَلَتْ أَيْدِيكَ الْبَوَادِي
وَلَكِنْ رَبِّمَا خَفِيَ الصُّوَابُ
- وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصُّدِيقِ قَلِيلَةٌ
وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مِنْ لَا يُجْرَبُ
- إِذَا لَمْ تَشَاهِدْ غَيْرَ حَسَنِ شَيَاتِيهَا
وَأَعْضَائِهَا فَالْحَسَنُ عَنْكَ مَغِيَّبُ
- وَأَظْلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مِنْ بَاتِ حَاسِدًا
لَمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ
- أَعَزَّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرَجٌ سَابِحٌ
وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

- أنا في أمة تداركها الله
 - غريب كصالحٍ في ثمود
 - وَمَا مَاضِيَ الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ
 وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَفْزَادٍ
 - أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي
 وَأُنْشِي وَبِياضِ الصَّبْحِ يُغْرِي بِي
 - وَمِنْ هَوَى الصُّدْقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ
 رَغِبْتُ عَنْ شَعْرٍ فِي الْوَجْهِ مَكْذُوبٍ
 - فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ جِلْمٍ بِمَانِعَةٍ
 قَدْ يُوَجِّدُ الْجِلْمُ فِي الشَّبَانِ وَالشَّيْبِ
 - وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ
 سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ
 - إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوَدَّ فَالْكَلُّ هَيِّنٌ
 وَكَلَّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
 - وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرِّ أَنْ يَرَى
 عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدٌّ
 - بَذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
 مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
 - نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ
 لَهْتَتْ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ
 - فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبُ
 وَأَنْتَ لَوَاءَ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ
 - وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْغَامَ لِلصَّيْدِ بَازَهُ
 تَصَيِّدَهُ الضَّرْغَامُ فِيمَا تَصَيَّدَا

- إذا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ
وإن أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
- وَوَضِعُ النَّدى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى
مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدى
- فَلَا يَنْحَلِلُ فِي الْمَجْدِ مَا لَكَ كُلَّهُ
فِيَنْحَلُّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدَهُ
وَدَبَّرَهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَّهُ
إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدُهُ
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَمَرْكُوبُهُ رِجْلَاهُ وَالشُّوبُ جِلْدُهُ
- مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْضِي مَكْرُمَةً
أَقْوَمَهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاؤُهُ السُّودُ
- وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زَقًّا وَقِينَةً
فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتْكَةُ الْبَكْرُ
- وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنْمَا
تَدَاوَلَ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْمَلَهُ الْعَشْرُ
- وَمَنْ يَنْفِقُ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ
مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ
- فَأَقْبَلَهَا الْمُرُوجَ مُسَوِّمَاتٍ
ضَوَامِرَ لَا هِزَالَ وَلَا شِيَارُ
- تَرَكْتُ دَخَانَ الرَّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا
طَلَبًا لِقَوْمٍ يَوْقِدُونَ الْعَنْبِرَا

- إذا اشْتَبَهَتْ دموعُ في خُدودِ
تبيّنَ مَنْ بكى مَمَّنْ تباكى
- فقلقتُ بالهمّ الذي قلقلَ الحشا
قلاقِلَ عيسٍ كلهن قلاقِلُ
- إذا قيلَ رفقاُ قال للجلمِ موضعُ
وحلمُ الفتى في غيرِ موضِعِهِ جهلُ
- ونادى الندى بالنائمينَ عن السرى
فأسمعهم هُبوا فقد هلكَ البخلُ
- وبقايا وقارِهِ عافت النّا
سَ فصارتَ ركانةً في الجبالِ
- لك يا منازلُ في القلوبِ منازل
أفقرتِ أنتِ وهنّ منكِ أوائلُ
- فافخرُ فإنّ الناسَ فيكَ ثلاثةُ
مستعظّمٌ أو حاسدٌ أو جاهلُ
- وإذا أتتكَ مذمتي من ناقصٍ
فهي الشهادةُ لي بأني كاملُ
- نصيبك في حياتك من حبيبٍ
نصيبك في منامك من خيالِ
- خذ ما تراه ودع شيئاً سمعتَ بهِ
في طلعةِ الشمسِ ما يغنيك عن رُحلِ
- وقد وجدت مكان القولِ ذا سعةٍ
فإن وجدت لساناً قائلاً فقل
- لعلّ عتبك محمودٌ عواقبُهُ
وربّما صحّت الأجسامُ بالعللِ

- وليس يصح في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل
- ليالي بعد الظاعنين شكول
طوال وليل العاشقين طويل
بين لنا البدر الذي لا أريده
ويخفين بدرًا ما إليه سبيل
وما عشت من بعد الأعبة سلوة
ولكنني للنائبات حمول
- وما شرقي بالماء إلا تذكرًا
لماء به أهل الحبيب نزول
يحرّمه لمع الأسيئة فوقه
فليس لظمان إليه وصول
- لا خيل عندك تهديها ولا مال
فلتسعد النطق إن لم تسعد الحال
- لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والإقدام قتال
- تريدان لقيان المعالي رخيصة
ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل
- وخفوق قلب لو رأيت لهيبه
يا جنتي لظننت فيه جهنما
- شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة
ويستجّل دم الحجاج في الحرم
- وشبهه الشيء منجذب إليه
وأشبهنا بدياننا الطغام

- إذا غَامَرْتَ في شرفِ مَروم
فلا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ المَوْتِ في أمرٍ حَقِيرٍ
كَطَعْمِ المَوْتِ في أمرٍ عَظِيمِ
- ذُو العَقْلِ يَشْقَى في النِّعَمِ بِعَقْلِهِ
وَأَخُو الجَهَالَةِ في الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ
- لا يَسَلِّمُ الشَّرْفَ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى
حَتَّى يَرِاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
- وَالظُّلْمُ مِنَ شِيمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجَدُّ
ذَا عَفَّةٍ فَلَعَلَّةٍ لا يَظْلَمُ
- وَمِنَ البَلِيَةِ عَدْلٌ مِنَ لا يَرْعَوِي
عَنْ جَهْلِهِ وَخَطَابُ مَنْ لا يَفْهَمُ
- وَلَكِنَّ الغِيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ
بِأَرْضِ مَسَافِرٍ كَرِهَ المَقَامَا
- وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَاراً
تَعَبَتْ في مُرَادِهَا الأَجْسَامُ
- وَلا كُتِبَ إِلاَّ المَشْرِفِيُّ عِنْدَهُ
وَلا رُسُلٌ إِلاَّ الخَمِيسُ العَرْمَرُمُ
- يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلاَّ في مُعَامَلَتِي
فِيكَ الخِصَامُ وَأَنْتَ الخِصْمُ وَالْحَكْمُ
أَعِيدَهَا نَظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً
أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فَيَمُنَ شَحْمُهُ وَرَمُ
وَمَا انْتِفَاعِ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ
إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ

- فالخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني
والحربُ والضربُ والقرطاسُ والقَلَمُ
- يا من يعزُّ علينا أن نفارِقَهُم
وجداننا كلُّ شيءٍ بعدكم عَدَمُ
- إن كانَ سرُّكم ما قالَ حاسِبُنا
فَمَا ليجرحِ إذا أرضاكُمْ أَلَمُ
- كم تطلبونَ لنا عيباً فيُعجزكم
ويكره اللّهُ ما تأتون والكرَمُ
- إذا ترحلتَ عن قومٍ وقد قدروا
أن لا تُفارِقَهُم فالراحلونَ هُمُ
- وتعظم في عين الصغارِ صغارها
وتصغرُ في عين العظیم العظامُ
- إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءتْ ظُنُونُهُ
وصدَّق ما يعتادُهُ مِن تَوَهُمِ
- فأحسن وجهٍ في الوری وجه مُحسِنِ
وأيمن كَفِّ فيهِمُ كَفِّ مُنْعِمِ
- لمن تطلبُ الدنيا إذا لم تردْ بِها
سرورَ مُحبِّ أو إساءةَ مُجرِمِ
- رضيتُ بما ترضى به لي محبَّةُ
وقدتُ إليك النفسَ قودَ المُسلِّمِ
- اكتبْ بنا أبداً بعدَ الكِتَابِ بِه
فلإنما نحنُ للأسیافِ كالخَدَمِ
- من اقتضى بسوی الهندي حاجتَهُ
أجابَ كلَّ سؤالٍ عن هل یلمِ

- ولم تنزل قلة الإنصاف قاطعةً
 بين الرجال وإن كانوا ذوي رجمٍ
 - قد كنت أشفق من دمعي على بصري
 فاليوم كل عزيز بعدكم هانا
 - ما كل ما يتمنى المرء يدركه
 تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
 - عدوك مدموم بكل لسان
 ولو كان من أعدائك القمران
 - كأن رقاب الناس قالت لسيفه
 رفيقك قيسي وأنت يمان
 - وإذا لم يكن من الموت بُد
 فمن العجز أن تكون جباناً
 - وألقى الشرق منها في ثيابي
 دنائراً تفر من البنان
 - حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا
 فلم أدر أي الظاعنين أشيع
 - وعدلت أهل العشق حتى ذقتُه
 فعجبت كيف يموت من لا يعشق
 - وتكاد الظبا لما عودوها
 تنتضي نفسها إلى الأعناق
 - أرق على أرق ومثلي يارق
 وجوى يزيد وعبرة تترقرق
 - أتراها لكثرة العشاق
 تحسب الدمع خلة في المآقي

- ومعالٍ إذا دعاها سواهم
لزمتهُ جنايةُ السَّرَّاقِ
- والغنى في يدِ اللُّثيمِ قَبِيحٌ
قَدَرَ قَبْحَ الكَرِيمِ في الإِملاقِ
- لم تزلُ تسمع المديح ولكن
صُهال الجيادِ غير النهاقِ
- فيا أيها المطلوبُ حاوره تمتنعُ
ويا أيها المحرومُ يَممه تُرزقِ
- وما الحسنُ في وجهِ الفتى شرفاً له
إذا لم يَكُنْ في فعلِهِ والخلائقِ
- لولا مُفارقةُ الأحبابِ ما وجدت
لها المنايا إلى أرواحنا سُبلا
- ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضِ
يجد مرّاً به العذب الزلّالا
- آلة العيشِ صحة وشبابُ
فإذا وليا عن المرءِ ولى
- ذي المعالي فليعلون من تعالي
هكذا هكذا وإلا فلا لا
- والعِيانِ الجلي يحدث للظنِ
زوالاً وللمراد انتقالا
- وإذا ما خلا الجبانُ بأرضِ
طلب الطّعنِ وحده والنزالا
- إذا كنتَ ترضى أن تعيشَ بذلّةِ
فلا تَسْتَعِدِّنِ الحُسامَ اليمانيا

- ولا تستطيلنَّ الرِّمَاحَ لِفَارِةٍ
ولا تستجيدنَّ العتاقَ المذاكيا
- أَقِلَّ اشْتِياقاً أَيها القَلْبُ رَبُّما
رايتكَ تُصْفِي الوَدَّ من لَيْسَ جازيا
- خَلَقْتُ أَلْوَفاً لو رَجَعْتُ إِلى الصِّبا
لِفارِقَتُ شِيبِي مَوْجَعِ القَلْبِ باكيا
- وما كُنْتُ مَمَّنْ أَدركُ المَلِكُ بِالْمُنَى
ولكنْ بِأَيامِ أَشْبَنِ النِواصِيا
- ومَنْ جَهِلْتُ نَفْسُهُ قَدْرَهُ
رَأى غَيْرَهُ مِنْهُ ما لا يَرى

- 4 -

زيادات(*)

وقال في كافور ولم يروا ابن العريف هذه الأبيات:

أَكْفُورٌ قَبَّحَتْ مِنْ خَادِمٍ
وَلَا قَتَكَ مُسْرَعَةً جَائِحَةً
تَشَبَّهَتْ بِاسْمِكَ فِي بَرْدِهِ
وَخَالَفَتْ فِي اللَّوْنِ وَالرَّائِحَةَ
إِلَى كَمْ تَعِيشُ عَرَكَ الرَّدَى
وَقَامَتْ عَلَيْكَ بِهِ نَائِحَةً

وقال وليست في كتاب ابن قادم ولا أثبتت في أصل النسخة وهي ممَّا قال في صباه:

رَأَيْتُ الْمُقَامَ عَلَى الْاِقْتِصَادِ
قَنْوَعًا بِهِ ذَلَّةٌ فِي الْعِبَادِ
وَعَجَزَ بَدِي هِمَّةً أَنْ يَضِيحَ
حَقَّ بِهِ عَيْشُهُ وَسَعَى هَذِي الْبِلَادِ
وَمَا عَزَبَ الرَّزْقُ عَنْ رَائِدِ
وَلَا سِيَمَا حَسَنُ الْاِرْتِيَادِ

(*) ثبت هنا مختارات من الشعر المنسوب إلى المتنبي في هذه النسخة ولا يوجد في الدواوين المطبوعة.

إذا ما الأديبُ ارتضى بالخمور
 لـ فما الحظُّ في الأدبِ المُستفادِ
 وفي الاضطرابِ وفي الاغترابِ
 منالِ المُنَى وبُلوغِ المُرادِ
 وشرُّ الضراغِمِ ضرغامَةٌ
 طوي شبلُهُ وهو في الغيلِ هادِ
 وإن صارِمٌ قرَّ في غمديه
 حوى غيرُه الخصلَ يومَ الجِلاذِ
 ولو يستوي بالنهوضِ القُعو
 دُ لما ذكر اللهُ فضلَ الجهادِ
 إذا النارُ فارقتها زُنُدها
 ففسحتها في فراقِ الزنادِ
 فدعِ موطناً واغدِ مسترزقاً
 كذا الرزقُ غادٍ إلى كلِّ غادِ
 ولا يفنِ عُمرَكَ خوفُ الفرا
 قِ لسُمِرِ رِقاقي وبيضِ خرادِ
 يطلنَ البكا عند شحطِ النوى
 ويأسينَ كلَّ الأسي للبعادِ
 فكم ترحيةً من أسي فرقةٍ
 تعودُ سُروراً بحُسنِ المعادِ
 إلى كم تجملُ حريرةً
 وتضبيرُ والصبرُ صعبُ القيادِ
 على نعمةٍ قوتها خيرُها
 وقوتُ المعيشةِ سقمُ الفؤادِ

بلا حاسدٍ وبلا حامدٍ
 قليلة خبيرٍ كماءِ الثُّمادِ
 فلا ضُرٌّ منه يخاف العدو
 ولا نفع يرجوه أهل الودادِ
 جُب الأَرْضِ شَرْقاً وَجُبٌ غَرْباً
 إلى كل فجٍّ عميقٍ ووادِ
 عسى أن تنالَ الغِنَى أو تمو
 ت وعذرك في ذاك للنَّاسِ بادِ
 فإن يكن الفقر حتماً عليـ
 ك فكابده في غير نادك نادِ
 وللموت أهونُ من أن ترا
 ك بعين الخصاصة عين الأعادي

وقال يمدح حمزة بن الحسن الطائي وليست ممَّا ثبت في أصل
 الديوان:

أتظعنُ يا قلب فيمن ظَعَنُ
 خليساً فأندبُ نفسي إذنُ
 ولم لا أهابُ وحرَبُ البسوسِ
 بين جُفوني وبين الوسنِ
 وهَلْ أنا بعدكُما عائشُ
 وقد بنتَ عني وبان السكَّنِ
 فما للفراق وما للجميعِ
 وما للرياحِ وما للدَّمَنِ

فدى ذلك الوجه بدر الدجى
وذاك التثني تثني الغصن
كأن لم يكن بعدما كان لي
كما كأن لي بعد أن لم يكن
ولم يسقني الراح ممزوجة
بماء اللثا لا بماء المزن
لها لون خديه في كأسه
وريحك يا حمزة بن الحسن
ألم يكفك الشرف اليعربي
وأنت غريبة أهل الزمن
كأن المحاسن غارت عليك
فظلّت لديك تسوق الفتن
ولم يرك الناس إلا غنوا
برؤياك عن قول هذا ابن من
ولو قصد الطفل من طيء
لشارك قصاده في اللبن
فما البحر في البر إلا نذاك
وما الناس في الناس إلا اليمن
وقال وليست في كتاب ابن قادم ولا ثبتت في النسخ المتداولة:
مُستهامٌ ليس يذري حين أن
أحمام الأيك غنى أم ترن
ساقه من حلب نارحة
رشاً أغيد مجدول البدن

وإذا عندك لم أبغ الغنى
فتفكر ثم قل لي عند من
حين لا أبت به من ملك
كلما سيل نديّ قال حسن
لك فينا ممن مشكورة
عظمت منك على كل الممن
أنت أحييت الندي بعد التوى
فأقمت الجود من قعر جنن

وكتب إلى أبي العباس أحمد بن كيغلق من السجن وليست مما ثبت
في أصل:

لعلّ نهّي الفؤاد عن قلقه
يبرد من وجده ومن حرقه
شهد عين الأسير ظالمه
ونام عن ليله وعن أرقه
شغلي عن الربع أن اسأله
وأن أطيل البكاء في خلقه
بالسجن والقيد والحديد وما
يصل عند القيام من خلقه
مع كل لص إذا خلوت به
حدث عن جحده وعن سرقه
لو خلقت رجله كهامته
ظل يباري البازي في طلقه

بدلت سكينه وتكته
من خط كف الأديب في ورقه
يا أيها السيد الهمام أبا ال
عباس والمستعاذ من حنقه
أعني الأمير الذي لهيبته
يخفق قلب الوليد في خرقه
المُظهر العدل في رعيته
والمعتدي حلمه على نزقه
نظرت من طبعه إلى ملك
تعصر خمر الشام من خلقه
لو سفكه كان مثل قدرته
كان دم العالمين في عنقه
يا من إذا استنصر الأنام به
مات جميع العصاة من فرقه
في كل يوم يسري إلى عملٍ
في عسكرٍ لا يرى سوى حدقه
تشتعل الأرض من بوارقه
ناراً وتنبو السيوف عن درقه
قد أثر القيظ في محاسنه
وفاح ريح العبير من عرقه
لأنك الشمس لم تذر بلداً
في الأرض إلا طلعت في أفقه
الله يا ذا الأمير في رجلٍ
لم يبق في جسمه سوى رمقه

كم ضوء صبح رجاك في غده
وجنح ليل دعاك في غسقه
ناداك من لجة لتنقذه
من بعد ما لا يشك في غرقه
وقال أبو الطيب مما لم يثبت له في الأصول المتسخ منها في خياط
وسيم:

أما تبصر البدر بدر السماء
يروح ويغدو إلى سوقه
يخيط الثياب ومن هجره
يقدر جلابيب معشوقه
إذا مزق الثوب مقراضه
تمزق قلبي كتمزيقه
وإن خاط سلكاً فألحاظه
تخيط الفؤاد بتحريقه
وأطيب من ريق حور الجنان
خيوط تروين من ريقه
وكتب إلى ابن كيغلق من السجن يستعطفه ولم تثبت:

عينٌ تقسّمت الهمومُ كراها
وجوىً تعمّدي وقلبٌ تاها
وحشاشة لم تكفها بلوى النوى
والبين حتى زيد في بلواها
من كان منزله بحمص فمنزلي
بجهنم الحمراء لا بسواها

في مطبق كتب البلى برجاله
 هذي القبور وهذه موتاها
 يا ذا الأمير دعاء عانِ عينه
 رؤياك من قبل الممات مناها
 يا ابن الألى حكم الإله بحكمه
 ألا يرى لهم الورى أشباها
 ومن احتقرت من السحاب ثقالها
 لما رأيت نواله وحيهاها
 أشكو إليك عظيم ما قد حلَّ بي
 ممن يخاف ولا يخاف الله
 لو ضمنى والفارقي بساطه
 كيما يقوم بحجة مولاها
 لم يكذب القرشي إلا بعدما
 كذبت على الله اليهود سفاها
 ألقى بني العباسِ أي قبيلة
 هَزَامَةَ إِلَّا وَأَنْتَ فَتَاهَا
 وعليك حُبْر في الأنام ثناؤها
 وعلى عِداك سيوفُها وقناها
 الله في فلست أول مُهَجَّةِ
 فطن الأمير بدائها فشفاهها
 فاستبقني فأنا النذير لأُمَّةِ
 بعدي تطا سلمية وتراها

ومما ليس في كتاب ابن قادم ولا رواها أكثر الرواة قصيدته في سيف الدولة :

أصدوداً هجرتنا أم ذلالاً
حينَ أظهرتِ جفوةً واعتلالاً
أم مللتِ الوصالَ فاعتضتِ هَجراً
ربّما أعقبَ الوصالُ مَلالاً
لا تُحلي دمي فما جعلَ اللهُ
دمَ الهائمِ المشوقِ حلالاً
ما لِهذي العقيلةِ الرُّؤدِ لا
تَسْمَح لي بالوصالِ إلاَّ عُلالاً
نكسّني بصدّها بعدما قد
كنتُ فارقتُ عندها الإبلالاً
أحسنُ الغانياتِ ذلاً وأحلا
هُنَّ في كُلِّ حالةٍ إذلالاً
شُبّهتُ بالهلالِ حُسنًا ونوراً
وهي في حُسنِها تفوقُ الهلالاً
ولقد قيلَ قد نأتُ عنكَ فاطلبُ
لَكَ أُخرى تُحبها قلتَ لآلا
طُلّ دمعي إثرَ الطّعائنِ لَمّا
خلفوني أسائلُ الأطلالاً
إنّما كانتِ الدِّيَارُ ديارِي
يومَ كانوا برَبْعها حلالاً
ألبسوني الضنّى كما ألبس
اللهُ عليّاً مَهابةً وجلالاً
للتقى سيمّةً عليه ولإيمانِ
نورٍ في وجهه يتلّالاً

مُرْهَفَ الدَّوْلَةِ الَّذِي اسْتَلَّهُ اللَّهُ
فحَاطَ الْهُدَى وَأَرْدَى الضَّلَالَا
وَالْأَمِيرُ الْمُرَبِّي عَلَى الْغَيْثِ سَحًا
وَانسَكَابًا بِجُودِهِ وَأَنْهَلَا
مَلِكٌ تُظْهَرُ الْمُلُوكُ لَهُ الْإِعْظَا
مَ طَوْعًا لَدَيْهِ وَالْإِجْلَالَا
فَاقَ أَسَدَ الْغِيَاضِ بِأَسَا وَإِقْدَا
مًا وَحَاكِي زَهْرَ الرِّيَاضِ خِلَالَا
خَيْرٌ مَنْ أَمَّهُ الْمُؤْمَلُ يُزْجِي
نَحْوَهُ الشَّدَقِمِيَةَ الشَّمَالَا
رَدَّ عِزَّ الْإِسْلَامِ غَضًّا عَلَيْهِ
وَكَسَا الشَّرْكَ سَيْفَهُ الْإِذْلَالَا
وَحَمَى الثَّغْرَ بَعْدَمَا ضَاعَ نَقْصًا
وَعَفَا قَلَّةً وَذَلَّ اخْتِلَالَا
بَزَّ تَيْجَانَهَا الْمُلُوكُ وَأَرْدَى
الصَّيْدَ قَتْلًا وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَا
لَيْسَ يَخْشَى الْوَجِي إِذَا سَارَ
لِلَّهِ مُعِزًّا وَلَا يَخَافُ الْكَالَالَا
وَإِذَا مَا الرَّمَاخُ صَارَتْ جَمِيًّا فِي
حَوْمَةِ الْمَوْتِ وَالسُّيُوفُ ظِلَالَا
أَنْعَلَ الْخَيْلَ بِالْجَمَاجِمِ فِيهَا
وَكَسَاهَا مِنَ النَّجِيعِ جِلَالَا
لَا كَمَنْ أَصْبَحُوا حِيَارَى عَنِ الرَّشْدِ
بِدِ وَأَمْسُوا عَنِ الْهُدَى ضَلَالَا

لو تشكى إليهم الدين يوماً
 ظمأ الصلْد ما سَقَّوه بلالا
 فهُم بيننا حضورٌ ولكنْ
 قَدْ عدَدْنَا حُضورهم إخلالا
 أيها السيّد الذي حلّ في قلّة
 أكرومةً تفوقُ الإقلالا
 قد رجوتُ الخِلال منك اللّواتي
 غَمَرْتَنِي بالبرِّ ماءً زُلالا
 كنت أخشى الإقلال حتى إذا
 زرتك انسيتُ عندك الإقلالا
 ولئن فقت في مديحك غيلان
 لقد فقت في نوالي بلالا
 فابق واسلم وعش ودم واحظ
 وانعم واسم وابذخ وصل وطل وتعالا

وقال في كافور وأنفذاها من بغداد:

أفيقا! خُمَارُ الهَمِّ نَعَّصَنِي الخَمْرَا
 وسُكْرِي من الأيَّامِ جَنَّبَنِي السُّكْرَا
 يُسِرُّ خَلِيلِي بالمُدَامَةِ وَالَّذِي
 بقلبي يَأْبَى أن أُسِرَّ كَمَا سُرَا
 لبستُ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَحْسَنَ مَلْبَسِ
 فَعَرَّقْتَنِي نَاباً وَفَرَّيْتَنِي ظُفْرَا
 وفي كُلِّ لِحْظٍ لي ومَسْمَعِ نَقْمَةٍ
 يُلاحِظُنِي شُرْراً وَيُسْمِعُنِي هُجْرَا

سدكت بِصَرْفِ الدَّهْرِ طِفْلاً وَيَافِعاً
 فَأَفْنَيْتَهُ عَزْماً وَلَمْ يُفْنِنِي صَبْراً
 أُرِيدُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا يُرِيدُهُ
 سِوَايَ وَلَا يَجْرِي بِخَاطِرِهِ فِكْراً
 فَأَسْأَلُهَا مَا لَا أَنَالُ قَضَاءَهُ
 وَمَا أَنَا مِمَّنْ رَامَ حَاجَتَهُ يُسْراً
 وَلِي كِبِدٌ مِنْ رَأْيِ هَمَّتِهَا النَّوَى
 تُرَكِّبُنِي مِنْ عَزْمِهَا الْمَرْكَبَ الْوَعْرَا
 أَخُوهِمْ رَحَالَةً لَا تَزَالُ بِي
 نَوَى تَقَطُّعِ الْبَيْدَاءِ أَوْ أَقْطَعِ الْعُمْرَا
 وَمَنْ كَانَ عَزْمِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ حَثُّهُ
 وَصَيَّرَ طَوْلَ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهِ شَبْرَا
 صَحِبْتُ مُلُوكَ الْأَرْضِ مُغْتَبِطاً بِهِمْ
 وَفَارَقْتُهُمْ مَلَانٌ مِنْ شَنْفِ صَدْرَا
 وَلَمَا رَأَيْتُ الْعَبْدَ لِلْحُرِّ مَالِكاً
 أَبَيْتُ إِبَاءَ الْحُرِّ مُسْتَرْزَقاً حُرّاً
 وَمَضَرُّ لَعْمَرِي أَهْلُ كُلِّ عَجِيَّةٍ
 وَلَا مِثْلَ ذَا الْمَخْصِيِ أُعْجِبُونَ نَكْرَا
 يُعَدُّ إِذَا عُدَّ الْعَجَائِبُ أَوْلَا
 كَمَا يُبْتَدَا فِي الْعَدِّ بِالْإِصْبَعِ الصَّغْرَى
 فِيَا هِرْقَلُ الدُّنْيَا وَيَا عَبْرَةَ الْوَرَى
 وَيَا أَيُّهَا الْمَخْصِيِ مِنْ أَمَكِ الْبَطْرَا
 نُؤَيِّبِيَّةٌ لَمْ تَدْرُ أَنَّ بُنْيَهَا النَّوْبِي
 دُونَ اللَّهِ يُعْبَدُ فِي مِضْرَا

ويستخدم البيض الكواعب كالدمى
 وردَّ العُبدِي كَالغَطَارِفَةِ الْغُرَا
 قضاءً من اللّهِ العليّ أرادَهُ
 أَلَا إِنَّمَا كَانَتْ إِرَادَتُهُ شَرًّا
 وَلِلّهِ آيَاتٌ وَلَسْنَنَ كَهذِهِ
 أَظُنُّكَ يَا كَافُورَ آيَتِهِ الْكُبْرَى
 لَعَمْرُكَ مَا دَهْرٌ بِهِ أَنْتَ طَيِّبٌ
 أَيَحْسِبُنِي ذَا الدَّهْرِ أَحْسِبُهُ دَهْرًا
 وَأَكْفُرُ يَا كَافُورُ حِينَ تَلُوحُ لِي
 ففَارَقْتُ مَذَ فَارَقْتُكَ الشَّرْكَ وَالْكَفْرَا
 عَشْرَتْ بِسَيْرِي نَحْوِ مِصْرٍ فَلَا لَعَا
 بِهَا وَلَعَا فِي السَّيْرِ عَنْهَا وَلَا عَشْرَا
 وفَارَقْتُ خَيْرَ الْأَرْضِ قَاصِدِ شَرِّهِمْ
 وَأَكْرَمَهُمْ طُرًّا لِأَنْذَلَهُمْ طُرًّا
 فَعَاقَبَنِي الْخَنْزِيرُ بِالْغَدْرِ جَازِيَا
 لِأَنَّ رَحِيلِي كَانَ عَنْ حَلْبٍ غَدْرَا
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا فَائِلَ الرَّأْيِ لَمْ أَعْنُ
 بِحَزْمٍ وَلَا اسْتَصْحَبْتُ فِي وِجْهَتِي حِجْرَا
 وَقَدَّرَنِي الْخَنْزِيرُ أَنِّي مَدْحَتُهُ
 وَلَوْ عَلِمُوا قَدْ كَانَ يُهْجِي بِمَا يُطْرَا
 جَسْرَتْ عَلَى دَهْيَاءِ مِصْرٍ فَفُتَّهَا
 وَلَمْ يَكُنِ الدَّهْيَاءُ إِلَّا مَنْ اسْتَجْرَا
 سَاجِلِبُهَا أَشْبَاهَ مَا حَمَلْتَهُ مِنْ
 أَسْتَنَّا جُرْدًا مُقْسَطَلَةً غُبْرَا

وأُطْلِعُ بِيضاً كَالشَّمْسِ مُظَلَّةً
إِذَا طَلَعَتْ بِيضاً وَإِنْ غَرَبَتْ حُمْرًا
فَإِنْ بَلَغَتْ نَفْسِي الْمُنَى فَبِعَزْمِهَا
وِإِلَّا فَقَدْ أَبْلَغْتُ فِي حِرْصِهَا عُذْرًا(*)

(*) سواء أكانت هذه القصيدة من مهمل شعر المتنبي أم من منحوه فإنها في شكلها ومضمونها تنحو منحى شعر المتنبي.

فهرس

- المقدمة..... 5 - 6
- الفصل الأول:
- أبو تَمَام في أدب الأندلسيين والمغاربة..... 7 - 90
- الفصل الثاني:
- أبو الطيّب في أدب الأندلسيين والمغاربة..... 91 - 175
- الفصل الثالث:
- مؤلف «روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبیب» 177 - 199
- الفصل الرابع:
- نصّ روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبیب..... 201 - 228
- الفصل الخامس:
- مختارات من نسخة ديوان المتنبي السعدية..... 229 - 308



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها، الحبيب المصطفى

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود

تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113- 5787 - Beyrouth - Liban

رقم 86 / 2 / 3000 / 78



التنفيذ الإلكتروني : كومبيوترية
لصاحبها، الحبيب المصطفى

الطباعة : مؤسسة لزيه كركبي



